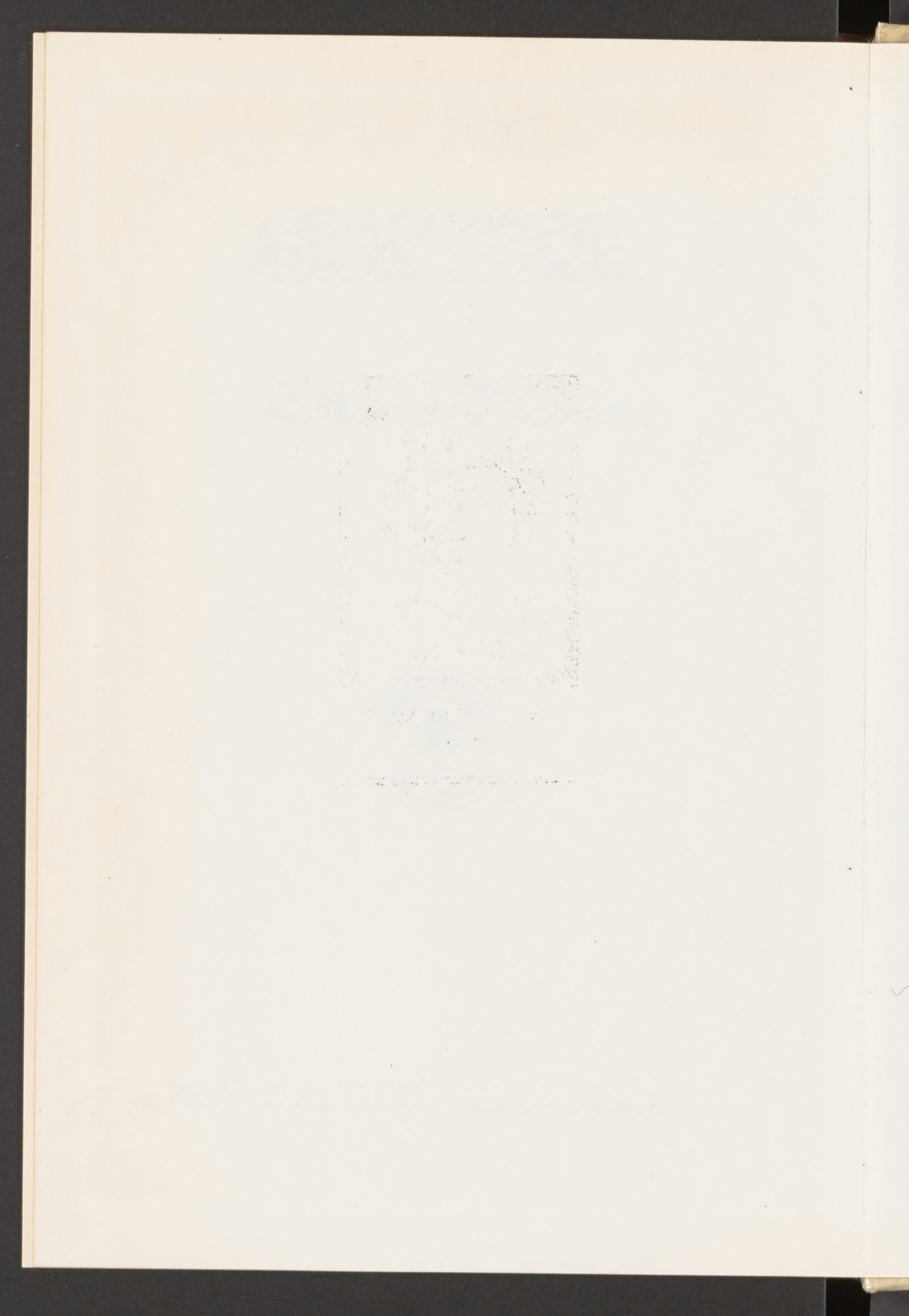
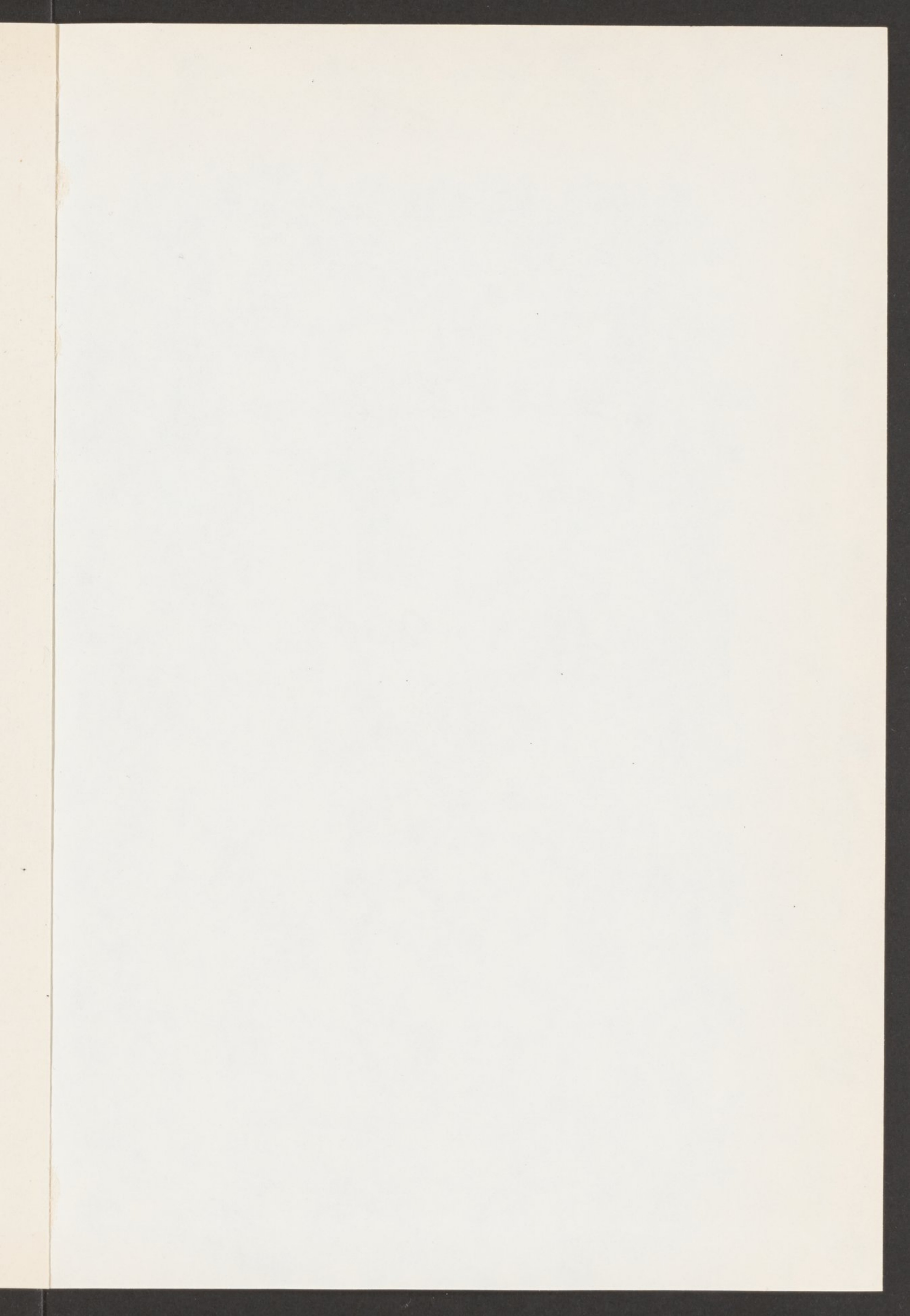
مسلم بن الوليد

صريع الغواني

فؤاد حنا ترزي
أحد أساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الأميركية

طبع في دار الكتاب – بيروت سنة ١٩٦١





جامعة بيروت الأميركية

منشورات كلية العلوم والآداب



سلسلة العلوم الشرقية   الحلقة السادسة والثلاثون

Tarazī, Fu'ād Hannā

مسلم بن الوليد

صريع الغواني

/Muslim ibn al-Walīd/

فؤاد حنا ترزي
أحد أساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الأميركية

طبع في دار الكتاب – بيروت سنة ١٩٦١

فهرس المحتويات

تصدير

هذه محاولة لدراسة شاعر على نهج علمي. ولئن كان في اخضاع الأدب للعلم ما يفقده رواءه ، فإن فيه ايضاً مـــا يستبطن معناه الحقيقي ويكشف عن منابع الجمال فيه .

والشاعر الذي نحن بصدده هو مسلم بن الوليد الانصاري احد شعراء العراق في النصف الاخير من القرن الثاني للهجرة ، وواحد من شعرائنـــا القدامى الذين حاولوا ان يوائموا بين الشعر والحياة ويجعلوا من نتاجهم صدى لمشاعرهم وصورة لعصرهم .

ولما كان القرن الثاني قد حمل للعرب عامة حياة جديدة فيهـــا من وسائل الحضارة المادية والفكرية مـــا لم يكن لهم به عهد من قبل ، فقد حمل لأدبائهم خاصة تحدّياً قوياً للاساليب التعبيرية المألوفة لديهم لذلك العهد . ولعل من حسن حظ مسلم ان يكون من اولئك الذين استجابوا لذلك التحدّي وحـــاولوا – الى حدّ – ابتكار صور تعبيرية جديـــدة لبعض مظاهر هذه الحيـــاة . ولئن كان شاعرنا لم يستطع – بحكم ظروفه الخاصة – ان يعبث كثيراً بكلاسيكية الشعر المعروفة لعهده ، فانه استطاع على الاقل ان يزعزع «عموده» وان يضع حجراً في صرح كلاسيكية جديدة اقل تزمتاً واخف ركانة .

هذا ، وقد استهللت هذه الدراسة **بتوطئة** عن مصادرها ومراجعها ، وقسمت تلك الى ثلاثة اقسام : الديوان ، والمراجع القديمة ، والمراجع الحديثة . وتحدثت عن الديوان فذكرت عيوبه كمصدر ، وعن المراجع القديمة فذكرت اهمها ، واهم ما اورده كل منها عن مسلم ، واصالة ما اورده ، ومدى وثوقنا بصاحبه . وضربت صفحاً عن الحديثة لاعتمادها على القديمة بصورة رئيسية ، ولانه سيشار اليها خلال البحث وفي كشّاف المراجع .

ويلي التوطئة **القسم الاول** ، وهو يبحث في بيئة مسلم في الكوفة وبغداد ، المدينتين اللتين قضى فيهما الشطر الاعظم من حياته ، واللتين كان لهما اكبر الاثر في تكوين شخصيته ، وتقويم شعره وتوجيهه . وقد تحدثت في هذا القسم عن كل من المدينتين ، فوصفت مجتمعيهما وما سادهما من تفاعلات اجتماعية وتيارات فكرية ، وتحدثت عن الحياة العقلية في كل منهما كما تجلت في العلوم الدينية واللسانية ، والفنون الادبية ، والحياة اللاهية ، السائده زمن مسلم . وبذلك مهدت السبيل لدراسة ثقافة الرجل وحياته العابثة. وكان لا بد لي من ان اعرض لهذا الصراع العنيف الذي اخذ يظهر بين القديم والجديد ، في الحياة والادب ، نتيجة لاختلاط العرب بالاعاجم ، وان ابين اثر ذلك في ظهور حركة للنقد ، عمادها المحافظون ، كان لها اثر كبير في توجيه الشعر في وقت كان يتلمس فيه مسلم طريقه نحو المجد الشعري .

ويلي ذلك **القسم الثاني** ، وهو يبحث في سيرته . وهنا يبرز جانب هام من مهمّة الكتاب في محاولة استخلاص حقائق هذه السيرة من روايات مضطربة وشعر ناقص . وقد بت في سبيل ذلك استظهر بالملابسات لاستجلاء غوامض الروايات ومتناقضاتها ، واستعين بما قد بقي من اصداء حياته في شعره اولاً، وفي اشعار معاصريه وسيرهم ثانياً ، فاستطعت ان استنبط عن طريق ذلك بعض الحقائق – على سبيل الترجيح على الاقل – وان اسد بعض ما تراءى لي من ثغرات فيسيرة حياته . واذا صح ما توصلت اليه في هذا الصدد اكون قد ساعدت على وضع معالم لبعض مراحل هذه الحياة ، واسهمت في ازالة الاختلاط الذي يلازم سيرته حتى في الدراسات الحديثة ، وفي وضع اساس لدراسة جديدة يمكن تقصيها لاظهار الصلة بين هذه المراحل المفترضة وتطور شعر مسلم ، فلعل عن طريق مثل هذه الدراسة يمكن اثبات هذه المراحل بشكل قاطع ، او يمكن تعديلها بعض التعديل .

ويلي ذلك **القسم الثالث** الذي يبحث في شعره . ولقد تناولت فيه ، في ما تناولت ، ابراز هذا الشعر كحصيلة للصراع بين القديم والجديد في مظاهر الحياة المختلفة في العصر العباسي . وحاولت اظهار خصائصه ، ورسم معالم شخصية صاحبه الشعرية . ثم تطرقت الى بحث الابواب التي طرقها الشاعر ، وحاولت ، في كل باب ، ان اميز مواطن التقليد من مواطن الجدّة ما امكن ، وان اعقد

مقارنة بين شاعرنا وبين غيره من الشعراء حيثما اقتضت طبيعة البحث ذلك .

وتلي كل هذا **خاتمة** ابنت فيهـــا اثر مسلم في تجريىء الشعراء على استخدام البديع ، واثر مدرسته في تنشيط حركتي التأليف والنقد في القرنين الثالث والرابع ، بصورة خاصة .

. . .

ولا يسعني، اخيراً ، الا ان اشكر جميع اخواني الذين اعانوني في هذه المهمة، ولا سيما الدكتور محمد يوسف نجم الذي صرف قسطاً من وقته في قراءة الأصل وابداء الملاحظات المجدية عنه ، والدكتور قسطنطين زريق الذي تكرم فزودني ببعض ملاحظاته القيمة ، والسيد ف. ل. كِنت (F. L. Kent) الذي اعـانني في ترجمة بعض النصوص اللاتينية . وكذلك لجنة النشر في الجامعة ، التي عملت على نشر هذا الاثر المتواضع ووضعه في متناول القارىء الكريم .

الجامعة الاميركية – بيروت
١٥ تشرين الاول ١٩٦٢

فؤاد حنا ترزي

نوطئة في مصادر دراسة مسلم ومراجعها :

يمكن تقسيم المصادر والمراجع التي نستقي منها اخبار مسلم وشعره الى ثلاثة اقسام : الاول ديوانه ، والثاني كتب الادب والتاريخ القديمة التي ترجمت له او روت بعض اخباره وشعره ، والثالث الكتابات الحديثة التي تناولته بالدرس .

اما القسم الاول ، وهو الديوان [1] ، فقد وصل الينا ناقصاً ، وما وصل الينا منه ليس مرتباً ترتيباً زمنياً بحيث يعيننا على فهم تطور عقلية صاحبه وشاعريته ، ولا هو غني بالدلالات التاريخية فيساعدنا على تقصّي مراحل حياته . ومع ذلك ، فهذا الذي وصل لا يزال جليل الفائدة لفهم ميول صاحبه العامة ، واستجلاء بعض جوانب شخصيته ، والكشف عن بعض الشخصيات التي كان لها اثر في حياته ، وابانة بعض حوادث العصر التي كان له بها صلة مباشرة او غير مباشرة. أضف الى كل ذلك انه الاثر الفني الذي ندرس صاحبه لاجله .

واما القسم الثاني فيقسم ايضاً الى قسمين : الاول ، الكتب التي أُفرد له في كل منها ترجمة خاصة ، والثاني ، الكتب التي وردت فيها نتف من اخباره او ابيات من شعره في معرض الحديث عن شاعر آخر او خليفة او امير ، او عند الاستشهاد على باب من ابواب الشعر او موضوع من موضوعات البلاغة والنحو .

واهم الكتب التي من النوع الاول :

١) **الشعر والشعراء لابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦ هـ)** ، وفي الجزء الثاني منه

---

١) لديوان مسلم طبعات رأينا منها :

١. طبعة المستشرق دي خويه (سنة ١٨٧٥م) ، وقد اعتمد فيها ناشرها على المخطوطة الوحيدة الموجودة في ليدن . وهي طبعة قيمة رغم ما فيها من بعض اخطاء نحوية . وتحوي هذه الطبعة ، بالاضافة الى الديوان ، تعليقات وفهارس للكلمات الغريبة باللاتينية ، ومقدمة عن حياة الكاتب باللاتينية ايضاً ، وباباً في اخبار مسلم واشعاره جمعه الناشر من كتب الادب المختلفة .

٢. طبعة السيد ميرزا علي محمد الحسيني -- بمبي ، الهند ١٣٠٣ هـ/١٨٨٥م) . وهي طبعة حجرية اعتمد فيها صاحبها على طبعة دي خويه ، على ما يبدو ، بعد ان صحح بعض الاخطاء النحوية البارزة ، وبعد ان حذف المقدمة والحواشي والتعليقات والفهرست لانها باللاتينية .

٣. طبعة الدكتور سامي الدهان -- دار المعارف ، مصر (١٩٥٧) ، وهي اجود الطبعات واكثرها دقة وتحقيقاً ، اعتمد فيها صاحبها على مصور للمخطوطة الاصلية -- كما يذكر -- وقدّم لها بدراسة لحياة مسلم ، وذيّلها بما عثر عليه في الكتب الادبية المختلفة من اخباره واشعاره مضيفاً بذلك شيئاً الى ما جاء في دي خويه ، واغناها بالفهارس والتعليقات .

ترجمة مختصرة لمسلم تقع في حوالي صفحة ذكر فيهـا المؤلف اسمه ولقبه ونسبه في الانصار ، ثم أطرى على مدحه وذكر ان جله كان في يزيد بن مزيد وداود بن يزيد المهلبي والبرامكة وكاتبهم محمد بن منصور بن زياد. وبعد ذلك اورد انه ولي في خلافة المأمون بريد جرجان وانه لم يزل بها حتى مات. ومن ثم ذكر انه أعقب وانه لقب صريع الغواني لبيت شعر قاله .

وعدا هذه الترجمة فقد ذكر مسلم مرتين في الجزء نفسه : الاولى في ترجمة ابي نواس حيث ذكر المؤلف ملاحاة وقعت بينهما على اثر نقد كل منهما لشعر صاحبه، والاخرى خلال ترجمة دعبـــل اذ اورد خبر «اجتماعه مع ابي نواس ومسلم وابي الشيص » وأردف انه ذكر ذلك في كتابه « الاشربة » .

وعلى الرغم من اختصار الترجمة التي اوردها هذا الكتاب وقلة الاخبار التي ذكرها عن مسلم ، فان له اهمية خاصة تعود الى ان مؤلفه «كان فاضلاً ثقة» — على حد قول ابن خلكان[1] — وانه توفي بعد وفاة مسلم بثمانٍ وستين سنة فقط ، وانه اتصل بأناس عرفوا مسلماً معرفة شخصية وثيقة كدعبل[2] مثلاً .

٢) طبقات الشعراء لابن المعتز (المتوفى ٢٩٦ هـ)

ويفرد باباً لاخبار مسلم في نحو ست صفحات يترجم له في الاولى منها ويذكر في الباقية نماذج مختـارة من شعره . كما يذكر في اخبار بعض الشعراء الآخرين المعاصرين له، كبشار وابي الشيص والعباس بن الاحنف، روايات تتصل اكثرها باشتراكه ومعظمهم في مجالس الشراب ووفوده مع بعضهم على بعض الخلفاء . ويسرد في اخبار ابي تمام رواية تنبىء بشغف هذا بشعر مسلم وابي نواس .

والظاهر ان ابن المعتز اعتمد في قسم من ترجمته التي اوردها لمسلم على ابن قتيبة، او انه وابن قتيبة اعتمدا مرجعاً واحداً في هذا القسم المشترك بينهما . فهو يذكر في الترجمة ان مسلماً كان « مدّاحاً محسناً مجيداً مفلقـاً » [3] وان جل مديحه كان في يزيد بن مزيد وفي البرامكة والخلفـاء . ثم يذكر مدحه للرشيد وتلقيبه اياه بصريع الغواني ، كما يذكر انه اول من وسّع البديع بعد بشار .

١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٤٦ .

٢) الشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٢٧ .

٣) طبقات الشعراء ص ٢٣٥ .

ومن بعض تعليقات ابن المعتز على مختاراته من شعر مسلم يبدو حبه له ، ففي احدها يقول : « وهذا معنى لا يتفق للشاعر مثله في الف سنة »[1] ، وفي آخر يقول: « ومما السحر معناه رقة وحسناً: ... »[2] . وليس هذا الحب غريباً فابن المعتز يعشق البديع ، ومسلم من شعرائه ، ويهوى الشعر المحدث[3] ، ومسلم من فحوله .

٣) كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني (المتوفى ٣٥٦ هـ) :

وهو اجمع المراجع التي وصلت الينا لاخبار مسلم . وقد افرد لهذه الاخبار فصلاً يقرب من ثلاثين صفحة ضمنه روايات مختلفة عن نسب مسلم ولقبه وسيرته وميوله واهوائه ووفاته وشعره ومناقضاته. وقد اورد هذا الفصل دي خويه في ذيل ما نشره من ديوان مسلم سنة ١٨٧٥ م نقلاً عن مخطوطات وجدها في ميونيخ (رقم ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٨١) وغوطا (رقم ٥٣٢) ، كما اورده الدكتور سامي الدهان في ذيل « شرح ديوان صريع الغواني » الذي نشرته له دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧ ، نقلاً عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٣١٨ أدب . وهذا الفصل هو من « السفر الخامس » من الاغاني ، على ما جاء في طبعة دي خويه ، ومن الجزء السابع عشر منها ، على ما جاء في مخطوطة دار الكتب المصرية ، كما يذكر الدهان .

ويضاف الى هذا الفصل اخبار متفرقة عن مسلم تتراوح في مجموعها بين سبع صفحات وتسع ، ورد بعضها ضمن تراجم غيره من الشعراء ، كأبي العتاهية وعلي ابن الخليل وابي الشيص وابن ابي عيينة ودعبل وابي نواس . كما ورد بعضها الآخر منثوراً هنا وهناك في اخبار ولد ابي محمد اليزيدي ، واسماعيل القراطيسي ، والوليد بن طريف .

واخبار الاغاني عن مسلم سلسلة من الروايات التي تفتقر الى التنظيم والدقة العلمية ، شأن جل روايات الاغاني. وعلى ذلك كان من الصعب احياناً ، ومن المستحيل احياناً اخرى، ربط بعض احداثها بمكان خاص او بوقت معين لنستعين

---

١) طبقات الشعراء ص ٢٣٦ .

٢) نفسه ص ٢٣٦ .

٣) نفسه ص ٨٧ .

بذلك على تحديد مكانها من سلسلة حياة صاحبها ونتبين الدوافع التي قد تكون أدت اليها والنتائج التي قد تكون نجمت عنها .

وعلى الرغم من ذلك ، فلعل هذه الروايات كانت المرجع الرئيسي الذي اعتمد عليه معظم من كتب عن مسلم فيما بعد .

وفي الوقت الذي قد نشك فيه ببعض هذه الروايات فاننا في الواقع لا نستطيع دحضها تماماً لافتقارنا الى الأسس التي تمكننا من ذلك . ولا اخالنا نستطيع ان نذهب الى ما ذهب اليه ابن الجوزي من ان مثل الاصبهاني « لا يوثق بروايته »[1] او الى ما روي من ان ابن تيمية قد ذهب اليه من تضعيفه واتهامه في نقله[2] ، كما لا نستطيع ان نسرف في امتداحه كما فعل ياقوت[3] وابن خلكان[4] . وكل ما نستطيع قوله هو اننا لمسنا فيه شدة الحذر والاستحاطة عند ايراده هذه الروايات ، فهو ينسبها لاصحابها عادة ، وان بدا له اختلاف في رواية حادثة فانه يذكر ما وصل اليه فيها من روايات دون ان يقتصر على سرد رواية واحدة منها[5] .

٤) معجم الشعراء للمرزباني (المتوفى ٣٨٤ هـ) :

افرد لمسلم ترجمة مختصرة في بضعة سطور ، ذكر فيها انه « مولى اسعد بن زرارة[6] الخزرجي يكنى ابا الوليد ويلقب بصريع الغواني» ، وانه «شاعر مفلق مستخرج للطيف المعاني بحلو الالفاظ » . كما ذكر انه « اول من طلب البديع واكثر منه وتبعه الشعراء فيه » . وذكر كذلك مدحه للرشيد ورؤساء دولته واتصاله بذي الرياستين الفضل بن سهل الذي ولاه بريد جرجان حيث مات .

ويبدو ان ليس في هذه الترجمة من جديد بالنسبة للتراجم التي ذكرناها سابقاً ، ولعل صاحبها استقاها منها او من غيرها من تراجم مشابهة سبقته ولم تصل الينا .

---

١) راجع تصدير الجزء الاول من كتاب الاغاني - ط . دار الكتب .

٢) نفسه .

٣) معجم الادباء ج ١٣ ص ٩٤ .

٤) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٦٨ .

٥) لاحظ ايراده لروايتين مختلفتين لحادثة واحدة في دي خويه ص ٢٥٣ (نقلا عن مخطوطة ميونيخ للاغاني) .

٦) هو اسعد بن زرارة بن عدس (راجع اسد الغابة ج ١ ص ٧١ ، واعيان الشيعة ج ١١ ص ١٩٦) .

٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣ هـ) :

ويترجم لمسلم في الجزء الثالث عشر في نحو صفحتين يذكر فيهما كنيته ونسبه ولقبه . ثم يذكر انه « كوفي نزل بغداد » وانه مدّاح مجيد ومفوّه بليغ ، مدح الرشيد والبرامكة ، وأسبغ عليه الرشيد في اول يوم لقيه لقب صريع الغواني اثر انشاده اياه لاميته المشهورة التي مطلعها :

أديرا عليَّ الكأسَ لا تشربا قبلي ولا تطلبا من عندِ قاتلَتي ذَحلي

ثم يورد عنه بضع روايات ، منها رواية ينقلها عن التنوخي ويذكر فيها ان مسلماً بز الشعراء جميعاً في ثلاثة ابيات هي « امدح بيت ، وارثى بيت ، واهجى بيت » ويذكر الابيات ؛ ومنها رواية يقول فيها انه لما ظهر الشيب بالمأمون كان يتمثل ببيت من شعر مسلم ، واخرى يذكر فيها ان ابا الحسن بن حدان سمع أباتمام وهو يقول بخراسان : «أشعر الناس واسهبهم كلاماً بعد الطبقه الاولى بشار والسيد الحميري ، وابونواس ومسلم بن الوليد بعدهم ».

ويلاحظ ان البغدادي ، في احد اخباره ، يذكر المرزباني في اسناد يبدأ بعلي بن ايوب القمي وينتهي بأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد . ويلاحظ كذلك انه لم يأت بجديد ذي شأن بالنسبة للمراجع التي سبقته ووصلت الينا .

٦) معاهد التنصيص للعباسي (المتوفى ١٦٣ هـ) :

أفرد ترجمة لمسلم في حوالي ست صفحات (٣٦٠-٣٦٥- ط. مصر ١٢٧٤) واورد بعض اخباره واشعاره منتثرة ، في حوالي صفحتين . وقد اعتمد في ذلك اعتماداً شبه كلي على الاغاني ، او لعله استقى وصاحب الاغاني من مصدر واحد غير معروف لدينا . فمعظم الروايات التي اوردها تشبه نظيراتها في كتاب الاغاني لا من حيث المعنى فحسب ، بل ومن حيث اللفظ وسياق الترتيب ايضاً . وقد نجد في بعضها بعض الالفاظ المغيرة ، كما نجد فيها كلها اختزالاً للاسناد .

اما الكتب التي من النوع الثاني ، اي تلك التي وردت فيها نتف من اخباره او ابيات من شعره في معرض الحديث عن شاعر آخر او خليفة او امير ، فكثيرة ، منها ما هو في التاريخ ، ككتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري ووفيات الاعيان لابن خلكان[1] ، ومنها ما هو في اللغة واصول البلاغة : ككتاب الصناعتين

---

١) حيث وردت اخبار عن مسلم في سيرة يزيد بن مزيد الشيباني .

للعسكري وسر الفصاحة للخفاجي ومعاهد التنصيص للعباسي ، ومنهـا ما هو في الادب ، ويشمل كتب الادب العامة : كالبيان والتبيين للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربه وزهر الآداب للحصري ، وكتب النقد: كوساطة الجرجاني وموازنة الآمدي وموشّح المرزباني، ودواوين بعض الشعراء الآخرين واخبارهم: كديوان ابي نواس واخبار ابي تمام للصولي وسقط الزند للمعري .

ولا اخالني في حاجة لتعداد جميع هذه الكتب فانها ستذكر في المراجع ، غير انني أرى من الواجب ان اشير الى انها لم تضف شيئاً كثيراً الى ما ورد في الكتب التي ترجمت لمسلم . ويبدو انها اعتمدت تلك الكتب في معظم ما روته من اخبار او اوردته من شعر مما يتصل به .

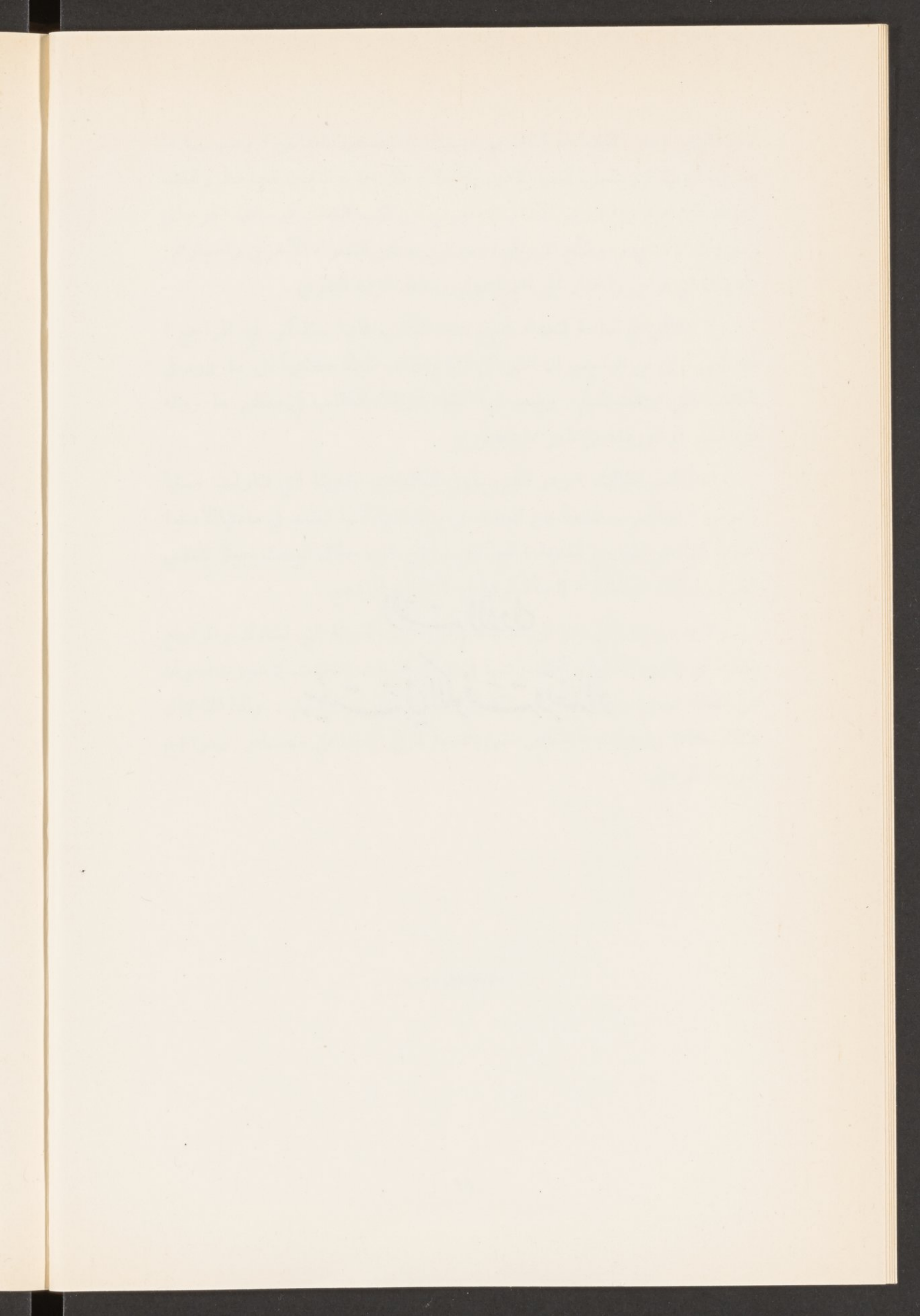
واما القسم الثالث ، وهو الذي يشمل الكتابات الحديثة التي تناولت مسلماً بالدرس ، فسأضرب صفحاً عن البحث في مشتملاتها لانها تعتمد في مادتها الاصلية اعتماداً كلياً على المراجع القديمة ، غير انني سأشير اليها خلال البحث حيثما تقتضي الضرورة اللازمة ذلك ، كما سأذكرها في كشّاف المراجع .

ولا بد من ان اشير هنا الى ان هذه الدراسات الحديثة التي تشترك والمراجع القديمة في المادة الاصلية وتختلف عنها في منهاج البحث، عجزت كما عجزت اصولها عن اعطاء صورة واضحة المعالم متكاملة الخطوط عن حياة مسلم . ولذا فلا تزال هناك مظانّ وفجوات لا مناص منها بالنسبة لما في ايدينا من مصـادر ومراجع لدراسة الرجل .



القسم الأول

بيئته في الكوفة وبغداد



قضى مسلم معظم حياته في الكوفة وبغداد . اما الكوفة فكانت مسقط رأسه ومرتع صباه وشبابه ، ولذا كان من حقنا ان نسهب بعض الاسهاب في التحدث عنها وعن الحياة التي سادت فيها آنذاك لنتبين العوامل التي كانت تتنازع الشاعر في الوقت الذي كانت تتبلور فيه شخصيته وتتكون لديه المثل التي اختارها لنفسه او فرضت عليه نفسها في الحياة .

واما بغداد فقد وفد اليها بعد ان اكتملت مقومات شخصيته او كادت . والواقع انه في الوقت الذي كان يعمل فيه على بناء هذه الشخصية كانت بغداد ايضاً تعمل على تكوين شخصيتها الخاصة بعد ان انشأها المنصور عام ١٤٥ هـ. ولما كان انتقاله الى هذه المدينة قد جاء اثر تبلور شخصيته كان اثرها فيها اضعف من اثرها في مجرى حياته العامة .

الكوفة :

كان قد مضى على تأسيس الكوفة[١] حين ظهور مسلم حوالي قرن وربع كانت خلالها تنمو بسرعة غريبة وتجذب اليها عدداً متزايداً من الناس ، من عرب واعاجم . ولا ريب انه كان لموقعها الاثر الكبير في ذلك ، فهي تسيطر على الجسر الذي يصل الطريق التجاري الكبير الذي كان يربط اعالي آسيا بأقصى اليمن ، اما عن طريق نجد او عن طريق الاحساء ماراً بوادي الدويسر ونجران[٢] . وهي تقع على حافة الصحراء العربية فتكون بذلك نقطة التقاء بين سكانها وسكان المناطق العامرة التي تقع على تخومها . ثم انها تتصل بشمال العراق وجنوبه عن طريق الفرات ، وتتصل بالغرب عن طريق موقع النجف؛ وتقرب من الحيرة التي اخذت تتنازل عن اهميتها شيئاً فشيئاً لخليفتها الجديدة . اضف الى ذلك جودة مناخها وخصوبة ارضها بالنسبة لكثير من الاماكن التي عرفها العرب بعد الفتوح : قال الكلبي:[٣] « قدم الحجاج بن يوسف على عبدالملك بن مروان ومعه اشراف العراقين فلما دخلوا على عبدالملك تذاكروا امر الكوفة والبصرة ، فقال محمد بن عمير المطاردي : الكوفة سفلت عن الشام ووبائها وارتفعت عن البصرة وحرها فهي مريئة مريعة ، اذا اتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على

---

١) كان ذلك في خلافة عمر ، سنة ١٧ أو ١٨ أو ١٩ للهجرة - راجع معجم البلدان ج ٧ ص ٢٩٥

٢) خطط الكوفة ص ٦

٣) معجم البلدان ص ٢٩٨

مثل رضراض الكافور ، واذا هبت الجنوب جاءتنا ريح السواد وورده وياسمينه واترنجة ، ماؤها عذب وعيشنا خصب » .

وعلى الرغم من ان عدم الاستقرار الذي انتاب المدينة في فترات، خلال النزاع بين العلويين والامويين والخوارج والزبيريين ، اعاق نموها بعض الشيء ، فانه لم يكن في الواقع ، ليحول دون هذا النمو ؛ وعرفت المدينة في اواخر حكم بني امية عهداً ناشطاً وحياة علمية وادبية خصبة ظهر اثرها في ما وصل الينا من نتاجها الضخم في كتب الادب المختلفة .

وحين قام العباسيون بدعوتهم عام ١٣٢ هـ احتلوا المدينة وجعلوها عاصمة لهم حوالي سبع عشرة سنة ، رغم ان خلفاءهم لم يكونوا يسكنون فيها في العادة، بل في الهاشمية [١] احياناً وفي الانبار احياناً اخرى.[٢] وفي هذه الحقبة كانت المدينة في عصرها الذهبي ، وكانت الكوفة التي استقبلت مسلماً وليداً وصبياً .

وبعد اتخاذ بغداد عاصمة جديدة على يـد الخليفة العباسي الثاني ابي جعفر المنصور حوالي سنة ١٤٩ هـ، اخذت اهمية الكوفة تخبو تدريجياً وان كانت قد احتفظت الى القرن الخامس بشهرتها العلمية التي حصل عليها سكانها في النصف الاول من القرن الثاني.[٣]

المجتمع الكوفي : ١) عناصره وحاجاته

اخذت المدينة النامية تجذب اليها انظار الناس منذ تأسيسها ، فأخـذوا يتوافدون عليها من شتى البلاد ، طلباً لرزق ، او رغبةً في علم، او نشداناً للذة، او التماساً لحاجة ، وغدا سكانها نتيجة لذلك يتكونون من عنصرين اساسيين : العرب والاعاجم .

اما العرب فقد كانوا يمثلون الطبقة الارستقراطية الحاكمة ، وكانوا يعيشون في الغالب على الاموال التي تجبى من ابناء البلاد المحتلة [٤] وعلى ما كانوا يقطعون

١) مدينة على الفرات ، شمالي الكوفة ، بناها المنصور في اوائـل الدولة العباسية . راجع الفخري ص ١١٥ .

٢) Encyclopaedia of Islam (kufa)

٣) نفسه

١) Nicholson — A Literary History of the Arabs p. 189

من اراض[١] وضياع[٢] في سواد المدينة وبعيداً عنها. وكانوا كعادتهم يستنكفون عن العمل بأنفسهم في الزراعة والمهن الحرة ويتركون ذلك للموالي. والظاهر ان معظمهم كانوا يرتعون في بحبوحة من العيش ساعدت على سيادة حياة المرح وشيوع مجالس اللهو في المدينة، كما ان معظمهم كانوا من اليمانيين[٣] الذين منهم الانصار جماعة مسلم، والذين امتازوا عن غيرهم بقدرتهم على التصور والابتكار[٤]. ويبدو ان جميع هؤلاء لم يقطنوا المدينه في بادىء الامر بل بقيت بعض قبائلهم بادية تحل في ظاهرها[٥] وقدر لها ان تسهم اسهاماً قيماً في الدور الذي لعبته المدينة في حقلي اللغة والرواية بصورة خاصة.

واما الاعاجم فكانوا اخلاطاً من الناس نزح معظمهم الى المدينة بعد تمصيرها وتكونت منهم طبقة الموالي التي كانت تشمل اكثر من نصف السكان[٦]. وكان معظم النازحين من بلاد فارس ومن سكان العراق الاصليين ولا سيما سكان الحيرة[٧]، كما كان قسم منهم من سبايا الحروب او ممن احضره النخاسون لبيعه في كناسة المدينة[٨]. وعلى الرغم من ان معظم هؤلاء كانوا ينتمون لحضارات عريقة فقد عملوا في المهن التي كان العرب يترفعون عن العمل فيها، فكان منهم الصيارفة والصياغون والبقالون والخزازون والقصارون والجزارون وغيرهم[٩]. ويبدو انه كان بينهم في القرن الثاني جماعة من مهرة الصناع والفنانين، فقد جاء في الطبرى[١٠] ان المنصور احضر احد ابواب مدينته من الكوفة، وذكر ماسينيون[١١]

---

١) خطط الكوفة ص ١٧، ٢٠

٢) نفسه ص ٢١، ومروج الذهب ج ٤ ص ٢٠٤

٣) خطط الكوفة ص ١٥

٤) نفسة ص ١٣

٥) زيدان ج ٢ ص ١٨

٦) (نقلاً عن : Nicholson p. 219 (Wellhausen p. 79

٧) الموسوي، نزهة الجليس ص ٦٩

٨) الخصيبي، الهداية ص ٤٥٣ (عن خطط الكوفة ص ٣١). والكناسة ميدان كانت تبرك فيه الابل وتحط القوافل القادمة للمدينة والراحلة عنها. لذلك كانت ملتقى المسافرين واحد المراكز التي يجتمع فيها الناس، ثم اصبحت فيما بعد اشبه بمربد البصرة

٩) خطط الكوفه — ص ٢٦

١٠) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٢١ (اخبار سنة ١٤٩)

١١) خطط الكوفة ص ٢٦

نقلاً عن ب . بليوت (P. Pelliot) ان رسامين صينيين « كانا يقطنان بين سنة ٧٥١ و٧٦٢ م [١] في (يا–كيو–لو) (= عاقولا) وهو الاسم السرياني للكوفة » .

وكان بين هؤلاء الاعاجم جماعة من النصارى واليهود [٢] اشتركوا في حياة المجتمع الكوفي واسهموا في تطوره المادي والفكري . ولا ريب في ان وجود هؤلاء الاعاجم قد ادى الى نمو طبقة العامة في المدينة ، كما ادى الى تلقيح الفكر العربي وبعث نهضة عامة في البلد .

ولئن اصيب بعض ابناء هذه الفئة بشيء من الحرج النفسي خلال الحركة العربية المقاومة للشعوبية فكثر ادعياؤهم في القبائل العربيه نتيجة لذلك ، فان الكثيرين منهم كانوا يتمتعون بروح عالية لفضل علمهم وشعورهم بأثالة مجدهم :

قال ابوهشام الرفاعي : [٣] «سمعت رجلاً من بني قفل من خيار بني تميم يقول لأبي حنيفة ما انت مولاي ، فقال انا والله لك اشرف منك لي . »

ومهما يكن الامر ، فقد التقت في الكوفة بالتقاء هؤلاء الاعاجم والعرب ثقافات منوعة : عربية وبابلية وفارسية وهندية ويونانية [٤] . وكان لا بد لهذه الثقافات المتجاورة من ان تتفاعل بعضها ببعض لتكون حصيلة واحدة متى امكن ، كما كان لا بد لاصحابها من تحدي العوامل التي من شأنها اعاقة تكوين مجتمع متآلف متناسق . وعلى ذلك ظهرت حاجة طبيعية الى التقارب بين عنصري المجتمع الرئيسيين والى تقوية اسس التفاهم المشترك بينهما . وغدا لزاما على المغلوب معرفة لغة الغالب والاطلاع على مثله في الحياة ، كما اصبح لزاما على الغالب التعرف بحياة المغلوب والاستفادة من خبرته في شتى ضروب المعرفة . والواقع ان اندماج الفريقين كان ضرورة اجتماعية تولدت عنها حاجات معينة تتصل اصول بعضها بالحياة النفسية لكل منهما الى حد بعيد . فقد احس العرب ، امام هذه الاقوام التي كانت تفوقهم بثقافتها ، بشيء من الهزيمة المعنوية التي وجدت لها متنفسا في اتجاهين : اولهما التباهي بهذا التراث الديني واللغوي والادبي الذي خرجوا به من الجزيرة والعمل على انماء هذا التراث واظهاره بأجود

---

١) تقابلها سنتا ١٣٣ ، ١٤٥ ﻫ على التوالي
٢) خطط الكوفة ص ٢٥
٣) تاريخ الطبري ص ٢٥١٠ (ذكر من هلك منهم سنة ١٥٠)
٤) الجواري ص ١٧١–٧٢

المظاهر، وثانيها الهروب من هذا الواقع الى حياة اللذائذ والترف . وشعر الفرس بمرارة الهزيمة المادية وما لازمها او نجم عنها من هزيمة معنوية ، واخذت نفوسهم ، عن وعي او عن غير وعي ، تتلمس التعويض عن هذه الهزيمة بنشدان التفوق على العرب واظهار هذا التفوق في مجالاته المنوعة من ادارية وعلمية وادبية ، وكذلك بالهروب من واقعهم الاليم بزيادة التهافت على اللذائذ وطلب المجون . ولئن كان في انتصار بني العباس على الامويين بمساعدتهم ما انعش آمالهم وعزز مكانتهم ، فان هذا الانتصار في الحقيقة لم ينزع من نفوسهم مرارة الهزيمة الاولى التي كانت قد تربت فيها اثر الفتوح ، وظهر اثرها واضحا في ازدهار الحركة الشعوبية .

٢) مظاهر الحياة فيه :

ولم يكن بد للحياة الجديدة من ان تلاقي حاجات السكان جميعاً سواء كانت هذه الحاجات مادية ام فكرية ام روحية . ولذا تعددت مسالك الناس وتنوعت مظاهر الحياة حتى اخذ بعض السكان يعيبون على اهل « المدينة » ، عن حق او عن غير حق ، انصرافهم الى حياة الطرب وحسب [١] .

وما ان جاء القرن الثاني ، وهو القرن الذي سلخ فيه مسلم معظم حياته ، حتى ازدادت الحياة تنوعا – على ما يظهر – واخذت المدينة تجمع بين الفقيه المحافظ والماجن الخليع ، الثري الموسر والفقير المدقع ، العابد المتهجد والزنديق الكافر . ومن الطبيعي ان تعمل حياة كهذه على اخلال التوازن في السلوك الانساني ، والى الميل بالكثيرين الى التطرف الى هذا الجانب او ذاك من جوانب الحياة . وسنرى فيما بعد اثر هذه الحياة في سلوك مسلم وفي تكوين بعض العناصر الرئيسية لشخصيته .

ولعل من الخير ان نعرض بايجاز للونين هامين من الوان هذه الحياة التي سادت الكوفة في القرن الثاني ، وهما الحياة العقلية الرزينة ، وحياة المجون اللاهية :

الحياة العقلية :

تناولت هذه الحياة ، في ما تناولت ، العلوم الدينية ، واللغة والنحو ، والرواية ، والشعر .

---

١) انظر الطبري ص ٢٥١٠

اما **العلوم الدينية** فقد كانت الكوفة مركزاً هاماً من مراكزها في القرن الثاني . ويعود ذلك الى كثرة من كان قد نزح اليها من صحابة وتابعين منذ تأسيسها [1] . فقد انشأ هؤلاء مدرسة دينية فيها تقوم على مدارسة القرآن الكريم وما يتصل به من تفسير وقراءات وحديث وفقه . وقد امتدت هذه المدرسة الى القرن الثاني وما بعده وانتمى اليها كثير من الرجال بينهم عدد كبير من الموالي .

واهم رجال هذه المدرسة الشعبي (+ ١٠٧ هـ) ، المحدّث المشهور الذي يقال انه ادرك حوالي خمسمئة من الصحابة وانه « كان يعد عالم الكوفة بين التابعين » [2] وحمّاد بن ابي سليمان الاشعري (+ ١٢٠ هـ) الفقيه المرجىء . وابو حنيفة (+ ١٥٠ هـ) الفقيه المشهور . وحمزة بن حبيب بن عمارة الزيات (+ ١٥٨ هـ) « شيخ القراء واحد السبعة الائمة » . [3] والثوري (+ ١٦١ هـ) المحدّث الفقيه . وشيبان بن عبد الرحمن مولى بني تميم (+١٦٤ او ١٧٠ هـ) [4] الفقيه . والكسائي (+ ١٨٩ هـ) « احد القراء السبعة المشهورين » [5] وأبوبكر ابن عياش بن سالم الخياط(+١٩٣هـ) الفقيه العالم .

وكان بعض هؤلاء يرحلون في طلب الحديث والفقه الى مختلف الامصار الاسلامية ، كما كان بعضهم يعقدون حلقات في مسجد الكوفة يعرضون فيها لقضايا الفقه ويفتون في المسائل التي تعرض عليهم . فقد كانت لحماد بن ابي سليمان الاشعري مثلا حلقة كبيرة في المسجد « يجلس اليه فيها المتعلمون يعلمهم ويسألونه ، ويأتي اليه اصحاب الحاجات في المسائل التي تعرض لهم فيستفتونه » [6] وكذلك كانت حلقة اخرى لتلميذه ابي حنيفة يعلم فيها ويفتي في القضايا التي تعرض عليه .

ولا بد انه اتيحت فرص كثيرة امام مسلم للاستماع الى ما كان يقال في هذه

---

١) راجع طبقات ابن سعد (ج ٦ ص ١ - ٤٣) ، وتاريخ الكوفة للبراقي (ص٣٨٤-٣٩٨) لترى العدد الضخم من الصحابة والتابعين الذين نزلوا الكوفة

٢) الرافعي ، تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٨٧

٣) معجم الادباء ج ١٠ ص ٢٨٩ .

٤) نفسه ج ١١ ص ٢٧٦

٥) نفسه ج ١٣ ص ١٦٧

٦) ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٨٢

الحلقات من فتاوى ويدور فيها من جدل .

واما **اللغة والنحو** فقد اهتم بهما الكوفيون اهتماما خاصا لسببين رئيسيين : اولهما الاستفادة منها في تفسير القرآن الكريم واستخلاص احكامه وضبط قراءته ، وثانيهما الاستعانة بهما على مقاومة اللحن الذي اخذ يتسرب الى اللغة بسبب الاعاجم . وظهر في المدينة في القرن الثاني عدد من اللغويين والنحويين [١] اهمهم الرؤاسي (+ ١٩٠ هـ) ، والهرّاء (+١٨٧ هـ) ، والكسائي (+١٨٩ هـ) ، والفرّاء (+ ٢٠٧ هـ) ، والشيباني (+ ٢١٣) وغيرهم .

واود ان اقف قليلا عند الفرّاء من بين هؤلاء جميعاً ، لا لسعة معرفته في اللغة والنحو ، ولا لتضلعه بالفقة ، ولا لحذقه في ايام العرب واشعارها ، بل لانه فوق ذلك – كما يقول الرواة – « ماهر في علم النجوم ، وخبير بالطب .... ومتكلم يميل الى الاعتزال » ولانه « كان يتفلسف في تصانيفه ، ويستعمل فيها الفاظ الفلاسفة » . [٢] فان صح قول الرواة هذا كانت له دلالتان على جانب كبير من الاهمية : اولاهما ان شيئا من علوم الاجانب اخذ يتسرب الى اوساط الكوفة في ذلك الوقت ، وثانيهما ان الفلسفة وما لازمها من محاولة اخضاع الدين للعقل اخذت تجد طريقها الى الكوفة وتعمل في حياتها العقلية كما وجدت طريقها الى شقيقتها البصرة وعملت في حياتها العقلية ايضا .

وقد حذا بعض هؤلاء حذو اهل الحديث في الارتحال للتحصيل ، فارتحل بعضهم الى البصرة واخذوا عن علمائها كما ارتحلوا الى البادية واخذوا عن اهلها : فقد روي عن الكسائي مثلاً انه ذهب الى البصرة واخذ عن الخليل بن احمد ، وانه خرج الى بوادي الحجاز ونجد وتهامة فرجع وقد انفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ . [٣]

وكان لبعض هؤلاء كتاتيب في المدينة يعلمون فيها الصبية [٤] ، كما كان لبعضهم حلقات في المسجد يجتمع اليهم فيها طلبة العلم ورواد المعرفة [٥] .

---

١) انظر الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ١٣٥ – ١٥٤

٢) معجم الادباء ج ٧ ص ٢٧٦

٣) نفسه ج ١٣ ص ١٦٩ ، ضحى الاسلام ج ٢ ص ٣٠٦

٤) انظر معجم الادباء ج ١٣ ص ١٩٨

٥) نفسه ص ١٧٠ ، طبقات النحويين واللغويين ص ١٤٥ - ٥٠

وتكونت من هؤلاء جميعاً مدرسة خاصـــة تقوم على القياس وتنافس مدرسة البصرة التي كانت تقوم على السماع ولا تجيز رأيا الا اذا ايّـد بالشاهد واحتج له بكلام العرب[١].

ويبدو ان اهل البصرة كانوا اكثر اعتداداً بأنفسهم من اهل الكوفة ، ولذا فقد كان الكوفي يأخذ عن البصري بينما البصري يتحرج عن ان يأخذ عن الكوفي، حتى قالوا « ان ابا زيد[٢] كان يروي عن علماء الكوفة ، ولا يعلم احد من علماء البصريين بالنحو واللغة اخذ عن اهل الكوفة الا ابا زيد ، فانـــه روى عن المفضل الضبي »[٣].

واما **الرواية** فقد راج سوقها في المدينة في القرن الثاني فكثر فيهـا الرواة وتشعبت مناحيهم ، فمنهم من غلبت عليه رواية الحديث كمن سبق من المحدثين ، ومنهم من غلبت عليه رواية الاخبـار والتواريخ كمحمد بن اسحق وابي مخنف لوط بن يحيى وعوانة بن الحكم وسيف بن عمر وزياد البـكائي ، ومنهم من غلبت عليه رواية الشعر والادب كالحمادين[٤] وجناد بن واصل ولقيط بن بكير المحاربي والهيثم بن عدي بن عبد الرحمن والمفضل الضبي والقـاسم بن سلام وابن الاعرابي وابو عمرو الشيباني وغيرهم .

وكان هؤلاء الرواة يتصلون بالاعراب ويأخذون عنهم ثم يسهمون في حركة التدوين التي اخذت تنشط في المدينة في عهد مسلم .

واما **الشعر** فقد راج ايضاً،ووجد في المدينة في القرن الثاني كثير من الشعراء اهمهم : الكميت بن زيد ، ومطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد ، ويوسف بن لقوة، وابو العتاهية ، ومسلم بن الوليد ، ودعبل الخزاعي ، والمؤمل بن اميـل ، وابو دلامة الاسدي، وحماد عجرد، وحماد الرواية، وشريك بن عبدالله،وكثير غيرهم.

وقد ذكر السيوطي ان « الشعر بالكوفة اكثر واجمع منه بالبصرة ، ولكن اكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله »[٥] : ولعل هذا يعكس لنـا شيئاً عن

---

١) انظر ضحى الاسلام ج٢ ص٢٩٤-٢٩٨، وتاريخ ادب العرب للرافعي ج١ ص٣٢-٤٣٢

٢) الانصاري

٣) الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ص ١٧٥

٤) حماد عجرد ، وحماد الراوية ، وحماد بن الزبرقان (انظر الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٥٤)

٥) المزهر ج ٢ ص ٢٠٦

خلق بعض رواة الكوفة كالحمادين الذين لم يتورعوا عن انتحال كثير من الشعر ونسبته الى من لم يقله .

وقد اسهم شعراء الكوفة ، كما هو متوقع ، في حياة مدينتهم العامة ،واقحم الكثير منهم انفسهم في التيارات السياسية المختلفة التي كانت تعصف بالعراق في زمنهم ، فضلع بعضهم مع آل الزبير كالمغيرة بن عبدالله ، وانتصر بعضهم لآل البيت كالكميت ، ومدح بعضهم العباسيين كالمؤمل بن اميل ، ودافع بعضهم عن الطالبيين كدعبل الخزاعي .

حياة المجون واللهو

الى جانب الوجه العلمي والادبي من حياة الكوفة كان هناك وجه آخر يقوم على المجون والعبث واللهو . فقد كان يعيش في هذه المدينة ، زيادة على سكانها العرب ، كما نعلم ، كثير من الاعاجم والموالي والجواري ، وكانت تتمثل في معظم هؤلاء المظاهر المادية للمدنية الفارسية ولذا فقد شاع بينهم العبث وانتشر المجون واللهو . وكان يجاريهم في ذلك طبقة ليست بالقليلة من ابناء العرب ممن اغرتهم هذه الحياة الحضرية الناعمة ولذّت لهم .

ويبدو ان قرب الكوفة من الحيرة من جهة ، واتصالها بمكة والمدينة بالطريق الصحراوي من جهة اخرى ساعدا على شيوع هذا النمط من الحياة فيها، فقد سبقتها هذه المدن الى ذلك واخذت تؤثر فيها من هذه الناحية . وعلى ذلك فقد غدت الكوفة منذ اواخر العصر الاموي الموطن الاول لهذا اللون من الحياة . فكانت تعج بمجالس الشراب والغناء واللهو وكان فيها من يمتهن اعداد هذه المجالس فيهيء فيها اسباب اللهو لمن يغشاها من الظرفاء وطلاب اللذة :

فقد روى صاحب الاغاني انه « كان في الكوفة صاحب قيان يقال له ابن رامين قدمها من الحجاز فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده مثل يحيى بن زياد الحارثي وشراعة بن الزند ومطيع بن اياس وعبدالله بن العباس المفتون وعون العبادي الحيري ومحمد بن الاشعث الزهري المغني ...

وكان لابن رامين جوارٍ يقال لهن سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة وكنّ من احسن الناس غناء »[1] .

1) الاغاني ج ١٠ ص ١٢٨

وظهر في المدينة في اواخر القرن الاول الهجري ، وكذلك في القرن الثاني ، طائفة من الشعراء المجّان عرفوا بالظرف والاستهتار . ومن بين هؤلاء : الاقيشر الأسدي وحماد عجرد ومطيع بن اياس وعلي بن الخليل ويحيى بن زياد وغـيرهم . واخذ هؤلاء الشعراء يعقدون مجالس خاصة يشيع فيهـا اللهو وتتسم بالمرح والظرف ، وغدت حياتهم تسيطر عليها روح اللطافة والتندر .

روى صاحب الاغاني [1] ان يحيى بن زياد الحارثي قال لمطيع بن اياس «انطلق بنا الى فلانة صديقتي فان بيني وبينها مغاضبة لتصلح بيننا وبئس المصلح انت . فدخلا اليها فأقبلا يتعاتبان ومطيع ساكت حتى اذا اكثر قال يحيى لمطيع ما يسكتك اسكت الله نامتك ، فقال لها مطيع :

انت معتلة عليه وما زا ل مهيناً لنفسه في رضاكِ

فاعجب يحيى ما سمع وهش له مطيع

فدعيه وواصلي ابن اياس جُعلت نفسيَ الغداة فداكِ

فقام يحيى اليه بوسادة في البيت فما زال يجلد بها رأسه ويقول ألهذا جئت بك يا ابن الزانية ومطيع يغوث حتى مل يحيى والجارية تضحك منهما ثم تركه وقد سدر » .

ويستنتج من كل ما ذكر عن حياة الكوفة انه كان يتجاور فيهـا ابان نشأة شاعرنا فريقان من الناس : احدهما محافظ يأخذ بذيول الحياة القديمة ويتمثل في طبقة الفقهاء والعلماء والرواة ، والآخر مجدّد يسعى وراء الحياة الحادثة ويتمثل في طائفة من الناس بينها جماعة ليست بالقليلة من رجال الشعر والادب . وكان من الطبيعي ان يضيق كل من هذين الفريقين ذرعاً بالآخر وان يشتد الصراع بينهما . وكان من الطبيعي ايضاً ان يظهر بين هذين الفريقين فريق ثالث يحاول جهده ان يلائم في حياته الخاصة بين القديم والجديد ، وان يسلك طريقاً وسطاً بين اصحابها : يدافع عنهم جميعاً ، ويعتذر عنهم جميعاً ، ويضيف الجيدوالرديء لكل منهم. [2]

---

١) الاغاني ج ١٢ ص ٨٣

٢) انظر تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ١١٤ ، والجواري ص ١٩٣ .

بغداد : نشأتها ونموها

بنى المنصور مدينة بغداد واتخذها عاصمة لملكه لانه لم يرتح الى اقامته بجوار الكوفة بعد ان لمس تذمر العلويين لاستئثار العباسيين بالحكم دونهم ، وبعد ان خشي على جيشه من تحريض اهل الكوفة ، وهم شيعة العلويين [١] .

وقدر للمدينة الجديدة ان تزدهر فقد « تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة او الصناعة او الادب او الشعر او للاخذ بأسباب الملاهي فالتقى فيها العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والصقلبي والهندي والبربري والزنجي »[٢] .

وكان ابو جعفر ميالاً للعلم والادب ، وشاء ان يجعل من عاصمته مدينة تشع بأنوارها على جميع المسلمين فدعا اليها عدداً من العلماء الممتازين في القراءات والوعظ والنحو والحديث من مدينتي الكوفة والبصرة اللتين كانتا آنذاك من اهم مراكز العلوم الاسلامية . [٣]

وكان لرغبة من تبعه من الخلفاء ، ولا سيما الرشيد ، في العلم والادب واكرامهم للعلماء والادباء ما شجع هؤلاء على النزوح اليها « فلم يبق ذو قريحة او علم او ادب الا يمّم دار السلام ونال جائزة او هدية او راتباً » [٤]

ومن هنا اصبحت المدينة مركزاً سياسياً وعلمياً وادبياً تضاءلت امامه المدينة ودمشق والكوفة والبصرة وغدت مركز الثقل في الحياة العربية العامة .

بغداد مركز سياسة الدولة .

منذ ان انتقل المنصور الى بغداد اصبحت مقر الخلافة وعاصمة الدولة ، وغدا فيها كبار رجال السياسة من وزراء ورؤساء ودواوين وكتّاب . وتوثقت الصلة بينها وبين اجزاء الدولة واخذ يرتادها اصحاب المصالح السياسية من كل صقع .

وباعتبارها عاصمة للدولة لم تكن تستطيع ان تعيش بمعزل عن اية حركة سياسية او دينية او اجتماعية تظهر في اي جزء من اجزائها ، او اية حركة عسكرية تبدو قريباً من الثغور . ولذا لم تكن مهمة خلفائها ووزرائهم مهمة

---

١) الجواري — الشعر في بغداد ص ٢٠

٢) زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٧ — ١٨

٣) O'leary, How Greek Science passed to the Arabs p. 150

٤) زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٨

يسيرة وهم المسؤولون عن سياسة بلاد واسعة الارجاء ، متباينة المذاهب ، مختلفة السكان .

والواقع انه تعاقب على كرسي الخلافة في بغداد ، منذ عهد المنصور حتى وفاة مسلم سنة ٢٠٨ هـ ، ستة خلفاء [١] لم يخل حكم اي منهم من اضطرابات ، داخلية كانت تلك الاضطرابات ام خارجية .

ففي الحقل الداخلي حدثت حركات ثورية قام بها العلويون والخوارج وغلاة الفرس [٢]. وكان الغرض من معظم هذه الحركات تهديد الحكم العباسي والقضاء عليه . ولئن وقف الخلفاء موقفاً صارماً من جميع هذه الحركات فانهم في الوقت نفسه لجأوا الى سياسة في الاسترضاء اعانهم عليها البرامكة اعانة فعالة [٣] .

ومن الجدير بالذكر ان شعر مسلم سجل لنا بعض احداث هذه الحركات ولاسيما ما كان منها ذا صلة بممدوحيه .

واما في الحقل الخارجي فقد كان البيزنطيون لا ينون عن تهديد بلاد الخلافة لاستعادة ما كان العرب قد اقتطعوه من مملكتهم . وتاريخ هذا التهديد قديم يرجع الى زمن الامويين ، غير انه استمر في العهد العباسي فكان لحكم كل من المنصور والمهدي والرشيد نصيب وافر منه . [٤]

---

١) ١. ابو جعفر عبد الله المنصور (ابن محمد) ١٣٦ – ١٥٨ هـ / ٧٥٤ – ٧٧٥ ب م
٢. ابو عبد الله محمد المهدي (ابن المنصور) ١٥٨ – ١٦٩ هـ / ٧٧٥ – ٧٨٥ ب م
٣. ابو محمد موسى الهادي (ابن المهدي) ١٦٩ – ١٧٠ هـ / ٧٨٥ – ٧٨٦ ب م
٤. ابو جعفر هارون الرشيد (ابن المهدي) ١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٩ ب م
٥. ابو موسى محمد الامين (ابن الرشيد) ١٩٣ – ١٩٨ هـ / ٨٠٩ – ٨١٣ ب م
٦. ابو جعفر عبد الله المأمون (ابن الرشيد) ١٩٨ – ٢١٨ هـ / ٨١٣ – ٨٣٣ ب م
من كتاب : E. de Zambaur Manuel de Genealogie et de Chronologie Pour l'Histoire de l'Islam, pp. 4-5.

٢) تجد اخبار ذلك منشورة في سير الخلفاء في الفخري لابن طباطبا ، ومختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي لسيد امير علي .

٣) Nicholson, A Literary History of the Arabs, p. 259.

٤) انظر ذلك في :
حتي ، جرجي ، جبور – تاريخ العرب (مطول) ص ٣٦٣ و ٣٧١ – ٧٣ .

وقد جرد الرشيد بصورة خاصة سلسلة من الحملات على خصومه كللت جميعها بالنجاح . وكان من حسن الحظ ان تعاون الادب والتاريخ في تسجيل بعض هذه الحملات فظهرت في شعر مسلم ، ولا سيا في مدائحه للرشيد ويزيد بن مزيد .

حياتها الاجتماعية :

لم تكن حياة بغداد الاجتماعية ، بُعيد انشائها ، تختلف كثيراً عن حياة الكوفة ، فقد استمدت كل من الحياتين اسسها من عناصر متشابهة . زد على ذلك ان قسماً من سكان الكوفة انفسهم اسهموا في بناء مجتمع بغداد الجديد حين نزحوا اليها .

غير ان وجود الخليفة وحاشيته في بغداد نفسها واخذهم بمظاهر الحياة المدنية ساعد على انتشار هذه الحياة بين الناس بشكل اوسع مما عهدته الكوفة ، ولاسيا بعد ان اخذت مرافق الدولة تزداد ومواردها تتسع. وهكذا فلم يمض على تأسيس المدينة نصف قرن حتى اصبحت في عهد الرشيد ام المدائن الاسلامية المتحضرة و « ومنافسة بيزنطة الوحيدة » [1] في العالم المعروف آنذاك .

وكان سكان بغداد ، كما نعلم ، يتكونون من عرب واعاجم ، وقد كثر اختلاط العرب منهم بالاعاجم بالمعاشرة والمزاوجة الى حد لم يعد فيه للدم كبير قيمة في الاختلافات الطبقية في المجتمع . وعلى ذلك لم تعد الطبقة الارستقراطية مقصورة على ذوي الانساب الشريفة من العرب كما كان الامر في عهد بني امية ، بل اخذ يرتقي اليها رجال معظمهم من الموالي لهم من علمهم وذكائهم وحب الخلفاء لهم ما يؤهلهم لذلك . ولعل البرامكة افضل مثل يمكن ان يقدم على ذلك .

وكانت تشمل هذه الطبقة الخليفة واسرته وكبار موظفي الدولة واعضاء الاسرة الهاشمية . وكان رجالها يستأثرون بمعظم الثروة التي كانت تنثال على خزانة الدولة انثيالاً . ولذا فقد توفرت لديهم وسائل العيش المترف فكثر بذخهم [2]

---

١) حتي ، جرجي ، جبور – تاريخ العرب (مطول) ص ٣٧٤ .

٢) في كتب الادب والتاريخ دلائل كثيرة على ذلك ، منها :

١ – اتخاذ زبيدة زوج الرشيد الخفاف المرصعة بالجوهر (مروج الذهب ج ٨ ص ٢٩٨) .

٢ – ما نثر من لآلىء وبدا من ابتذال للذهب يوم عقد المأمون على بوران (لطائف المعارف ص ٥٧٣) .

٣ – حشو الامين فم ابي نواس بالدرحين استحسن مديحه له (اخبار ابي نواس لابي هفان ص ٧١).

واخذوا يفتنون في حياتهم الخاصة افتناناً فبسوا بعضه من اكاسرة الفرس السابقين وارستقراطييهم ، وابتكروا بعضه بوحي من وسائل الحضـــارة التي توفرت لهم . فكثر اقتناء معظمهم للجواري والغلمان وانغمسوا في حياة الرذيلة واقاموا للهو مجالس خاصة تضمخوا فيها بالخلوق ولبسوا الحرير (١) وشربوا الخمر واستمعوا الى القيان (٢) . وانتقلت العدوى ، بصورة خاصة ، الى طبقة الادباء والشعراء الذين استعانوا بما كان يغدقه هؤلاء عليهم من مال ، على مثل هـــذه الحياة ، فعقدوا مجالس للشرب والغناء ، وتهافتوا على اللذة ، وقصدوا الحانات والمواخير (٣) ، وسعوا وراء الجواري والغلمان . (٤)

اما طبقة العامة التي كانت تشمل الفلاحين وصغار الصنّاع والجنود والارقّاء فقد اهملها المؤرخون على ما يظهر ، ولذا بتنا لا نعرف عنها الكثير . غير انــه يؤخذ من بعض ما وصل الينا من شعر واخبار متفرقة (٥) انهـا لم تكن سعيدة الحال . قال ابو العتاهية (٦) يخاطب هارون الرشيد :

من مبلغ عـــني الاما م نصائحاً متواليـــة
اني أرى الاسعار اســـــــــــعار الرعية ، غاليـة
وأرى المكاسب نزرة وارى الضرورة فاشية
وارى الارامل واليتا مى في البيوت الخالية
من للبطون الجائعا ت وللحوم العارية ؟
يا ابن الخلائف لا فتنـــــــــــت ولا عدمت العافية
القيت اخبـارا اليـــــــــــك عن الرعية شافية

وكان معظم ابناء هـــذه الطبقة من الموالي الذين كان لهم من كثرة عددهم ، وتفوقهم الثقافي ، وشعورهم المتزايد بالغبن ، ما جعلهم «فئة متذمرة تكون خطراً

---

١) الجهشياري ص ٢١٢

٢) اخبار هذه المجالس منثورة في كتب الادب كالاغاني ، والعقد الفريد (ج ٦) ، ونهـاية الارب (ج ٤) وغيرها .

٣) انظر اخبار ابي نواس لابي هفان المهزمي ص ٣٦ ، ٥٠

٤) نفسه ص ٥٠،٦٧،٦٩

٥) انظر رسالة الصحابة لابن المقفع عن اخبار الجند بصورة خاصة .

٦) ديوان ابي العتاهية ، ط. الآباء اليسوعيين ، ص ٣٠٣ – ٤

على التشكيلات السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك » .[1] ولقد عبر هذا التذمر عن نفسه في الحركات الشيعية التي اسهموا فيها في عهد مسلم .[2]

اما المرأة فعلى الرغم من ان مستواها الثقافي قد ارتفع بصورة عامة فاصبح بين النساء متعلمات وشواعر – على ما نرى في كتب التاريخ والادب – فان قيمتها في المجتمع قد تدنت الى درجة كبيرة لكثرة عدد الجواري وسهولة الوصول اليهن . وعلى ذلك فقد شاع التسري وانتشر العبث الماجن وتدنت المقاييس التي ينظر بها الرجل الى المرأة وانعكست تلك المقاييس على الكثير مما خلّف العصر من ادب .

حياتها العقلية :

كانت في بغداد في عهد مسلم بواكير يقظة فكرية نجمت عن اتصال العرب بالاعاجم الذين كانوا اعلى منهم كعباً في ميدان الحضارة . فقد كان هؤلاء – واكثرهم من الفرس والسريان – ينتمون الى حضارات عريقة ، كما كانوا يعرفون علوم اليونان والهنود وفلسفتهم قبل ان يجد العرب طريقهم اليها . وكان سبيلهم الى هذه المعرفة مدرسة جنديسابور والرّها وحرّان وغيرها من المدارس التي كانت تعمل على نشر الثقافة اليونانية والهندية بصورة خاصة .[3]

وعلى ذلك فقد عرف العرب الفلسفة اليونانية عن طريق هؤلاء قبل ان تترجم كتبها الى لغتهم واستعملوها في محاولة لتطبيق العقل على الدين ، فظهرت المعتزلة ونشأ علم الكلام من ناحية ، وكثرت البدع الدينية من ناحية اخرى . ومن المعروف ان اول ما حدث ذلك في البصرة لكثرة من كان فيها من فرس وهنود ، ولكن تراث البصرة ما لبث ان انتقل الى بغداد اثر تأسيسها كتراث شقيقتها الكوفة .

ولعل من اهم البدع التي انتشرت على اثر دخول الاعاجم الحياة الاسلامية الزندقة . ولفظة زنديق كانت تطلق في الاصل على من يؤمن بالمانوية ويثبت اصلين ازليين للعالم ، هما النور والظلمة . ثم اتسع مدلولها اتساعاً كبيراً حتى اصبحت

---

١) برنارد لويس ، العرب في التاريخ ص ٩٨ .

٢) نفسه .

٣) راجع تاريخ الفلسفة العربية ج ٢ ص ٧ – ١٢ ، واصول الفلسفة العربية ص ١٠٥ – ١١٥

تطلق على كل صاحب بدعة ، او ملحد ، او متحرر . وانتهى بها الامر الى ان تطلق على من كان مذهبه مخالفاً لمذهب اهل السنة ، او حتى من كان يحيا حياة المجون من الشعراء والكتاب ومن اليهم[١] .

ويبدو ان بواكير هذا التطور الفكري لم تكن كافية لسد الفراغ الذي شعر به العرب في حياتهم الفكرية على اثر المشكلات الفقهية والاجتماعية الكثيرة التي جابهتهم ابان الحكم . وعلاوة على ذلك فان تقدمهم في اسباب الحضارة المادية التي قبسوها عن الفرس فرض عليهم نشدان المزيد من التقدم الفكري لمجاراة هذه الحضارة ، فالترف المادي ، في العادة ، لا بد من ان يتبعه ترف فكري يتجلى في نشدان المعرفة وفلسفة الافكار[٢] .

وعلى ذلك اقبل العرب على الترجمة ولا سيما في عهدي المنصور والمأمون ، فترجم في عهد الاول كتب ارسطوطاليس في المنطق من اليونانية ، وكتاب كليلة ودمنة في الادب من الفارسية ، وكتاب السند هند في الفلك من الهندية[٣] . وترجم في عهد الثاني كتب في الطب لجالينوس وابقراط وكتاب السياسة لافلاطون[٤] ، والمقولات والطبيعيات والخلقيات لارسطو[٥] وكثير غيرها ، وكلها ترجمت اما عن اليونانية او عن السريانية[٦] .

وليس من شأننا هنا ان نتوسع في سرد حركة الترجمة وآثارها[٧] فمسلم لم يجن ثمارها بقدر ما جنى ثمار بواكير اليقظة الفكرية التي ادت اليها .

ومهما يكن الامر ، فقد شملت هذه اليقظة ، في ما شملته ، حياتي المدينة العلمية والادبية ، ولذا كان لا بد لنا من التعرض لهاتين الحياتين لفهم التيارات الفكرية المختلفة التي كانت تحيط بمسلم ، والتي كان لا بد لها من ان تؤثر في اتجاهاته الفكرية ومن ثم في شعره :

١) من تاريخ الالحاد في الاسلام ص٢٤ .
٢) انظر اصول الفلسفة العربية ص١٣٢
٣) عصر المأمون ج ١ ص ١٦١
٤) الفهرست ص ٢٤٦
٥) الفهرست ص ٢٤٨ ، وطبقات الاطباء ص ٢٨ — ٣٦
٦) طبقات الاطباء ص ٢٩
٧) للتوسع في ذلك يرجع الى طبقات الاطباء ، واخبار الحكماء ، وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٨ — ١٦٧ ، وانتقال علوم الاغريق الى العرب (ترجمة بيثون والثعالبي) ص ٢٠٦ — ٢٣٢

حياتها العلمية :

زيادة على العلوم الدخيلة التي بدأت تجد سبيلها الى الاوساط البغدادية عن طريق الاتصال بالاعاجم والترجمة ، راجت في بغداد ، كما راجت قبلاً في الكوفة والبصرة ، سوق العلوم الدينية والعلوم اللسانية .

اما **العلوم الدينية** فقد غرس نواتها فيها من وفد عليها من رجال الدين من محدّثين وقرّاء وفقهاء ، وابرزهم من وفد من الكوفة كأسحق بن مرار الشيباني المحدّث[١] ، وشيبان بن عبدالرحمن القارىء المحدّث[٢] وابوحنيفة الفقيه[٣]. وقد استمر هؤلاء وغيرهم في العمل الذي بدأوا به قبل وفودهم الى العاصمة ، وأسس الاخير منهم مدرسة في الفقه تقوم على الرأي وتلبي الى حد كبير الحاجات الملحة لمجتمع تعددت مشاكله وتنوعت لتعدد عناصره وتنوعها . وقدر لاحد افراد هذه المدرسة ، ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم ، ان يسهم في محاولة لاصلاح نظام الدولة المالي بوضعه كتاب الخراج في عهد الرشيد .

واما **العلوم اللسانية** فكان النشاط فيها امتداداً وتطويراً للنشاط اللغوي والنحوي في الكوفة والبصرة ، فقد وفد على المدينة كثير من علماء المدينتين لما احسوا من عطف الخلفاء على العلماء وتقريبهم لهم ، بل ودعوتهم لبعضهم للكتابة لهم ، او الاشتراك في مجالسهم ، او تأديب اولادهم . وقد جاء بعض هؤلاء من البصرة كالاصمعي وسيبويه ، وجاء معظمهم من الكوفة كالمفضل الضبي والكسائي والفرّاء وابي عبيد القاسم بن سلّام . وقد اسهم جل هؤلاء في المناظرات اللغوية والنحوية التي كانت تدور في مساجد المدينة ومجالس خلفائها[٤].

ولم تصل الينا رواية تشعرنا باتصال مسلم بأحد من علماء اللغة والدين او حضوره لأي من مجالسهم في بغداد . ولعله يصح الافتراض انه حين قدم اليها كانت قد تركزت ميوله واتجهت اتجاها ادبياً خالصاً . غير انه يبدو لنا من مسلكه الشعري ، مع ذلك ، الى اي حد كان يخشى هؤلاء الذين يمثلون طبقة المحافظين فيحاول رغم ابداعه ، الاكثار من الغريب في الغالب ، والبعد عن

---

١) معجم الادباء ج ٦ ص ٧٨

٢) نفسه ج ١١ ص ٢٧٦

٣) ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٧٧ ، واللباب ص ٣٢٥

٤) انظر السيوطي ، الاشباه والنظائر ج ٣ ص١٥

التطرف في حيده عن عمود الشعر .

حياتها الادبية

نشطت الحياة الادبية في بغداد في القرن الثاني على اثر ما كان يفد عليها من الشعراء نتيجة لتشجيع الخلفاء والامراء ورجال الدولة . فقد كان معظم هؤلاء يكرمون الشعراء ويبذلون لهم العطايا بسخاء . فالرشيد اعطى الفضل بن يحيى خاتماً قيمته الف وستمئة دينار مكافأة على احسن بيت قالته العرب في الذئب[١]، والامين حشا فم ابي نؤاس بالدر حين استحسن مديحه له[٢]، والمأمون ولّى ابن الجهم البرمكي عدة كور لابيات من الشعر انشده اياها[٣]، والفضل بن سهل ولّى مسلماً بريد جرجان لرضاه عن شعره [٤] ، والفضل بين يحيى البرمكي نثر عطاءه بين الشعراء حتى قال احدهم فيه :

ما لَقينا من جودِ فضلِ بنِ يحيى   تَرَكَ النـاسَ كُلَّهُمْ شعراءَ

وحتى قال آخر :

علّمَ المُفحَمينَ ان يَنطِقوا الاشعـارَ منا والباخلـينَ السخاءَ [٥]

ولعل من اكثر هؤلاء تشجيعاً للشعراء الرشيد الذي قيل انه لم يجتمع بباب احد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع ببابه من فحولة الشعراء «كأبي نواس وابي العتاهية والعتّابي والنمري ومسلم بن الوليد وابي الشيص وابن ابي حفصة ومحمد بن مناذر»[٦]

واغلب الظن ان هذا التشجيع لم يكن ، في الغالب ، في سبيل حب الادب الخالص بقدر ما كان في سبيل الدعاوة السياسية . ولتبيان ذلك لا بد من تفهم العوامل السياسية التي سادت مستهل العصر العباسي وكان لها اثر بارز في الادب.

لعل اهم هذه العوامل عاملان : الاول ، عدم اشراك العباسيين للعلويين في الحكم رغم مناصرتهم لهم على الامويين ، والثاني ، اشراكهم للفرس فيه ، في اوائل عهد الدولة على الاقل . وقد نجم عن العامل الاول ان ثارت حفيظة

١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٤٦٢
٢) اخبار ابي نواس لابي هفان ص ٧١
٣) الاغاني ج ١٣ ص ١٦
٤) الفخري ص ١٦٣
٥) الجهشياري ص ١٩٥
٦) معجم الادباء ج ٢ ص ٣٢٦

العلويين واشتد النزاع بينهم وبين العباسيين . وكان لذلك اثره في النتاج الادبي ، فقد ضلع فريق كبير من الشعراء ، عن عقيدة او ممالأة او اصطناع [١] ، مع ذوي السلطة ، واخذوا ينظمون القصائد يمدحون بها الخلفاء ويذكرون حقهم في الخلافة ، ولذا حظوا بتشجيعهم ليساعدوهم على تجنيد الرأي العام لمصلحتهم . واشهر هؤلاء ابو دلامة ومروان بن ابي حفصة وابو العتاهية . وضلع فريق آخر مع العلويين وعكفوا على مدح علي وبيان حقه وحق آله في الخلافة وكذلك على هجاء خلفاء بني العباس ونقض حقهم فيها . ومن اشهر هؤلاء دعبل الخزاعي الذي « لم يسلم منه احد من الخلفاء » [٢] ، والسيد الحميري الذي استنفد شعره في مدح علي وهجاء كل من قام حاجزاً بينه وبين خلافة الرسول . [٣] وقد تشدد الخلفاء ، قبل المأمون ، مع رجال الفريق الثاني تشدداً ادى ببعضهم الى الرياء والمراوغة ، فمنصور النمري مثلاً كان يتظاهر بالميل الى العباسيين بينما كان يبطن الولاء للعلويين [٤] ، وابان اللاحقي اضطر الى نظم قصيدة لا تتفق وهــواه ليتمكن من الدخول على الرشيد . [٥]

ويبدو ان مسلماً لم يسلم من اثر هذا النزاع ، فعلى الرغم من انه مدح خلفاء بني العباس فقد اتهم بالتشيع وتعرض للقتل في احد مجالس الرشيد كما سيجيء .

ونجم عن العامل الثاني ، وهو اشراك العباسيين للفرس بالحكم ، ان دخل الاعاجم الحياة العامة من بابها الواسع فزاد اسهامهم في اشاعة اسباب الحضارة بين العرب ، وان قويت الحركة الشعوبية التي كان لها تأثير كبير على الشعر ، لا من حيث تطرق اغراضها الى معانيه فحسب ، بــل ومن حيث تحدي التقاليد الفنية فيه ايضاً . وما مهاجمة بشار وابي نواس للاعراب في شعرهما [٦] ، ولا

---

١) انظر الاغاني ج ٦ ص ٢١٣

٢) الاغاني ج ١٨ ص ٢٩ .

٣) نفسه ج ٧ ص ٢

٤) نفسه ج ٢٠ ص ٧٥ .

٥) نفسه

٦) يقول بشار :

احين كسيت بعد العري خزاً	ونادمت الكرام على العقار
تفاخر يا ابن راعية وراعٍ	بني الاحرار حسبك من خسار
وكنت اذا ظمئت الى قراح	شركت الكلب في ولغ الاطار
تريد بخطبة كسر الموالي	وينسيك المكارم صيد فار

ويقول ابو نواس :

ولا تأخذ عن الاعراب لهواً	ولا عيشاً فعيشهم جديب
ذر الالبان يشربها اناس	رقيق العيش عندهم غريب
بأرض نبتها عشب وطلح	واكثر صيدها ضبع وذيب

ثورة الاخير منها على استهلال القصائد بذكر الاطلال والديار الدارسة [١] الا اثر من آثار هذه الشعوبية الى حد بعيد .

ومها يكن الامر فقد ادى هذان العاملان السياسيان معاً الى وجود قوتين في البلاد تتمثل الاولى في الخلفاء والثانية في البرامكة ، كما ادت الحروب الخارجية مع الروم وغيرهم الى نمو قوة ثالثة هي قوة القواد والامراء الذين يديرونها . [٢] وعلى ذلك اصبحت هناك ثلاث قوى تتمتع كل منها بنفوذ كافٍ وتحظى بمال وفير يكفي لجذب الشعراء نحوها . واخذ يظهر على المسرح نتيجة لذلك ثلاث فرق من الشعراء المتكسبين ، احداها تكاد تختص بمدح الخلفاء كبشار بن برد ومروان بن ابي حفصة وسلم الخاسر وابي نواس ومنصور النمري وابي العتاهية ، والاخرى تكاد تختص بمدح البرامكة كأبان بن عبد الحميد اللاحقي وابن مناذر والرقاشي واشجع السلمي ، والثالثة يغلب عليها مدح الامراء والقواد كالعكوّك ومطيع بن إياس ومحمد بن أمية وابي الشيص . ولعل من الغريب ان يتمكن مسلم من مدح رجال ينتمون الى هذه القوى الثلاث دون ان يثير عليه حفيظة احد ، وقد يكون سبب ذلك حذره الشديد الذي حداه الى الاحجام عن التعريض بخصوم من يمدحهم من هؤلاء خلال مدحه .

ولم تكن العوامل السياسية العوامل الهامة الوحيدة التي اثرت في حياة بغداد الادبية . فقد كان الى جانبها عوامل اخرى بارزة اهمها ما يتصل بحياة المدينة الاجتماعية ، وبحياتها العقلية .

فأما من الناحية الاجتماعية فقد ادى تطور المصالح المشتركة بين الافراد الى تطور في المفاهيم اضعف العصبية القبلية وعزز شخصية الفرد . اذ كان لسكنى قبائل مختلفة في مدينة واحدة وارتباط افراد هذه القبائل بمصالح مشتركة ما قرّب بينها وجعل ميولها العصبية تتجه اتجاها جديدا ظهر اثره في التنافس الثقافي بين المدن ، ولا سيما بين الكوفة والبصرة ، وبغداد والمدينة . ولقد

---

١) يقول ابو نواس :

ما لي بدار خلت من اهلها شغل   ولا شجاني لها شخص ولا طلل
ولا رسوم ولا ابكي لمنزلة   للأهل عنها وللجيران منتقل

ويقول ايضاً :

دع الاطلال تسفيها الجنوب   وتبلي عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء ارضاً   تحث بها النجيبة والنجيب

٢) واهم هؤلاء معن بن زائدة ، ويزيد بن مزيد ممدوح مسلم ، وجعفر بن المنصور (انظر الجواري ص ٨٥ وزيدان ج ٢ ص ٥٧) .

نجم عن هذا التنافس المدني غزارة في الانتاج في ميادين الادب واللغة والفقه ، كما نجم عن تعزيز شخصية الفرد ميل الى الخلق والابتكار فيه .

وكان لغلبة الاعاجم على الحياة العربية ما ساعد على شيوع الحضارة وانتشار حياة الترف وما يلازمها عادة من ميل للتأنق والغناء واللهو . وكان لذلك اثره الكبير في الادب ولا سيما الشعر ، فقد دخلته المعاني الحضرية الرقيقة وميل به نحو التأنق والزخرف واصيبت موسيقاه بترف شديد استطاعت ان تنهض عن طريقه بقيم فنية جديدة لا عهد له بها من قبل [١] ، فشاعت فيه الاوزان الخفيفة والمجزوءات ، واستحدثت اوزان جديدة كالمقتضب والمضارع والمتدارك [٢] ، ونماذج جديدة كالمسمط والمزدوج [٣] ، ليلائم الغناء الذي دخلته الحان فارسية ورومية جديدة [٤] واصبح من مقتضيات العصر .

ولسنا بحاجة الى تبيان اثر كل هذا في مسلم فسنعرض لذلك خلال الحديث عن شعره ، وانما يكفي ان نشير هنا الى ان اصطناع البديع ، وهو ابرز ما تميز به ، كان استجابة منه وممن لفَّ لفَّه من شعراء العصر لحياة الرفاه التي اخذت تسود اوساط الشعراء واوساط الذين كانوا يتصلون بهم ويمدحونهم .

وساعدت كثرة الاموال والجواري على تفشي المجون والاكثار من مجالس الشراب والعبث . وكان للشعراء من هذه المجالس حظ كبير ، فكثيرا ما كانوا يجتمعون في بيوتهم الخاصة [٥] او بيوت المغنيات [٦] او المنازه [٧] او الحانات [٨] ، يشربون ويعبثون ويتناشدون الشعر ويتبادلون الطرائف . وقد اشترك مسلم في كثير من هذه المجالس في بغداد ، كما اشترك في امثالها في الكوفة ، فانعكست

---

١) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٦٦ – ٨٣

٢) الفصول والغايات لابي العلاء ص ١٣٢

٣) نقد النثر لقدامة بن جعفر ص ٦٤

٤) الاغاني ج ٥ ص ٥٧

٥) كما اجتمع دعبل واخوه رزين ومسلم وابو الشيص في بيت ابي نواس (دي خويه ص ٢٧٠ نقلاً عن مخطوطة غوطا للاغاني)

٦) كما اجتمع ابو نواس والفضل الرقاشي والحسين بن الضحاك الخليع وعمرو الوراق ومحكم بن رزين والحسين الخياط في منزل عنان (المحاسن والاضداد ص ١٥٣ – ١٥٦)

٧) كاجتماع ابي نواس والعباس بن الاحنف والحسين بن الضحاك الخليع ومسلم في متنزه لهم (العمدة ج ٢ ص ٨٧ ، وغرر الخصائص ص ١٧٤)

٨) كاجتماع ابي نواس ويوسف ابن الداية عند بعض الخمارين (اخبار ابي نواس لابي هفان ص ٦٨)

على بعض شعره ومهدت له السبيل للاجتماع بصفوة شعراء عصره ، كأبي نواس ودعبل والعباس بن الاحنف ، واتاحت له الفرص للتأثر بهم والتأثير فيهم .

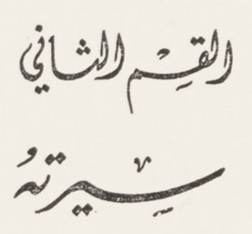
وازاء حركة المجون هـذه ، التي تزعمها ابو نواس ، قامت حركة معاكسة رئسها ابو العتاهية تدعو الناس الى الزهد في الحياة الدنيا والسعي وراء الآخرة . ولعل في الحركتين تعبيراً عن ميول طبقة ساخطة على الحكم والاوضاع العامة اتخذ بعض افرادها من الامعان في اللهو والعبث وسيلة لهـذا التعبير واتخذ بعضهم الآخر من التمسك بذيول الآخرة تعويضاً عما فقدوه في حياتهم الدنيا . ولا ندري ، فلعل مسلماً كان من بين هؤلاء الساخطين ، ولعل سخطه وجد لنفسه متنفساً في مجونه حتى اذا ما وهب وظيفة عالية في جرجان طابت نفسه وترك المجون وتاب ، على ما يقول الرواة .[1]

اما من الناحية العقلية فقد كان لاسهام الموالي في الحياة الادبية من جهة ، ولاتصال العرب بثقافة هؤلاء من جهة اخرى ما نهض بالمستوى الفكري للنتاج الادبي بصورة عامة وادى الى اغناء هذا النتاج .

زد على ذلك ان التيارات الفكرية المتنوعة التي نجمت عن دخول شعوب مختلفة حظيرة الحياة العربية الاسلامية انعكست على الادب فغدا ميدانا لعقائد هـذه الشعوب ولعقائد العرب الذين تأثروا بها . وبذلك وجدت بعض العقائد كالجبرية [2] والثنوية [3] والمرجئة [4] طريقاً الى الادب واتخذت منه ، في بعض المواقف ، سلاحا للدفاع عن نفسها .

ولقد علمنا في ما سلف عن وجود طائفة من علماء اللغة والدين في المدينة اسهمت في حياتها العقلية . ومن الجدير بالذكر ان كان لهذه الطائفة اثر كبير في الحياة الادبية ، اذ كاد افرادها يستأثرون بحركة النقد الادبي التي كان لها شأن كبير في توجيه الشعر في ذلك الوقت . ولما كان مجد هؤلاء يقوم على القديم فقد حملوا لواء المحافظة وتصدوا لكل حركة ترمي الى تجديد الشعر والمواءمة بينه وبين الحياة الجديدة . وقـد عزّز من مركزهم وقوّى اثرهم ، قربهم من مجالس الخلفاء واتخاذ هؤلاء منهم مستشارين لانفسهم ومؤدبين لولدهم .

١) مخطوطة دار الكتب للاغاني (عن الدهان ص ٣٧٤)
٢) انظر قول بشار في الجبر (الاغاني ج ٣ ص ٦٢)
٣) انظر شعر حماد عجرد في صديقه حريب الذي كان يدين بالثنوية (الاغاني ج ٣ ص ٧٤)
٤) انظر شعر ابي زكار الاعمى المرجىء (الاغاني ج٦ ص٢١٢ - ١٣)


القسم الثاني
سيرته

نزل الكوفة اثر الفتوح جماعة من ابنـــاء القبائل العربية بينهم طائفة من الانصار [١] . ولسنا نعرف تماماً المكان الذي حلّوا فيه من المدينة، ولكنا نعلم ان قسماً منهم كان من الصحابة [٢] الذين كانوا قد لازموا الرسول في « المدينة » وتعهدوا الدين الجديد في اوائل نشأته ورغبوا في ان تكون حياتهم الجديدة في الكوفة امتداداً لحياتهم الماضية .

الى هؤلاء الانصار ينتسب مسلم ، غير ان موقعه بالضبط منهم لا نزال نجهله : أكان ابنهم كما تقول بعض المراجع ، ام مولى لهم كما تقول اخرى ؟ ! ولهذا فاننا نجد انفسنا محمولين على البحث في هذا الامر في الصفحات التالية بشيء من الاسهاب ، لا لأن قضية النسب قضية هامة في حد ذاتها ، بل لانها كثيراً ما تترك في الشاعر اثراً نفسياً عميقاً تنعكس ظلاله في شعره وسلوكه .

---

١) البراقي ص ١١١ .

٢) راجع طبقات ابن سعد ص ١ – ٤٣ .

نسبه

لقد تحدّرت الينا روايتان متناقضتان عن نسب مسلم : **الاولى** ذكرها ابن قتيبة ، وتقول ان مسلماً هو « من ابناء الانصار » [١] وانـه بـيّن في شعره بيته منهم بقوله [٢] :

تقسّمني في مالك [٣] آل مالك وفي اسلم [٤] الاثرين آل رزين

والثانية ذكرها الاصبهاني ، وتقول ان ابا مسلم ، واسمه الوليد ، هو « مولى الانصار ثم مولى ابي امامة اسعد [٥] بن زرارة الخزرجي » . [٦]

ويبدو ان ما وصل الينا من روايات تالية يعتمد اصحابها فيها احدى هاتين الروايتين او الاخرى : فالحصري [٧] (+ ٤٥٣ هـ) والمعرّي [٨] (+ ٤٤٩ هـ) يعتمدان الرواية الاولى . والمرزباني [٩] ، والخطيب البغـدادي [١٠] ، والبكري [١١] (+ ٤٨٧ هـ) ، وابن تغـري بردي [١٢] (+ ٨٧٤ هـ) ، والعباسي [١٣] يعتمدون الرواية الثانية .

نحن اذن امام رأيين متضاربين في نسب مسلم ، لا سبيل الى التوفيق بينهما .

---

١) الشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٠٨ .

٢) نفسه .

٣) لعله مالـك بن النجار الخزرجي الذي ذكره ابن حزم الاندلسي في جمهرة انساب العرب ص ٣٢٧ .

٤) لعله اسلم بن كعب بن الحارث الذي ذكره ابن حزم الاندلسي في جمهرة انساب العرب ص ٣٥٥

٥) هو اسعد بن زوارة بن عدس الخزرجي الانصاري . ويكنى ابا امامة . وهو من اول الانصار اسلاماً . وكان من اصحاب الرسول ، ونقيباً لبني النجار . توفي بالذبحة في شوال من السنة الاولى للهجرة .. ترى سيرته في اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير ج ١ ص ٧١ ، وفي اعيان الشيعة للسيد محمد الامين ج ١١ ص ١٩٦ .

٦) دي خويه ص ٢٢٨ (عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)

٧) زهر الآداب وثمر الالباب ج ٤ ص٣٢ .

٨) سقط الزند ج ٤ ص ١٤٩١ .

٩) معجم الشعراء ص ٣٧٢ .

١٠) تاريخ بغداد – ج ١٣ ص٩٦ .

١١) سمط اللآلىء – ص ٤٢٧ حيث يذكر مع شيء من التصحيف ان « مسلم بن الوليـد مولى ابي تمامة اسعد بن زرارة الخزرجي»

١٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٨٦ .

١٣) معاهد التنصيص ص ٣٦٠ .

فما مصدر هذا التضارب ؟ وهل من سبيل الى القطع في احد وجهيه؟ وما موقف الادباء المحدثين الذين درسوا مسلماً منه ؟ ... كل هذه اسئلة تتبادر الى الذهن مع غيرها عندما يستعرض المرء حياة مسلم ويرغب في ان يخرج منها بصورة واضحة تعينه على دراسته .

وقبل الاجابة عن هذه الاسئلة لا بد لنا من تسليط بعض الاضواء على هذه القضية لعلها تكشف بعض نواحي الغموض فيها . وفي سبيل هذه الغاية سنعرض مـــا يلي :

١- اخبار الرواة في هذا الصدد
٢- اقوال ابن قنبر الشاعر
٣- اقوال مسلم

١) اخبار الرواة :

أ) روى ابو العباس المبرّد عمن يعتمد عليه في اشعار المحدثين – على حد قوله – « ان مسلماً كان يمدح مَن دون الخليفة ولا يطمح فيه ، فكان يقول ارى نفسي تذوب حسرات من انه يحوي جوائز الخلفاء من لا يوازيني في ادب **ولا يماثلني في نسب** ولا يصلح ان يكون شعره خادماً لشعري »[(١)]

ب) ظهر (مسلم) ذات يوم فلقي منصور بن يزيد الحميري بباب الرشيد فسلّم عليه فتحفّى به منصور واكرمه ثم دعاه الى ان يقوم بشأنه عند الرشيد فسأله عن احواله فأخبره بما يصنع لكونه كاليائس من قرب الخليفة او ان يعدّ في مادحيه وان يجري عليه ارزاقه فانه جعل تسلية ذلك باللهو والشراب ومحادثة الاخوان . فقال له الحميري : اني سأتأتى لوصولك الى الخليفة بعد ان اقرر عنده من وصفك وقريب نسبك وما يجب لسلفك وتقدمك في الصناعة ما يكون كافياً عن شعرك ومغنياً عن ذكر فضائلك ... فتقدّم الحميري (من الخليفة) فقال : يا امير المؤمنين خلّفت بالباب آنفاً رجلاً من **اخوالك الانصار** متقدماً في شعره وادبه وظرفه ... الخ »[(٢)]

ولعلنا لا نستطيع الاستفادة كثيراً من الرواية الاولى ، ففيها –ان صحّت –

---

١) الشيزرى ، جمهرة الاسلام – مخطوطة ليدن رقم ٤٨٠ ظ ص٣٨(عن الدهان ص ٤٢٩)
٢) دي خويه ص ٢٧٣ (نقلاً عن جمهرة الاسلام للشيزرى ، مخطوطة ليدن)

لا يفعل مسلم شيئاً اكثر من ان يرفع من نسبه بالنسبة لنسب من « يحوي جوائز الخلفاء» ؛ ولا ريب في ان هذا الرفع لا يعني كثيراً ان كان مسلم يقصد بمن «يحوي جوائز الخلفاء » معاصره وزميله ابا نواس الخوزي الدعيّ بين القبائل ، ومن لف لفّه .

اما الرواية الثانية فيفهم منها ان مسلماً كان على الارجح من الانصار ؛ ولئن صح ان يقال ان الحميري ربما ذكر ذلك في صدد تزيينه مسلماً للخليفة ، صح كذلك ان يقال انه يخشى عقاب الخليفة ان هو لم يصدقه الخبر ولا سيما وقد نسب مسلماً الى خؤولته .

٢) اقوال ابن قنبر :

لقد هاجى مسلم ابّان حياته شاعراً بصرياً يدعى الحكم بن قنبر [١] . وتفصيل ذلك [٢] ان الطّرمّاح بن حكيم كان قد هجا بني تميم قوم ابن قنبر ورد عليه الفرزدق ؛ غير ان ابن قنبر لم يكتف بذلك بل رد على الطّرمّاح بعد موته وهجا الازد وطيء . فغضب مسلم من مناقضة ابن قنبر لرجل ميت واثارته الشر بذكر القبائل [٣] ، ونظم قصيدة سينية [٤] يرد فيها عليه ويفخر بنفسه .

وبعد ان مكث ابن قنبر حيناً لا يجيب مسلماً طلباً للكفاف [٥] ، هجا مسلم قريشاً وفخر بالانصار في قصيدة رائية رد عليها ابن قنبر بقصيدة طويلة يحرض فيها الخليفة عليه لتفضيله الانصار على قريش قبيلة النبي . ويقول في هذه القصيدة [٦] :

ألا امثُلْ أميرَ المؤمنينَ بِمُسلمٍ	وأشفِ بهِ الاحشاءَ من كلِّ مُجرِمِ
ولا تَرجعَنْ عن قتلِهِ باستِتابةٍ	فما هو عن شَتمِ الرسولِ بِمُحْرِمِ
ولا عن مُساواةٍ له ولقومِهِ	قُريشاً بأصْداءٍ لِعادٍ وَجُرْهُمِ
وَيَفخَرُ بالانصارِ جَهلاً على الذي	بِنُصْرَتِهِ فازوا بِحَظٍّ وَمغنَمِ

. . .

١) هو الحكم بن قنبر المازني ، مازن بني عمرو بن تميم . وهو شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية ، وردت ترجمته في الاغاني ج ١٣ ص ٩ .
٢) دى خويه ص ٢٥٥ (نقلاً عن مخطوط ميونيخ للاغاني)
٣) دي خويه ص ٢٥٧ (نقلاً عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)
٤) قصيدة رقم ١٥ من الديوان — دي خويه ص ١٠٦ ، الدهان ص ١٠٣
٥) دي خويه ص ٢٥٧ (نقلاً عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)
٦) نفسه ص ٢٥٨ .

وما كانتِ الانصارُ قبلَ اعتصامِها   بنَصرِ قريشٍ في المحلِّ المُعـظَّمِ
ولا بالأُلى يُعلُونَ اقدارَ قومِهِم   صُداءٍ وخَولانٍ ولَخْمٍ وسلْهمِ
ولكنّهم باللهِ عاذوا ونَصرِهِمْ   قريشاً ومن يَستعصمِ اللهَ يُعصَمِ
فَعَزُّوا وقد كانوا وفِطيونُ فيهِمُ   من الذُّلِّ في بابٍ مِنَ العزِّ مُبهَمِ
يَسومُهُمُ الفِطيونُ ما لا يُسامُهُ   كريمٌ ومَن لا يُنكِرِ الظُّلمَ يُظلَمِ
وإنَّ قريشاً بالمآثرِ فُضِّلَتْ   على الخلقِ طُرّاً من فصيحٍ وأعجمِ
فما بالُ هذا **العلج** ضَلَّ ضلالُهُ   يَمُدُّ إليهِمْ كفَّ أجذَمَ أعسَمِ
يُسامي قريشاً مسلمٌ وهُمُ هُمُ   **بمولىً يمانيٍّ** وبيتٍ مُهدَّمِ
إذا قامَ فيه غيرُهُم لم يكُنْ لَهمْ   مَقامٌ به من لؤمِ مَبنىً ومَدْعَمِ
جَعاسيسُ أشباهُ القرودِ لو أنهُمْ   يُباعونَ ما ابتيعوا جميعاً بدرهَمِ
وما مسلمٌ مِن هؤلاء ولا أُلى   ولكنّهُ مِن **نسلِ علجٍ** مُلكَّمِ
تَوَلى زماناً غيرَهم ثُمّتَ ادّعى   إليهِمْ فلم يُكرَمْ ولمّا يُكرَّمِ
فإن يَكُ منهم **فالنضيرُ** ولِفُّهُمْ   **مواليهِ** لا مَن يدَّعي بالتَّزعُّمِ
وإنْ تَدعُهُ الأنصارُ مولىً أسِمْهُمُ   بقافيةٍ تستكرهُ الجِلدَ بالدَّمِ
عِقاباً لهم في إفكِهِم وادّعائِهِمْ   لأقلَفَ مَنقوشِ الذراعِ موَشّمِ

. . .

قريشٌ خيارُ اللهِ واللهُ خصَّهُم   بذلكَ فاتعَسْ أيها العِلجُ وارغَمِ
ومَن تَدّعي منهُ الولاءَ مؤخَّرٌ   إذا قيلَ للجاري إلى المجدِ أقدِمِ

فمسلم اذن ، في اعتبار ابن قنبر ، ابن لمولى يماني — والانصار يمنيون كما هو معروف — لا بل هو دون ذلك ، انه علج من نسل علج تولى زماناً غير الانصار ثم ادعى اليهم ، انه مولى آل النضير اليهود لا مولى الانصار ، فان يدعه الانصار مولى لهم فسيهجوهم هجاءً مقذعاً «عقاباً لهم في افكهم وادعائهم» لهذا «الاقلف الموشّم» ، على حد قوله .

ومن الواضح ان الطريقة التي يعرض فيها ابن قنبر لنسب مسلم ، مهما كان هذا النسب ، تحمل وراءها حقداً شديداً اضاع على ابن قنبر اتزانه فراح يتخبط بين ولاء مسلم للانصار وولائه لبني النضير .

ولكن ماذا كان موقف مسلم من هذا التهجم المرير ؟ لقد خشي ان يطلع الخليفة على هجائه لقريش ، آل النبي ، وان يأخذ بتحريض ابن قنبر له في قصيدته فيقتله ، ولذا لم يكن له بد « من الانتفاء منها ونسبتها الى ابن قنبر والادعاء عليه انه الصقها به ونسبها اليه ليعرضه للسلطان . »[1] خاف الخليفة اذن ورد على ابن قنبر بقصيدة[2] تنصل فيها من هجائه لقريش واقر لها بالسبق بين القبائل ، واتهم ابن قنبر بأنه نحله هذه القصيدة عامداً ليوقع به ، وهجا تيماً . ولكن الغريب انه لم يتعرض في هذا الرد لما كان ابن قنبر قد اثاره من قضية نسبه ، فهل قصد الى التغاضي ام ان خوفه من الخليفة لهجائه قريشاً ملك عليه لبّه فشغله عن طرق هذا الباب ؟

ولعل هذا الموقف الضعيف يقفه مسلم هو الذي اغرى ابن قنبر بالتمادي في هجائه فهجاه ثلاث مرات وامسك مسلم . قال في المرة الاولى :[3]

قُلْ لِعَبدِ النَّضيرِ مُسلِمٍ الوَغْدِ الدَّنيِّ اللئيمِ سِنخِ النِّصابِ
إخسَ يا كلبُ اذ نَبحتَ فاني لستُ ممن يُجيب نبحَ الكلابِ
أفأرضى وَمَنصِبي مَنصِبُ العِزِّ وبَيتي في ذُروةِ الأحسابِ
أنْ أُحطَّ الرفيعَ من سَمكِ بيتي بِمهاجاةِ أوشَبِ الأوشابِ
من اذا سِيلَ مَن أبوهُ بدا منهُ حياءٌ يَحميهِ رَجْعُ الجوابِ
واذا قيلَ حينَ يُقبِلُ مَن انتَ ومَن تعتَزيهِ في الأنسابِ
قُلتَ هاجي ابنِ قَنبَرٍ فتَسَربَلْتَ بِذِكري فخراً لدى النُّسَّابِ

وقال في الثانية :[4]

لَستُ أنفيكَ إنْ سِوايَ نَفاكا عن أبيكَ الذي لَهُ مُنتماكا
ولماذا أنفيكَ يا ابن الوليدِ مِن أبٍ ان ذَكَرتُهُ أخزاكا
ولو اني طلبتُ ألأمَ منهُ لم أجِدْهُ إن لم تَكُنْ أنتَ ذاكا
لو سِواهُ أبوكَ كان جَعلناهُ إذا الناسُ طاوعونا أباكا
حاكَ دهراً بغيرِ حذقٍ لِبُرْدٍ وتَحوكُ الاشعارَ أنتَ كذاكا

---

1) دي خويه ص ٢٦٠ (نقلاً عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)
2) نفسه ص ٢٦٠
3) دي خويه ص ٢٦١ (نقلاً عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)
4) نفسه ص ٢٦١

وقال في الثالثة : [1]

فَخَرَ العبدُ عَبدُ قِنٍّ [2] اليهودِ	بِضَعِيفٍ من فَخرِهِ مَردودِ
فاخَرَ الغُرَّ مِن قُرَيشٍ باخوا	نِ خَنازيرِ يَثرِبٍ والقُرودِ
يَتَولَّى بَني النَّضيرِ ويدعو	بِهِمُ الفَخرَ مِن مكانٍ بَعيدِ
وبني الاوسِ والخَزارِجِ في الذُّ	لِّ على سالفِ الزمانِ التَّليدِ
إذ رَضَوا باقْتِضاضِ فِطيونَ منهم	كُلَّ بِكرٍ رَيَّا الرَّوادِفِ رُودِ
وَبنو عمِّها شُهودٌ لِما يفعلُ فطيو	نُ قُبِّحوا مِن شُهودِ
خلفَ بابِ الفطيون والبعلُ فيهم	لا بِذي غَيرةٍ ولا بِنَجيدِ
فاذا ما قَضى اليهوديُّ منها	وَطَراً قُنِّعوا بِخِزيٍ جَديدِ

وفي هذه المقطوعات الثلاث يذكر ابن قنبر :

١ – ان مسلماً عبد لبني النضير اليهود او عبد لقنهم .

٢ – انه مولى لبني النضير وبني الاوس والخزرج – ولعله يقصد بالتوالي .

٣ – ان هؤلاء مغموز في شرفهم .

٤ – انه ابن لاب وضيع يتهرب من ذكره .

وهنا ، كما في قصائد ابن قنبر السالفة ، نلاحظ شدة انفعال ابن قنبر وعظم حقده واضطراب تهمه .

وقد نجم عن هذه المهاجاة بين مسلم وابن قنبر روايتان على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لنسب مسلم :

الاولى تقول : [3]

« اخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي ابن عبيد الكوفي قال حدثني علي بن عمروس الانصاري قال جاء رجل من الانصار ثم من الخزرج الى مسلم بن الوليد فقال له ويلك مالنا ولك قد فضحتنا واخزيتنا تعرضت لابن قنبر فهاجيته حتى اذا امكنته من اعراضنا انخزلت عنه

---

١) دي خويه ص ٢٦٢ (نقلاً عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)

٢) القن عبد مُلك هو وابواه .

٣) دي خويه ص ٢٥٣ (نقلاً عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)

وارعيته لحومنا فلا انت سكت" ووسعك ما وسع غيرك ولا انت لما انتصرت انتصفت فقال له مسلم : فما اصنع فانا اصبر عليه فان كف والا تحملت عليه باخوانه فان كف والا وكلته الى بغيه ولنا شيخ يصوم الدهر ويقوم الليل فان اقام على ما هو عليه سألته ان يسهر له ليلة يدعو الله عليه فيها فانها تهلكه فقال له الانصاري سخنت عينك بهذا تنتصف ممن هجاك ثم قال له :

قد لاذَ من خوفِ ابن قنبَر مسلمٌ	بدُعاءِ والدِهِ معَ الأسحارِ
ورأيتُ شرَّ وعيدِهِ ان يَشتكي	ما قد عراهُ الى اخٍ أو جارِ
ثكلتكَ أمُّك قد هتكتَ حريمَنا	وفضحتَ اسرتَنا بني النَّجارِ
عمَّمتَ خزرجَنا ومعشرَ أوسِنا	خزياً جنيتَ به على الأنصارِ
فعليكَ من مولى وناصرِ أسرةٍ	وعشيرةٍ غضبُ الالهِ الباري

قال فكاد مسلم ان يموت غماً وبكى وقال له انت شر علي من ابن قنبر.. الخ.

والثانية تقول : [1]

« فلما افحش (ابن قنبر) في هذه القصيدة[2] وفي عدة قصائد قالها ومسلم ممسك عنه لا يجيبه بشيء مشى اليه قوم من مشايخ الانصار واستعانوا بمشيخة من قراء تميم وذوي الفضل والعلم منهم فمشوا معهم اليه فقالوا له الا تستحيي من ان تهجو من لا يجيبك ، انت بدأت الرجل فأجابك ثم عدت فكف وتجاوزت ذلك الى ذكر اعراض الانصار التي كان رسول الله ﷺ يحميها ويذب عنها ويصونها لغير حال احلَّت لك ذلك منهم فما زالوا به يعظونه ويقولون له كل قول حتى امسك عن المناقضة لمسلم فانقطعت . »

والذي يعنينا من امر هاتين الروايتين اهتمام الانصار بأمر المناقضات بين الرجلين . ففي الرواية الاولى يلوم رجل منهم مسلماً على كفه من مهاجاة ابن قنبر بعد ان باداه بذلك ومكّن له من اعراض الانصار . وفي الرواية الثانية يستعين بعض مشايخهم ببعض مشايخ تميم وعلمائها ويذهبون الى ابن قنبر ليرجوه الكف عن مناقضة مسلم .

وليس في مثل هذا المسلك من قبل الانصار ما يثير الدهشة ، فمن الطبيعي ان يثوروا لهجاء ابن قنبر لهم وان يتلمسوا شتى الوسائل للرد على هذا الهجاء او

١) دي خويه ص ٢٦٢ (نقلاً عن مخطوطة ميونيخ للاغاني ج ٥)

٢) الرائية التي مطلعها : فخر العبد عبد قن اليهود بضعيف من فخره مردود

ايقافه . ولكن الذي يثير الدهشة حقاً هذه الابيات الشعرية التي الحقت بالرواية الاولى والتي يعنف فيها انصاري مسلماً ويذكر انه مولى للانصار . والواقع انني لا اطمئن الى تفاصيل هذه الرواية ، والراجح عندي ان لها اصلا استغله احد اعداء مسلم ، ولعله ابن قنبر ، لفصله عن الانصار واثبات ولائه فيهم . ولعله ليس عبثاً ان نسبت القصة الى انصاري خزرجي واسندت روايتها الى انصاري ثم الى كوفي. ومما يؤيد ذلك ورود هذه الحادثة ذاتها على شكل آخر يرويه صاحب الاغاني كما يلي: [١] « ونسخت هذا الخبر من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه قال حدثني الحسن بن سعيد قال حدثني منصور بن جهور قال لما هجا ابن قنبر مسلم ابن الوليد امسك عنه مسلم بعد ان اشلى عليه لسانه قال فجاءه ابن عم له فقال له يا هذا الرجل انك عند الناس فوق ابن قنبر في عمود الشعر وقد بعث عليك لسانه ثم امسكت عنه فاما ان قارعته او سالمته فقال له مسلم ان لنا شيخاً وله مسجد يتهجد فيه وله بين ذلك دعوات يدعو بهن ونحن نسأله ان يجعله من بعض دعواته فانّا نُكفاه فأطرق الرجل ساعة ثم قال :

غُلِبَ ابنُ قَنبرَ واللئيمُ مُغلَّبُ لمَّا اتَّقيتَ هِجَاءَهُ بِدُعاءِ
ما زالَ يَقذِفُ بالهجاءِ ولَذْعِهِ حتى اتَّقَوهُ بدعوةِ الآباءِ

قال فقال له مسلم والله ما كان ابن قنبر يبلغ مني هذا كله فأمسك لسانك عني وتعرف خبره بعد هذا ... الخ »

ومما هو جدير بالذكر ان صاحب الاغاني يروي هذا النص الاخير للحادثة بعد روايته للنص الاول لها مباشرة ليبرىء ذمته . ولعل هذه الرغبة في تبرئة الذمة نفسها تشعرنا بعدم اطمئنان الاصبهاني الى النص الاول اطمئناناً كافياً .

٣ . اقوال مسلم :

لم يصلنا من اقوال مسلم في نسبه غير ابيات قليلة ، ولا ادري أذلك لقلة ما نظم في هذا الباب أم لكثرة ما فقد من شعره . وفي الديوان الذي بين ايدينا ثلاث مواطن يذكر فيها نسبه :

الاول : في القصيدة الخامسة عشرة التي يرد فيها على هجاء ابن قنبر فيقول [٢] :

---

١) دي خويه ص ٢٥٤ (نقلاً عن ج ٥ من مخطوطة ميونيخ للاغاني)
٢) نفسه ص ١١١

إنْ كُنتِ[1] نازِلةَ اليَفاعِ فَجَنّبي — دارَ الرَّبابِ وَخزرجي أو أوْسي

وتَجنَّبي الخُفَراءَ[2] إنَّ سيوفَهُمْ — حُدُثٌ وإنَّ قناتَهُم لم تَضْرَسِ

رفعتْ بنو النَّجارِ بيتي فيهِمِ — ثم انتَمَيتُ فأفسَحوا في المجلسِ

هل طيءُ الاجيالِ شاكرةُ امرىءٍ — ذادَ القوافي عن حِماها الاقعَسِ

وحمى[3] ابا نفرٍ[4] عظامَ حقيرةٍ — دَرَسَتْ وباقي عزِّها لم يَدرُسِ

كافأتُ نعمتَها بفضلِ بلائِها — ثم انفردتُ بمنصِبٍ لم يَدنَسِ

واذا افتخرتُ عددتُ سعيَ مآثرٍ — قَصرتْ على الإغضاءِ طَرْفَ الأشوَسِ

فاعقِلْ لسانَكَ عن شتائمِ عِرضِنا — لا يَعْلَقنَّكَ خادِرٌ[5] من مأنَسِ[6]

أخْلَقتَ فَخرَكَ من أبيكَ فجئتَني — بأبٍ جديدٍ بعدَ طولِ تَلمُّسِ

وهنا نرى الشاعر ينسب نفسه الى بني النجار من الانصار ، غير انه يلاحظ ان هذا النسب قد ورد على شيء من الغموض في البيت الثالث وان هذا الغموض قد امتد في البيت السابع بحيث لم يخبرنا الشاعر ان كان افتخاره هو بعدّه لمآثره الشخصية ام بعدّه لمآثر اجداده. ولئن كان مفسّر الديوان يزيل هذا الغموض من اذهاننا بنسبة الشاعر الى الانصار ونسبة السعي الى اجداده ، فمن الواضح ان تفسيره هذا لا ينفي وجود الغموض في النص .

والثاني : في قصيدة يهجو فيها قريشاً ويفخر بالانصار فيقول[7] :

فاخَرَتْنا لمّا بَسَطْنا لها الفخـ — ـرَ قريشٌ وفخرُها مُستعارُ

ذكرتْ عِزَّها وما كان فيها — قبلَ أن يستجيرَنا مُستجارُ

إنما كان عِزُّها في جبالٍ — تَرتَقيها لمّا تَرقّى الوبارُ

ايها الفاخرونَ بالعزِّ والعزُّ — لقومٍ سواهُمُ والفَخارُ

أخبِرونا مَن الاعزُّ أأَلمنصو — رُ حتى اعتلى أمِ الأنصارُ

---

1) يخاطب سحابة .

2) لعلها الحُمَراء (راجع هامش ص ١١٢ من دي خويه) ، والحُمَراء ، الاعاجم و الموالي

3) في الاغاني أحمي

4) كنية الطرماح

5) اسد

6) اسم موضع

7) دي خويه ص ٢٥٨ (نقلاً عن مخطوطة ميونيخ للاغاني) ، الدهان ص ٣٨٨ (عن مخطوطة دار الكتب للاغاني)

فلنا العزُّ قبلَ عزِّ قريشٍ وقريشٌ تلكَ الدهورَ تجارُ

ويتضح من هذه القصيدة ان مسلماً يفخر بالانصار ويعتبر نفسه منهم ، في غير غموض ولا لبس .

والثالث : في القصيدة التاسعة من الديوان حيث يقول: [١]

سَعَتْ ألسُنُ الواشينَ فيما يَعيبُني وهل كنتُ إلّا ماجداً عابهُ وغدُ
وكم عائبٍ لي ودَّ أني ولدتُهُ ولو كَرُمَتْ اعراقُهُ وزكا الأصلُ
وأني قَصِيٌّ الرَّحمِ مَجدي لِغيرِهِ فعابَ وما آلى ومن دونِهِ سَدْلُ

وهنا يشعر المرء وهو يقرأ هذه الابيات بأمرين على الاقل : الاول انهنالك هالة من الغموض تحيط بالنص ، هالة كثيفة لا يقوى المفسر والقارىء معاً على تحطيمها . والثاني ان من خلال هذا الغموض يبدو ميل للحيد عن الافصاح عن نسب الشاعر . ولا ندري ان كان مسلم يزيل هذا الغموض فيما بعد ويفصح عن نسبه في ما سقط من الابيات مما يلي هذه .

...

ولعلنا نستطيع الآن ان نضع اصبعنا على مصدر الخلاف في نسب مسلم بعد ان استمعنا الى الروايات التي وصلت الينا في ذلك . فقد ادعى ابن قنبر بأن خصمه مسلماً هو من الموالي ورد مسلم بانه نجاري أنصاري، ثم جاء الرواة وسلكوا سبيلين مختلفين لا سبيل الى التوفيق بينهما ، وكان ابرز الروايات في هذا الصدد رواية الاصبهاني التي تقول بولائه ورواية ابن قتيبة التى تذكر انه من ابناء الانصار.

وقد بحث عن مسلم حتى الآن نفر قليل من الادباء المحدثين والمستشرقين ولم يقطعوا برأي جازم موحد في هذا الامر ، فدي خويه الذي كان اول من نشر ديوان مسلم عام ١٨٧٥ يتغاضى عن هذه القضية تغاضياً كلياً في المقدمة اللاتينية التي كتبها لهذا الديوان ، وكذلك يفعل بروكلمان في كتابه عن تاريخ الادب العربي [٢] وذيله. اما كراتشكوفسكي الذي كتب عنه في الموسوعة الاسلامية [٣] فيكتفي بان يذكر ان والد مسلم كان مولى للانصار دون ان يذكر وجهة النظر

---

١) الديوان . نشر دي‌خويه. ص٧٧

٢) Brockelmann-Geschiche Der Arabischen Litteratur, 1943 P. 76 & Supplement Vol. I,p. 118.

٣) Encyclopaedia of Islam (Muslim ibnu-'l-Walid)

الثانية ودون ان يذكر من الحجج ما اعتمد عليه في تقرير وجهة نظره ، وعلوان يرجح انه كان من موالي الانصار لا من ابنائهم [١] ؛ وسلطان يعتمد قول ابن قنبر بأن مسلماً علج من نسل علج ويرى في ذلك ما يدل على انه كان فارسي الاصل ؛ [٢] والدكتور الدهان الذي نشر طبعة جديدة لديوان مسلم يكتفي بذكر وجهتي النظر تينك دون ان يدلي برأيه فيهما [٣].

ويخيل الي ان هناك امرين يجعلان القطع بحكم في هـــذه القضية صعباً :
الاول ان مسلماً قضى السنوات الاخيرة من حياته يعمل في جرجان بعيداً عن العراق ، حيث توفي عام ٢٠٨ للهجرة . وفي هذه الحقبة الاخيرة من حياته كان خصومه في البصرة وبغداد ، وربما في الكوفة ، في مأمن منه يستطيعون تزويد الرواة بما يطيب لهم ان يزودوهم به من اخباره دون ان يروا في ذلك حرجاً ، ودون ان يشعروا بأن مسلماً البعيد عنهم يستطيع ان يكيل لهم الصاع صاعين . . فليس بغريب اذن ان يتمكن هؤلاء الخصوم من ان يفتئتوا عليـــه حينذاك ويروجوا لولائه فيختلط الامر على الرواة ، او على بعضهم على الاقل .

والثاني ان عصر مسلم هو عصر اختلطت فيه الانساب وكثر الادعياء . والسبب في ذلك الحرج الذي اخذ يشعر به الموالي على اثر اشتداد الحركة المناوئة للشعوبية ، ذلك الحرج الذي كان له اثر مربك عند اولئك الموالي الذين كانوا يطمحون في ان ينالوا حظوة عند خليفة او امير او يطمعون في ان يروا شعرهم يسير على السنة العرب ، بصورة خاصة .

وكتب الادب مليئة باخبار هؤلاء الادعياء ، فقد روي انه [٤] « كان لعلي بن الخليل الكوفي [٥] صديق من الدهاقين [٦] يعاشره ويبره فغاب عنه مدة طويلة وعاد الى الكوفة وقد اصاب مالاً ورفعة وقويت احواله فادعى انه من بني تميم فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له ولقيه فلم يسلم عليه فقال يهجوه :

يَروحُ بنسبةِ المـــولى ويُصبِـــحُ يَدَّعي العرَبا

١) علوان ، حسن – صريع الغواني مسلم بن الوليد ص١٤ .
٢) سلطان ، محمد جميل – صريع الغواني – دراسة اخباره واشعاره ص١٣ .
٣) الدهان ، الدكتور سامي – شرح ديوان صريع الغواني ص م ١١ .
٤) الاغاني ط . بولاق ج ١٣ ص ١٨ .
٥) وكان مولى لمعن بن زائدة الشيباني .
٦) جمع دهقين وهو رئيس اقليم او تاجر .

فــلا هذا ولا هــذا ... كَ يُدرِكُهُ اذا طَلبــا

...

جَحَدْتَ اباكَ نِسبتَهُ ... وأرجو ان تفيــدَ أبا

وروي ان القاسم بن يوسف كان يدّعي انــه من بني عجل المقيمين بسواد الكوفة وهو مولى لهم . [1] « وكان اسحق بن مرار الشيباني مولى لبني شيبان وليس منهم » [2] . حتى أبو نواس الشديد التعصب لفارسيته « انتسب مضرياً ، ثم هجا مضر ، وانتسب يمانياً من قبيلة حكم من سعد العشيرة ، وافتخر باليمن ، ثم اعترف انه من مواليهم » [3] .

ومهما يكن الامر ، فلئن كان من المتعذر الآن القطع برأي حاسم في قضية نسب مسلم فان مجال الترجيح فيها لا يزال قائماً . وعلى ذلك فانني ارى ان من الممكن ترجيح انصاريته على ولائه [4] للأسباب التالية :

١ . ان ما جاء عن ولائه في شعر ابن قنبر لا يمكن ان يعتمد عليه من الناحية العلمية لانه جاء في معرض هجاء حاقد . اضف الى ذلك ان سيرة ابن قنبر لا تشجعنا على اعتماد اقواله ، وهو الذي يقول :

ومَن دعا الناسَ الى ذمِّــهِ ... ذمّوهُ بالحقِ وبالبــاطلِ [5]

٢ . ان رواية الاصبهاني التي تقول : « ... أبوه الوليد مولى الانصار ثم مولى أبي أمامة اسعد بن زرارة الخزرجي » لا يمكن اعتمادها ايضاً ، وذلك للسببين التاليين :

أ — ورود خطأ فيها، إذ تذكر كتب السير ان اسعد بن زرارة الخزرجي توفي في السنة الاولى للهجرة . [6] ولدينا من الدلائل ما يمكن معه حصر ولادة

---

١) ياقوت ، معجم الادباء ج ٥ ص ١٦١ .

٢) نفسه ج ٦ ص ٧٨ .

٣) احمد امين ورفاقه — المفصل في الادب العربي ج ١ ص ١٧٩ .

٤) المولى هو المسلم من غير العرب ، اذا انتسب الى رجل عربي او قبيلة عربية كان له على من ينتسب اليه حق الحماية وعليه حق المناصرة .

٥) الاغاني ج ١٣ ص ١١

٦) راجع ابن الاثير — اسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١ ص ٧١ ، ومحسن الامين — اعيان الشيعة ج ١١ ص ١٩٦ .

مسلم بين سنتي ١٣٠ ، ١٥٠ للهجرة على ابــعد تقدير . [١] ويؤخذ من حديث مناقضات مسلم مع ابن قنبر ان والد مسلم كان حياً يتهجد في مسجده خلال تلك المناقضات او خلال جزء منها على الاقل . فلو فرضنا ان عمر مسلم كان حوالي العشرين آنذاك لترتب على ذلك ان يكون والده قد عمّر من ١٥٠ الى ١٧٠ سنة تقريباً حتى يصح افتراض ولائه لاسعد بن زرارة . ومن الواضح ان ذلك بعيد الاحتمال ، ويترتب عليه انتفاء الشق الثاني من رواية الاصبهاني . ولئن كان انتفاء هذا الشق لا يحتّم بالطبع انتفاء الشق الاول من الرواية فانه لا ريب يضعفه باعتبار ان الشقين جاءا متلازمين متضافرين .

ب — بُعد عهد صاحبه عن عهد مسلم بالنسبة لابن قتيبة : فقد توفي مسلم سنة ٢٠٨ هـ وتوفي الاصبهاني سنة ٣٥٦ هـ ، اي بعد ذلك بمئة وثمانٍ واربعين سنة قضى خلالها جيلان من الناس . ويعني هذا ان اخبار الاصبهاني عن نسب مسلم جاءته اما رواية عن طريق آخرين لم يعرفوا مسلماً ولم يعاصروه ، او كتابة عن طريق كتاب السّف في هــذه الحقبة ولا نعرف مدى تحرّي صاحبه للحقيقة. وفي كلا الحالتين تكون اخباره اقرب الى الشك من اخبار اديب آخر عاصر معظم معاصري مسلم وعرف بالصدق وعــدم الاغراض كابن قتيبة مثلاً .

٣ . ولد ابن قتيبة الذي يقول بأنصارية مسلم سنة ٢١٣هـ اي بعد وفاة مسلم بخمس سنين فقط ، ولذا فقد عاصر أناساً عاصروا مسلماً وعرفوه معرفة حقيقية ، وتوفرت لديه الظروف التي تمكّنه من الاطلاع على حقيقة الأمر. ولدينــا من الدلائل ما يثبت انه اتصل بدعبل واستمع اليه [٢] ، ودعبل ، كما هو معلوم ، تلميذ مسلم وصديقه ومن اكثر الناس معرفة به . ومن المعروف ان دعبلاً زار مسلماً في جرجان في اواخر حياته ناشداً رفده ، الا ان مسلماً لم يلتفت اليــه فارتد غاضباً الى بغداد . ولو كان مسلم مولى حقاً لكان من الراجح ان يستغل دعبل الناقم ذلك فيروج له في شعره او يحدث به ابن قتيبة ولا سيما انه لا يعرف التوقر ولا يتورع عن هجاء اقرب الناس اليه . وليس في سيرة دعبل ولا في ما

١) راجع : ١. المقدمة اللاتينية لدي خويه ص ٥ .
٢. مقدمة الدهان ص م ١٤ .
٣. علوان — صريع الغواني ص ٢٧
٤. بحثنا عن مولده « ص ٦١ »

٢) الشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٢٧ .

رواه ابن قتيبة ما يشعر بذلك .

٤ . عرف عن ابن قتيبة الدقـة في طلب الحقائق شأن علماء الحديث. ولقد شهد له بذلك ابن خلـكان اذ قال عنه انه « كان فاضلاً ثقة » [١] .

ولا يعني هذا بالطبع الحط من قيمة روايات صاحب الاغاني بصورة عامة ، فابن خلكان نفسه يمتدحه ويقول عنه انه « كان عالماً بأيام الناس والانساب والسير » [٢] ، ولكن الذي اخشاه هو ان يكون قد اعتمد في روايته هذه على اغاني اسحق بن ابراهيم الموصلي وورّاقه [٣] وهي من المراجع التي اخذ عنها في اغانيه [٤] ، والمعروف ان والد اسحق كان مولى لبني تميم [٥] قوم ابن قنبر الذين هجاهم مسلم ، والمعروف كذلك ان كتاب اسحق « فيه تسمية القوم ونسبهم وبلادهم ، واسبابهم وازمنتهم ، وما اختلفوا فيه من غنائهم ، وبعض احاديثهم ، واحاديث قيان [٦] الحجاز والكوفة [٧] .. »

٥ . هجا مسلم العباس بن الاحنف فقال :

بنو حَنيفةَ لا يَرضَى الدَّعِيُّ بهم ... فاترُكْ حنيفةَ واطلُبْ غيرَها نَسبَا
واذهبْ الى عَرَبٍ تَرضَى بنسبتِهم ... إنّي أرى لك وجهاً يُشبِهُ العَرَبا

ولو كان مسلم مولى حقاً لـكان من الارجح ان لا يتعرض لقضية النسب في الهجاء وهو البادىء به ، ولـكان من المستبعد ان يتهكم على العباس بقوله : « اني أرى لك وجهاً يشبه العربا . »

٦ . يذكر الحصري بشكل واضح لا يقبل التأويل ان مسلماً كان «انصارياً صريحاً » [٨] . وعلى الرغم من اننا لا نود ان نبالغ في اهمية هذا القول لتأخر

---

١) وفيات الاعيان . ط . مصر ج ٢ ص ٢٤٦ .
٢) نفسه .
٣) ياقوت ، معجم الادباء – ط . مصر ج ٦ ص ٥٧ .
٤) خلف الله – صاحب الاغاني ص ٥٥ – ٦١ .
٥) الاغاني ج ٥ ص ٣
٦) في نسخة اكسفورد فتيان .
٧) ياقوت ، معجم الادباء ط . مصر ج ٦ ص ٤٩ .
٨) زهر الآداب وثمر الالباب ج ٤ ص ١٣٢.

صاحبه [١] نسبياً ، ولما ثبت لنا من امكانية اعتماده على ابن قتيبة في هذا الصدد او اشتراكه واياه في المصدر لتشابه في نصوصهما اللاحقة ، فانه يصح ان يتخذ منه بيّنة تتداعم والبيّنات الاخرى .

وقد يقال ان اكثر الادباء القدامى الذين ذكروا نسب مسلم قالوا بولائه بشكل واضح لا يقبل التأويل ايضاً . غير ان الواقع هو ان الكثرة لا قيمة لها في مجال الحكم العلمي ، فقديماً كان اكثر الناس – ان لم يكن كلهم – يقولون باستحالة تجزئة الذرة وكانوا جميعاً مخطئين . هذا فضلاً عن ان مقارنة نصوص هؤلاء الادباء بنص الاغاني يثبت انهم استقوا مادتهم في هذا الامر إما من الاغاني او من مصدر آخر أخذ عنه صاحب الاغاني .

والنتيجة ان قضية الترجيح في نسب مسلم ستبقى قائمة الى ان تتوفر لنا أدلة جديدة تمكننا من الحكم القاطع في أمره .



٢) توفي الحصري سنة ٤٥٣ هـ .

أسرتـــه

ليس في ما تحدّر الينا من روايات عن مسلم ، ولا في مـــا وصل الينا من شعره ، ما يعطينا صورة واضحة عن اسرته . فليس هناك نص مثلاً يشير الى والدته او الى أعمامه وخؤولته . وليس هناك نص أيضاً يشير الى علاقات هذه الأسرة بغيرها من الأسر بحيث نستطيع أن نستنتج منه مركز الاسرة وكيانها في المجتمع الكوفي . وكل ما وصل الينا عن هذه الاسرة لا يعطينا سوي صورة ناقصة هي على جانب كبير من الاضطراب والغموض .

فوالده ، الوليد ، كان من الانصار في رواية ، او من مواليهم في رواية اخرى . ولئن استطعنا ان نرجّح احدى الروايتين على الاخرى كما سبق ، فاننا لا نستطيع في الواقع ان نخرج برأي قاطع في هذه القضية .

ويذكر ابن قنبر في قصيدة له يهجو بها مسلماً ان الوليد هذا كان حائكاً[1] . ومن الواضح اننا لا نستطيع ان نطمئن الى هذه الرواية لانها جاءت في معرض الهجاء اولاً ، ولان الغرض من ايرادها قد يكون رغبة ابن قنبر في اثبات ولاء مسلم في الانصار ، اذ المعروف ان العرب كانوا يستنكفون لذلك العهد من العمل في المهن الحرة ومنها الحياكة .

ويبدو ان الوليد كان ورعا يتهجد في المسجد وهو شيخ ، ويبدو كذلك ان مسلماً كان يحبه ويعتبره مثالاً للصلاح والتقوى ، فقد روي انه شاء ان يستعين بدعواته في سبيل التخلص من هجاء خصمه ابن قنبر .[2]

ويذكر الجاحظ[3] وابن رشيق[4] انه كان لمسلم اخ[5] ضرير اسمه سليمان . وقد روي عن سليمان هذا انه كان يختلف الى بشار ويتأثر به ولذا فقد غدا مغموزاً في مذهبه ودينه ، كما روي عنه انه كان ينظم الشعر وانه كان منقطعاً

---

١) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٦٢) .

٢) الاغاني ج ١٣ ص ٩ .

٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٣١ ، ٣٢ ، والحيوان ج ٤ ص ١٩٥ .

٤) العمدة ج ٢ ص ٢٩١ .

٥) في نكت الهميان ص ١٦٠ يذكر انه ابن لمسلم . وفي معجم الادباء (ط . دار المأمون) ج ١١ ص ٢٥٥ يقول انه ابن مسلم ايضاً ويذكر ملازمته لبشار ويروي بعض شعره ويقول انه كان متهماً بدينه وانه مات سنة ١٧٩ هـ .

واخـــاه مسلماً الى يزيد بن مزيد ومحمد بن منصور بن زياد ثم الفضل بن سهل بعد ذلك . [1]

ويفترض الدكتور الدهان في مقدمته [2] لديوان مسلم ان يكون سليمان هذا اكبر سناً من اخيه باعتبار انه توفي قبله . وقد يكون هذا صحيحاً على الرغم من ان الدليل الذي اورده لا يمكن الاعتماد عليه في وضع افتراض كهذا .

وسواء أكان أكبر من مسلم أم أصغر منه ، فان انقطاعهما معاً لمدح بعض الاعلام يدل على تقارب في السن بينهما في الغالب . ولعل هذا التقارب يتيح لنا الافتراض بأن سليمان هذا كان ذا اثر في اشاعة جو شعري في البيت استفاد منه مسلم ابان نشأته ، ولعله كان ايضاً الواسطة التي انتقل عن طريقها اثر بشار الى اخيه .

---

١) دي خويه ص ٢٢٩ (عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)
٢) الدهان ص ، م ١٢ .

مولـــده

ولد مسلم في الكوفة في سنة اغفلتها كتب التراجم ولا سبيل الى معرفتها الآن على وجه التحقيق . غير انه تحدرت الينا رواية يمكن عن طريقها تقدير هذه السنة بوجه تقريبي . فقد ذكر صاحب العقد [1] ، رواية عن العتبي ، ان الرشيد طلب من مسلم ان يسمعه قصيدة رواهـا له وهو صغير . فان صحت الرواية كان من الممكن الافتراض ان مسلماً لا بد ان يكون اكبر سناً من الرشيد بما لا يقـل عن خمس سنوات الى عشر حتى يصبح من الممكن ان يروي الرشيد شعره وهو صغير . ولما كان الرشيد قد ولد سنة ١٤٨ هـ كان من الممكن الافتراض ان مسلماً ولد حوالي سنة ١٣٨ – ١٤٣ هـ [2] على اقل تقدير .

ولعل هـــذا التقدير ليس بعيداً عن الصواب اذ انه لا يتعارض مع تفسير بعض الروايات التي وصلت الينا عنه : فقد روي انه « كان قد خرج من الشباب ونزقه ولم يكن في عداد من اضطرب حيـاءً وله فهم وتجربة وتمييز ومعرفة » حين اتصل بالرشيد لاول مرة [3] . ومن المعلوم ان الرشيد تولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ ، وان مسلماً كان يتحرق في بادىء الامر للدخول عليه [4] الى ان ادخله منصور بن يزيد الحميري [5] . فلو فرضنا انه تمكن من الدخول عليه حوالي سنة ١٧٢ هـ لكان عمره آنذاك يتراوح بين ٢٩ ، ٣٤ سنة ، وهو عمر يمكن ان تنطبق على صاحبه الصفات المذكورة آنفاً .

---

١) ابن عبد ربه ج ٢ ص ١٨٢ .

٢) يقدر دي خويه ان سنة ولادته هي بين ١٣٠ - ١٤٠ هـ (المقدمة اللاتينية للديوان) ويقدرها علوان بسنة ١٣٨ هـ (علوان ص ٢٨) . ويذكر الدهان ان الباحثين من العرب رأوا انه ولد بين (سنة ١٤٠ – ١٥٠ هـ) ولكنه يفترض انه ولد حوالي سنة ١٤٠ هـ (الدهان ص . م ١٤) .

٣) دي خويه ص ٢٧٥ (عن مخطوطة ليدن لجمهرة الاسلام للشيزرى) .

٤) نفسه ص ٢٧٣ .

٥) نفسه ص ٢٧٤ .

نشأته وثقافته

على الرغم من انه لم يصلنا شيء عن نشأة شاعرنا سوى مـــا ذكره صاحب الاغاني من انه نشأ في الكوفة [١] ، وانه نشأ فقيراً [٢] ، فاننا لا نتوقع ان تكون هذه النشأة مغايرة لما يمكن ان تفرضه بيئة الكوفة على ابنائها في ذلك العهد . فلا بد انه كان كغيره من الناس يطوف منذ صغره شوارع المدينة فيرى فيها نماذج متغايرة من البشر : هذا فقيه يمعن في التزمّت والحرج ، وذاك ماجن يسرف في تلمس وسائل اللهو والمرح ، وآخر بين بين يأخذ من حيـــاة الوقار بقسط ويأخذ من حياة المجون بقسط آخر ثم يزاوج بين القسطين ليحيا حياة اعتدال ، لا يميل فيها نحو هذا الجانب او ذاك . يرى ذلك فتساور نفسه نوازع متضاربة ليس لأي منها ان تستقر في نفسه قبل ان تتاح لها فرص للتمكن من هذه النفس .

ولا بد انه كان يتردد ايضـاً على كِناسة المدينة فيرى مع غيره من الصبية الرجال وهم يزمّون رواحلهم استعداداً للسفر او ينيخونها اثر سفرات طويلة مضنية ، ويصغي واترابه بشغف الى من يتحدث من هؤلاء عن مشاق السفر واهواله او احوال البلاد المختلفة التي يقصدون اليها او يفدون منها . ولعله كان يحسن الاصغاء حين كان يرى في الكناسة شاعراً ينشد شعراً [٣] ، بعد ان جعل الكوفيون من هذا المكان « مربداً » لمدينتهم .

ونرجح ان يكون والده قد ارسله في هذه المرحلة من حياته الى احد كتاتيب المدينة ، شأن الكثيرين من اهـل عصره ، فتلقى هناك دروسه الاولى في علوم اللغة والدين . ومن الطبيعي ان هذا الوالد التقيّ الورع كان يشجعه بعد ذلك على أمّ مسجد المدينة الكبير حيث يرجح ان تكون قد اتيحت له فرص للالتحاق ببعض حلقاته والاستماع الى ما كان يقال في هذه الحلقات من امور لغوية ودينية ومـــا كان يتلى فيها من شعر . ويبدو انه كان كثير الميل الى الاستماع الى رواة الشعر وهم يروون شعر الفحول من الشعراء كامرىء القيس

---

١) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٢٨) .

٢) جاء في اخبار دعبل (الاغاني ج ١٨ ص ٣٦) انه «كان ينام هو ومسلم بن الوليد في ازار واحد لا يملكان غيره» .

٣) راجع معجم الادباء ج ٧ ص ١٠٠ .

والنابغة والاعشى وزهير وذي الرمّة وعمر والاخطــل والفرزدق والحطيئة وغيرهم ، ولا بد أنـــه روى الكثير مما سمع من شعر قبل ان ينظم ، فرواية الشعر – ولا سيما القديم منه – كانت ضرورة لازبة لمن يريد ان يمارسه ، كما كانت جزءاً أساسياً من ثقافة الشاعر في ذلك العهد .

واغلب الظن انه بدأ حياته الشعرية في اوائل شبابه فأخذ يقلد غيره من الشعراء ويقرزم شعراً ضعيفـــاً حرص على ان لا يصل الينا ، فهو في وصية له لتلميذه دعبل يقول [١]: « اياك ان يكون اول ما يظهر لك ساقطاً فتعرف به ، ثم لو قلت كل شيء حسن كان الاول اشهر عنك وكنت ابداً لا تزال تعـيّر به » .

واغلب الظن ايضاً ان دور الرواية والتقليد الذي مر به شاعرنا، والذي يمر به جل الشعراء في العادة ، هو الذي مهّد للجانب التقليدي القديم الذي نراه في شعره .

ولسنا نعلم على وجه التحقيق المسلك الذي سلكه مسلم وهو شاب يافـع في مدينة شاع فيها الفسق والمجون والانحراف الجنسي ، غير ان ما نعلمه هو انه لم تصل الينا روايات عن انغماسه في حمأة هذا التيار انغماس غيره من شعراء عصره الماجنين . ولسنا ميّالين الى تنزيهه في هذا الباب كما فعل الدكتور الدهان[٢]، بل اننا نكاد نرجح مما نستنتجه من روايات وصلت الينا عن حياته في ما تلا هـذه الحقبة انه لم يكن منزّهاً فيها ، وانه لا بد ان اسام سرح اللهو ونهز مع الغواة ، وان كان ذلك في شيء من التحرج وعدم الاسراف في الغالب . ولعل تقوى والده[٣] ، وحرصه على أن لا يسيء الى سمعة هذا الوالد الذي عرف بحبـه له ، عملا على كبح جماحه فمال الى التحرج والاعتدال .

ورغم هذا الرأي ، فالواقع ان فترة الشباب المبكر لا تزال فـترة غامضـة في حياة مسلم شأنها في حياة جل الشعراء الآخرين . ومن يدري فلعله قضى شطراً منها في البادية لاستكمال ثقافته اللغوية على عادة بعضهم في ذلك الوقت،اذ الواقع ان من يقرأ شعر مسلم يلحظ اثر الباديةفيه يسير جنباً الى جنب مع اثر الحاضرة،

---

١) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٥)

٢) راجع الدهان ص (م ١٤)

٣) الاغاني ج ١٣ ص ٩

فمتانته اللغوية ، وما فيه من مُثُل بدوية في الحياة والجمال ، وما يحويه من تشابيه وصور منتزعة من حياة البادية – كل ذلك يصعب تفسيره الا على اساس احـــد الافتراضين التاليين او كليهما : الاول تأثره العميق بشعر الشعراء القدامى الذين كان للصحراء وحياتها اثر كبير في شعرهم ، والثاني تأثره بحياة البادية عن كثب في هذه المرحلة ذاتها من حياته .

وفي الوقت الذي لا يمكننا ان نقطع فيه برأي حاسم في هذه القضية ، فاننا لا نستطيع الا ان نتساءل اين كان مسلم حين كان اخوه سليمان يتصل ببشار ويأخذ عنه فتنتقل اخباره الى الرواة وينقلونها لنا ، ويسكتون عن مسلم ؟ واين كان كذلك حين وفد والبة وابو نواس على الكوفة واتصلا بأدبائها [١] ، ولم ينقل لنا الرواة انهما اتصلا بمسلم ؟ أكان في المدينة مهمل الذكر آنذاك ، ام كان خارجها يستكمل مواهبه ويعدّ نفسه لمستقبل زاهر ؟!

ومهما يكن الامر فقد استطاع مسلم ان يزوّد نفسه ، في مراحل حياتـــه الاولى ، بثقافة لغوية وشعرية وفكرية حسنة انعكست في شعره فيما بعد. ولعل من حسن حظه ان كانت نشأته في الكوفة التي كانت في عهده مدرسة بأسرها يتلقى فيها الناس ضروب العلم – عن قصد وعن غير قصد – في المسجد الجامع حيث حلقات العلماء والادباء ، وفي البيوتات والبساتين حيث معظم مجالس الشعراء ، وفي الاسواق والشوارع حيث كان يتاح للمرء دائماً الاتصال بالعرب والاستفادة من تراثهم اللغوي بصورة خاصة ، والاتصال بالاعاجم والاخذ من مظاهر حياتهم الحضارية العريقـة وتراثهم الفكري الأثيل . وليس من شك في ان شاعرنا استفاد جهده من جل ما زودته به بيئته، وانعكس ذلك في شعره . ويخيل اليّ ان ميله للبديع وعنايته بالزخرف بصورة عامـة إن هو الا مظهر حضاري يتصل اتصالاً وثيقاً بهذه الحياة العامة التي كانت تسود الكوفة نتيجة لاتصال العرب بهؤلاء الاعاجم،وان ذكره لأله الحلم في بعض شعره إنما هو انعكاس لأثر أجنبي قد يتصل باليونانية أو بالثنوية الفارسية [٢] ، كما ان تباهيه بوجود

---

١) المفصل في تاريخ الادب العربي ج ١ ص ١٧٩ .

٢) قال في قصيدة ضاع بعضها :

ما كل عاذلة تصغي لهـــا اذني ... وقد سمعت على الاكراه فانطلقي

فما شكوت الهوى جهلاً بلذته ... ولا عصيت اله الحلم عن خرق

بيت في شعره اخذ معناه من التوراة [1] يشير الى اتصاله ببعض اصحاب التوراة من سكان المدينة .

ولعلي استطيع ان اذهب الى ابعد من ذلك فأفترض ان اثر هذه البيئة قد يكون تجاوز هذا وان مسلماً ربما عرف الفارسية — او مبادئها على الاقل — منذ نشأته الاولى [2] ، ثم اتيحت له فرصة فيما بعد لاتقانها حين ارسل موظفاً الى خراسان .

---

١) قيل لمسلم بن الوليد : اي شعرك احب اليك ؟ قال : ان في شعري لبيتاً اخذت معناه من التوراة ، وهو قولي :

دلّت على عيبها الدنيا وصدقها ... ما استرجع الدهر مما كان اعطاني

(الدهان ص ٣٧٣ عن مخطوطة دار الكتب للاغاني ج ١٧ ص ٤٧ و)

٢) مما يقوي هذا الافتراض :

(أ) كثرة العناصر الفارسية في المدينة آنذاك .

(ب) إرساله موظفاً إلى خراسان الفارسية فيما بعد .

سَمْتُهُ وشخصيّتُه

لم يصل الينا وصف لسمت مسلم في غير رواية واحدة ، على ما اعلم ، ذكرها صاحب الجمهرة واشار فيها الى ان مسلماً كان حلواً [1]، حتى بعد ان كان قد «خرج من الشباب ونزقه» – على حد قول صاحب الرواية .

غير ان مسلماً اورد بيتاً من الشعر ان كان جاداً فيه فانما ينم عن انه كان بديناً ايضاً ، في وقت شبابه على الاقل . قال :

أَحَبَّ قلبي وما دَرَى جَسَدي ولو دَرَى لم يُقِمْ بــه السِّمَنُ

واقول ان كان جاداً لان الفن الادبي لا يعرف الجد احياناً كثيرة ، فها هو بشار والمتنبي مثلاً يطرقان معنى مشابهاً دون ان يشعرانا بانهما يقصدان الى الجد ، فيقول الاول منهما :

إنَّ في بُرْدَيَّ جسماً ناحِلاً لو تَوَكَّأْتِ عليهِ لانهَدَمْ

ويقول الثاني :

كَفى بجسمي نُحولاً أنني رجلٌ لولا مُخاطَبَتي إيَّاكَ لم تَرَني

اما شخصيته ، فمن السهل استنتاج كثير من مقوّماتها من خلال اخبــاره وشعره . واليك اهم ما قامت عليه تلك الشخصية :

١) الفطنة :

وتتجلى فطنة مسلم في ثلاثة مظاهر على الاقل : اولها المقدرة التي اظهرها في ابتكار المعاني الجديدة وتقصيها وتحوير المعاني القديمة والتوسع فيها في شعره، وثانيها بعض الروايات التي انحدرت الينا في وصفه ، وثالثها المهارة التي اظهرها في التخلص من بعض المواقف الحرجة في حياته .

اما المظهر الاول فسنتحدث عنه باسهاب عند البحث في شعره .

واما المظهر الثاني فقد روي عن الحمــيري ان مسلماً كان ذا « فهم وتجربة وتميز ومعرفة» [2].

واما الثالث فيكفي ان نسرد لك حادثتين فقط لتتبين هذه الصفة فيـه :

---

١) جمهرة الاسلام – مخطوطة ليدن (الدهان ص ٤٣٠) .
٢) نفسه (الدهان ص ٤٣٠)

— «كان هارون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم، وكان مسلم بن الوليد، صريع الغواني ، قد رمي عنده بالتشيع فأمر بطلبه فهرب عنه ثم وجد هو وانس ابن ابي شيخ عند قينة ببغداد . فلما أتي بهما قيل له يا امير المؤمنين قد أتي بالرجلين ، قال أي الرجلين ؟ قيل أنس بن ابي شيخ ومسلم بن الوليد ، فقال الحمد لله الذي اظفرني بهما ، يا غلام احضرهما. فلما دخلا عليه نظر الى مسلم بن الوليد وقد تغير لونه فرقّ له وقال إيهاً يا مسلم انت القائل :

أَنِسَ الهوى بِبَني عليٍّ في الحَشا — وأراهُ يطمحُ عن بني العبَّاس

قال : بل انا الذي يقول يا امير المؤمنين :

أنِسَ الهوى ببني العُمومة في الحشا — مُستَوْحِشاً من سائِرِ الأُنّاسِ
واذا تَكامَلَتِ الفضائِلُ كنتمُ — أَولى بذلكَ يا بني العبّاسِ

قال : فعجب هارون من سرعة بديهته »[1] .

وعلى الرغم من اننا لا نستطيع ان نتأكد من ان مسلماً قال البيتين الاخيرين على البديهة او انه اعدهما سابقاً ليخلص نفسه من ورطة متوقعة ، فان كلاً من الافتراضين يصح ان يتخذ دليلاً على فطنته وذكائه .

— «خرج دعبل الى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل فصار الى مرو ، وكتب الى الفضل بن سهل :

لا تَعْبأَنْ بابنِ الوليدِ فإنهُ — يَرميكَ بَعدَ ثلاثةٍ بِمَلالِ
إنّ المَلولَ وإنْ تَقادَمَ عهدُهُ — كانتْ مَوَدَّتُهُ كَفَيءِ ظِلالِ

قال : فدفع الفضل الى مسلم الرقعة وقال : انظر يا أبا الوليد الى رقعة دعبل فيك ، فلما قرأها قال له : هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد وهو يفسق به؟ قال : لا ، قال : كان يلقب بميّاس ، ثم كتب اليه :

مَيّاسُ قُلْ لي أينَ انت مِنَ الورَى — لا انتَ معلومٌ ولا مجهولُ
أمّا الهجاءُ فَدَقَّ عِرضُكَ دونَهُ — والمدحُ عنكَ كما عَلِمتَ جليلُ
فاذهب فانتَ طليقُ عِرضِكَ إنّهُ — عِرضٌ عَزَزْتَ بهِ وأنتَ ذليلُ»[2]

١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٠ ، ودي خويه ص ٣٠١
٢) مخطوطة دار الكتب للاغاني (الدهان ص ٣٧٤)

٢) التروّي وإعمال الفكر :

ذكر ابن رشيق [١] ان مسلماً « كان صاحب روّية وفكرة لا يبتده ولا يرتجل ». ولئن كان يقصد بقوله هذا مسلكه الشعري في الغالب فاني احسب ان هذا المسلك لم يكن الا انعكاساً لطبيعة تميل الى الروية وتكره ارتجال الامور. والواقع ان هذه الطبيعة تكاد تكون عامة بين اصحاب مدرسة البديع التي ينتمي اليها مسلم ، فالعناية بصوغ العبارة وتنسيقها ان هو في الحقيقة الا مظهر لنفس تؤثر التروّي وترتاح الى التفكير الهادىء الرزين.

وما وصية مسلم لتلميذه دعبل بأن يتحاشى اظهار شعره للناس الا بعد نضجه واكتماله [٢] غير تعبير عما تكنه نفسه من ايثار للتروي والتريث.

وقد يقال ان هناك مواقف في حياة مسلم ارتجل فيها شعراً ينم ارتجاله عن سرعة بديهة ، غير ان هذه المواقف قليلة على كل حال ، وتتناول حالات نفسية خاصة . ولو آمنّا بصحة الروايات التي وردت فيها لامكن الاستنتاج ان بديهة مسلم لم تكن تسعفه الا حيث كان يثيرها سيف مسلط [٣] او امل قريب [٤] او نشوة ارتياح [٥].

٣) رقة العاطفة :

كان مسلم ، على ما يبدو ، رقيق العاطفة ، سريع التأثر ، ومن ثم كانت شدة استخذائه للغواني وتدلهه في حبهن . وديوانه مليء بما يشعر بذلك ، قال :

أمَّا النَحيبُ فاني سوفَ أنتَحِبُ ... على الأحبَّةِ إن شَطّوا وان قَرُبوا

وقال ايضاً:

لمّا نظرتُ الى بُعدِ المَزارِ بهم ... قَعَدتُ أبكي على نفسي وأنتحِبُ

وقال :

نُقاتِلُ ابطالَ الوغى فَنُبيدُهُم ... ويقتُلُنا في السِّلمِ لحظُ الكواعبِ
وليست سيوفُ الهندِ تُفني سيوفَنا ... ولكنْ سِهامٌ فُوِّقتْ بالحواجبِ

---

١) العمدة ج ١ ص ١٦٦ .

٢) مخطوطة دار الكتب للاغاني (الدهان ص ٣٧٧)

٣) راجع قصته مع الرشيد حين اتهم بالتشيع (ص ٦٧ من هذا الكتاب)

٤) راجع قصته مع عائشة بنت المهدي حين طلبت من الشعراء اجازة بيت شعر مقابل مئة دينار (العقد الفريد ج٥ ص ٣٨٣)

٥) راجع قصته ووصيف محمد بن منصور حين قدم اليه خمراً في كأس مذهبة (العقد ج٦ص٤٣٨)

ورقة عواطف مسلم تجلت في مواقف كثيرة اهمها :

أ) طلاقه لزوجته : اذ ما ان طلقها حتى نظم قصيدة تفيض بالعاطفة يأسف فيها لهذا الطلاق ويحاول ان يعزوه الى القدر فيقول :

اجارَتَنا ما في فراقِكِ راحةٌ ... ولكنْ مَضى قولٌ فأنتِ به بَسْلُ[1]

فَبيني فقد فارقتِ غيرَ ذميمةٍ ... قضاءٌ دعانا للقَطيعةِ لا الخَتْلُ

أَمَا واغتيالِ الدهرِ خُلةَ بَينِنا ... لقد غالَ إلفاً ساكناً بِهِمُ الدهرِ

فما بي الى مُستطرَفِ العيشِ وَحشةٌ ... وان كنتُ لا مالٌ لديَّ ولا أهلُ

بِنا لا بكِ الأمرُ الذي تَكرهينَهُ ... اتى الحِلمُ بالعُتبَى وقد سَبَقَ الجهلُ

وفي هذه القصيدة يظهر شدة حرقته على ولده منها ويذكر ان لولاه لمات حبه لها ولتزوج بعدها فيقول :

لَعَمْرُ ابنِها لولا احتراقُ الحَشَى له ... لمَاتَ الجوى أو لاستُفيدَ بها مِثْلُ

ب) وفاة زوجته الثانية : فما ان ماتت حتى «جزع عليها جزعاً شديداً وتنسك مدة طويلة ، وعزم على ملازمة ذلك ، فاقسم عليه بعض اخوانه ذات يوم ان يزوره ففعل ، فأكلوا وقدموا الشراب فامتنع منه واباه ، وانشأ يقول :

بكاءٌ وكأسٌ كيفَ يَتَّفِقانِ ... سبيلاهما في القلبِ مختلِفانِ

دعاني وإفراطَ البكاءِ فإنني ... أرى اليومَ فيهِ غيرَ ما تَرَيانِ

غَدَتْ والثرى أولى بها مِن وَليِّها ... إلى منزلٍ ناءٍ لِعينكَ دانِ

فلا حُزنَ حتى تذرِفَ العينُ ماءَها ... وتعترفَ الاحشاءُ للخفقانِ

وكيف بِدَفعِ اليأسِ للوَجدِ بعدَها ... وسهاهما في القلبِ يَعتلِجانِ[2]

والمقطوعة ، كما نرى ، كلها حرقة وتوجع ورقة عاطفة .

ورقة عاطفة مسلم هي التي جعلت منه شخصاً ألوفاً اذا فارق عهداً حنّ اليه :

أَمُنْقَضٍ عنهُ حُزنٌ ما يُفارِقُهُ ... أَقامَ بينَ الحشا والسُّقمِ والكمد

أم ليس ناسيَ ايامٍ لهُ سَلفَتْ ... جَرَتْ عليه بلذاتٍ فلم تَعُدِ

---

1) بسل : حرام

2) الاغاني - مخطوطة ميونيخ (دي خويه ص ٢٥٢) . ولعل « والوجد » تستقيم اكثر من «للوجد»

واذا غادر بلداً تشوق الى اهله :

يا ساكنَ الكوفةِ اللاهي بـلذّتِـهِ ما مالَ بي عن حبيبٍ غيرِكَ الطرَبُ

واذا نزح عن بلاده الى بلاد الغربة فهناك تتقد عاطفته ويورى حنينه فلا يجد من نفسه ما يساعده على اخماد ذلك سوى محاولة تعزية هذه النفس بما تقيم فيه من نعيم وما تتقلب فيه من جاه وعز . قال :

لا يَمْنَعَنّكَ خفضَ العيشِ في دَعَةٍ نزوعُ نفسٍ الى اهلٍ واوطانِ
تَلقى بكلِ بلادٍ إن حللتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

واذا نأى عنه صديق او ولي نعمة تأثر لنأيه : قال في وداع اسماعيل البرمكي :

وإني واسماعيلَ يومَ وَداعِهِ لكالغمدِ يومَ الروعِ فارَقَهُ النّصلُ
وإنّيَ في مالي وأهلي كأنني لِنَأيِكَ لا مالٌ لَدَيَّ ولا أهلُ

وقال ايضاً :

أهلَ الصّفاءِ نأيتم بعدَ قُرْبِكُمُ فما انتفعتُ بعيشٍ بعدَكم صافي
وقد قصدتُ نَدَى مَن لا يوافِقُني فكانَ سهميَ عنهُ الطائشَ الطّافي

وقد يقال ان تأثره لنأي هؤلاء كان مصدره المادة. وقد يكون هذا صحيحاً الى حد ، غير انه لو كانت المادة هي العامل الوحيد الذي يحرّك نفسه ويثير عاطفته لكان الاجدر ان يقترن نشدانها بقصائد استقبال لا قصائد وداع .

٤) الميل للهوى واللهو :

وهذه الصفة تبرز لنا واضحة في ديوانه ،فهو لا يني يردد فيه هذا الميل فيقول :

ما مَرَّ بي شيءٌ أشدُّ مِنَ الهَوى سُبحانَ مَن خلقَ الهوى وتَعالى

ويقول في موطن آخر :

لم أصحُ مِن لذةٍ لالا ولا طربٍ وكيفَ يصحو قرينُ اللهوِ واللعبِ
نفسي تنازِعُني اللذاتِ دائبةً وإنما اللهوُ واللذاتُ من أرَبي
كم ليلةٍ بِتُّ مسروراً ومُغتَبطاً جَذْلانَ مُنغَمِساً في اللهوِ والطربِ

ويقول في موطن ثالث :

ألَمْ تَرَ أني بأرضِ الشآمِ أطَعْتُ الهوى وشربتُ العُقارا

شربتُ ونادمَني شادنٌ صغيرٌ وإنّي أحبُّ الصِّغارا
وَصِرْفٍ رُصافيَّةٍ قَهوَةٍ تُميتُ الهمومَ وتُبدي السّرارا
كُمَيتٍ رَحيقٍ اذا صُفِّقَت أطارتْ على حافَتيها الشّرارا
لقدكِدتُ من حبِّ خمرِ البليخِ[1] أنْ اجعلَ الشامَ أهلاً ودارا

وقد تناول لهو مسلم ميدانين هما الخمرة والنساء ، وقد جمع بينهما بقوله :

هلِ العيشُ إلّا أنْ أروحَ مع الصِّبا وأغدو صريعَ الرّاحِ والأعيُنِ النُّجلِ

وقوله :

وما العيشُ إلّا أن أبيتَ مُوَسَّداً صريعَ مُدامٍ كَفَّ أحورَ أكحلِ

أحب مسلم الخمرة ووصفها في شعره وصف خبير بها واظهر شغفه بشربها مقتولة حيناً :

صفراءَ من حَلَبِ الكروم كَسَوْتُها بيضاءَ من صَوبِ الغيوم البُجَّسِ
مُزِجَتْ وَلاوَذَها الحَبابُ فحاكها فكأنَّ حِليتَها جَنِيُّ النرجسِ

وغير مقتولة حيناً آخر :

إذا شئتُما أن تَسقياني مُدامَةً فلا تَقتُلاها كلُّ مَيْتٍ مُحرَّمُ
خَلطنا دماً من كرمةٍ بدمائِنا فأظهرَ في الالوانِ مِنّا الدَّمَ الدَّمُ

واحب النساء وتغزل بهن وارسل لبعضهن الرسل وكتب الكتب[2]. قال في احدى قصائده :

أُجرِرتُ حبلَ خليعٍ في الصِّبا غَزِلِ وَشمَّرَتْ هِمَمُ العُذّالِ في العَذَلِ
هاجَ البكاءَ على العينِ الطّموحِ هَوًى مُفرَّقٌ بَينَ توديعٍ ومُحتَمَلِ
كيف السُّلوُّ لِقلبٍ راحَ مُختَبَلاً يَهذي بصاحبٍ قلبٍ غيرِ مُختَبَلِ

وقال في قصيدة اخرى :

وفي الفؤادِ نارٌ ليس لها خمودُ
تَشُبُّها نيرانٌ مِنَ الهوى وُقودُ

---

١) نهر بالرقة.

٢) مخطوطة ميونيخ للأغاني (دي خويه ص ٢٢٩)

إذا أقولُ يومـاً	قد أُطفِئتْ تزيدُ
يا عاذِلَيَّ كُفّا	فإنـني معمـودُ
أكثرتُما تفنيدي [1]	لو ينفـع التفنيـدُ
قد أقصَدَتْ [2] فؤادي	خُمصانةٌ [3] خريدُ [4]
بهنـانةٌ [5] لعوبٌ	غَرثى [6] الوشاحِ رُودُ
هِجرانُهـا قريبٌ	ووَصلُهـا بعيـدُ
كلامُهـا خَلوبٌ	إلى الصبّا يقـودُ
وطرْفُهـا مريضٌ	ولحظُهـا صَيُودُ إلخ

وقال في ثالثة :

كتابُ فتىً أخي كَلَفٍ طروبِ	إلى خَوْدٍ [7] مُنَعَّمَةٍ لعـوبِ
صَبَوتُ إليـكِ من حزنٍ وشوقٍ	وقد يصبـو المحبُّ الى الحبيبِ
وقد كانت تُجيبُ اذا كتبنا	فيـا سَقْيـاً ورَعْيـاً للحبيبِ

وترى مسلماً المولع بالخمر والنساء يجمع بين اثرهما في نفسه احياناً فيقول :

أريقاً من رُضابِكِ ام رحيقـا	رَشَفتُ فلستُ مِن سُكري مُفيقا
ولِلصَّهبـاءِ اسمـاءٌ ولكن	جَهِلتُ فإنّ في الأسماءِ ريقـا

٥) اضطراب النفس :

ولمسلم نفس مضطربة قلقة . ولعل اضطراب الكوفة وقلقها منـذ نشأتها انعكس عليه كما انعكس على غيره من سكانها . وكتب التاريخ تحدثنا عن تقلب الكوفيين واضطراب امورهم بصورة عامة [8].

ولعل من اهم مظاهر الاضطراب النفسي عند مسلم هذا التناقض الذي كثيراً

١) لومي وتضعيف رأيي
٢) أقصده السهم : اصابه فقتله
٣) ضامرة البطن
٤) حيية
٥) امرأة طيبة ، لينة في عملها ومنطقها
٦) جائعة. وغرثى الوشاح كناية عن دقة خصرها
٧) خود : امرأة شابة .
٨) راجع البراقي — تاريخ الكوفة ص ٨٩ و ٢٥٠ و Encyclopaedia of Islam (Kufa)

ما نلمسه في مسلكه وشعره ، فبينما يبدي في شعره مثلاً تعطشاً شديداً لشرب الخمرة نراه في الواقع لا يسرف في شربها ، وبينما نراه «لا يتبتّل» في سلوته – على حد قوله – نراه يرمي زميله ابا نؤاس بالفجور . فها هو يقول :

« لمت ابا نواس ابن هانىء على تماديه في الشرب وانهماكه في الغي فأنشدني بديهة :

فأولُ شُربِكَ طرحُ الإزارِ   وثانيهِ مِن بَعدِ طرحِ الازار
وما هَنَأَتْكَ الملاهي بمثلِ   إماتةِ مجدٍ واحياءِ عار
وما جاءَ دهرٌ بلذاتـــهِ   على من يضِنُّ بخلعِ العِذار

فوليت عنه وقلت جواب حاضر من شيخ فاجر » [١]

ومن الواضح ان مثل هذا التناقض قد يكون اثراً من آثار التقليد الفني عند الشاعر أحياناً ، غير ان من الصعب ان نفترض انه يمكن ان يكون كذلك دائماً عند مسلم وهو الذي قد يظهر تناقضاً في شعوره الشخصي في القصيدة الواحدة ، ففي لاميته التي يظهر فيها ولعه الشديد بزوجه الطالق – على ما جاء معنا في السابق – يبدي سلوّه اياها وعدم تشوّقه لها حين يقول :

فلا شوقَ إنَّ اليأسَ أعقبَ سَلوةً   سَواءٌ نوى مَن لا يُراجَعُ والثَّكلُ

وحين يقول :

سَلوْتُ وإن قال العواذِلُ لا يسلو   وأقسمتُ لا يَرقى إلى سمعيَ العَذلُ

٦) الاسراف :

وكان مسلم مسرفاً متلافاً فكان يتساجل في الانفاق هو وابو نواس وعباس بين الاحنف [٢] . وكان اذا كسب مالاً جمع جمعاً من أصحابه فلم يخرج من بيته اكلاً وشرباً ولعباً ولهواً، حتى يبقى مما كسب قوت شهر فيظهر فعرف بذلك فكان ظهوره ظهور خلته [٣]. ومن السهل تقدير مدى اسراف مسلم ان علمنا الاموال الطائلة التي ظفر بها من ممدوحيه ومما قلد من اعمال. فقد ذكر العباسي [٤] ان مسلماً كان «منقطعاً الى البرامكة ثم اتصل بعد ذلك بالفضل بن سهل وقرب

---

١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفـّاء – مخطوطة ليدن (دي خويه ص ٢٨٩)
٢) ابن رشيق ، العمدة ج ٢ ص ١٧٧
٣) جمهرة الاسلام – مخطوطة ليدن (الدهان ص ٤٢٩)
٤) معاهد التنصيص ص ٣٦٠

من قبله وحظي عنده حتى قلده اعمالا بجرجان اكتسب منهـا الف الف درهم . فلما حصل المال عنده لزم منزله ، وكان كريماً سمحاً فأتلف جميع ما اكتسب . ثم صار الى الفضل بن سهل بعد ذلك مستجدياً فقال له : « الم اغنك » فقـال : « وما غناي في الف الف والف الف الف ولا هي قدرك ولا قدري فقال له الفضل ان بيوت الاموال لا تقوم على هذا الفعل ثم قلده الضياع باصبهان وضم اليه رجلاً يأخذ مرافق العمل ويطلق له منها شيئاً يحتاج اليه بقدر نفقته ويبتاع له بالباقي ضياعاً فاكتسب ايضاً الف الف ابتيع له بها ضياع . فلما قتل الفضل بن سهل لزم منزله ولم يمدح احداً حتى مات ».

وذكر صاحب الاغاني[1] رواية اخرى قال فيها : « دخل مسلم بن الوليـدُ على الفضل بن سهل فانشده قوله فيه :

لو َنـَطقَ الناسُ أو أثنـَوا بعِلمِهـِم	ونبّأتْ عن معالي دهرِكَ الكتب
لم يَبلغوا منكَ ادنى ما َتمُتُّ بهِ	اذا تفاخَرَتِ الاملاكُ وانتسبوا

فأمر له عن كل بيت من هذه القصيدة بألف درهم».

ناهيك بالاموال الطائلة التي اغدقها عليه ممدوحوه الآخرون، ولا سيما يزيد بن مزيد ، فكان نصيبها الاتلاف والصرف على الاصدقاء ومجالس اللهو .

والواقع ان حياة شاعرنا كانت رغم هذه الاموال الطائلة تتراوح بين العسر واليسر ، فكثيراً ما اعسر نتيجة لاسرافه العظيم فاضطر الى بيع متاع او رهن ثوب :

فقد روى صاحب الاغاني انه اضطريوماً الى بيع خفـّيه حين قدم عليه صديق من الكوفة، وهو ببغداد ، ولم يكن عنده درهم ينفقه عليه– على حد قوله [2]. كما روى انه دفع منديله الى صديقه دعبل ليبيعه حين جاءه وجارية ليؤم بها منزله فصادفه على عسرة [3] . وروى ايضاً انه كان قد رهن طيلسانه حين ارسل اليه يزيد بن مزيد خمسمائة درهم من الرقة ، من مكافأة على مديح [4] .

---

١) الاغاني – مخطوطة ميونيخ (دي خويه ص ٢٤٩)
٢) نفسه (دي خويه ص ٢٣٣)
٣) مخطوطة دار الكتب للاغاني – (الدهان ص ٣٧٥ – ٣٧٦)
٤) مخطوطة ميونيـخ للاغاني (دي خويه ص ٢٣٦)

٧) التواضع :

وكان كذلك متواضعاً غير مدّعٍ ، فقد روى دعبل بن علي قال [١] « قلت لابي نواس كيف رأيت مسلماً فقال : هو اشعر الناس بعدي ، وسألت مسلماً عنه فقلت كيف رأيت ابا نواس فقال : هو اشعر الناس وانا بعده » .

وروى المرزباني [٢] عن ابي‌عبدالله الحكيمي انه قال : « حدثني ميمون ابن هارون عن الحسين ابن بنت مسلم بن الوليد الانصاري قال : حدثني ابي قال : كنا عند مسلم في المسجد وهو يملي عليّ وعلى عدة معي القصيدة الدالية :

لا تَدْعُ بي الشوقَ إني غيرُ مَعمودِ

اذ اقبل ابو نواس فاستشرف له القوم ، فدنا فسلم ، فرفعه مسلم في المجلس فلم يفعل ابو نواس ، وقطع مسلم الاملاء ، ثم اقبل عليه ينشده من شعره وابونواس يأبى ذلك ، ثم سأله ابونواس ان يبتدىء القصيدة من اولها ففعل ... »

٨) ضعف الثقة بالنفس :

يبدو ان مسلماً كان ضعيف الثقة بالنفس . ويمكن ان نتبين ذلك مما يلي :

١ – لا يكاد يمدح احداً من الخلفاء او الوزراء دون ان يمدح مَن دونه مرتبة ممن يمكن ان يتوصل عن طريقه اليه . فهو لا يمدح الرشيد مثلاً دون ان يمدح حاجبه منصور بن يزيد ، واحد كتابه عيسى بن يزدا نيروز بل وابن كاتب زوجه ام جعفر ، يعقوب بن سعدان . ولا يمدح البرامكة دون ان يمدح كاتبهم محمد بن منصور . وقد يقال انه استطاع ان يظفر بالمال من معظم تلك الشخصيات الثانوية ، فلم لا يقال اذن انه مدحها لذواتها . غير انه يجاب عن هذا بأنه كان من الممكن ان يظفر من اسياد هذه الشخصيات بمال اوفر لو اتصل بهم مباشرة منذ البدء وقصر جهوده عليهم .

٢ – تقديمه لابي نواس على نفسه في المجالس والانشاد على الرغم من انهما متقاربان في السن ، ومن ان ابا نواس لا يعلو مسلماً مرتبة من حيث النسب على الاقل . وقد يقال ان هذا من قبيل التأدب، ولكن التأدب ذاته قد يكون صفة سلبية حين يشعر المرء بأنه لا يستطيع الا ان يكون متأدباً ، كما يكون

---

١) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٧) .

٢) الموشح ص ٢٨٩ .

صفة ايجابية حين يكون من طبيعة المرء التأدب . وليس من السهل التوفيق بين مسلك مسلم العام في حياته الخاصة وبين امكانية افتراض كون التأدب صفة ايجابية عنده .

٣ – تحاشيه الهجاء، لا رغبة منه في المسالمة على ما يظهر، بل لضعف في ثقته بنفسه في الغالب . ودليلنا على ذلك انه كثيراً ما كان يتحاشى الرد على ابن قنبر في المهاجاة التي حصلت بينهما ، على الرغم من انه يرى ان الهجاء الموجع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع»[١]. ولقد رأينا انه حين عوير في ذلك احال الامر الى دعوات والده في المسجد[٢] .

---

١) الاغاني ، مخطوطة ميونيخ – (دي خويه ص ٢٥٠)

٢) الاغاني ج ١٣ ص ٩

تزوج مسلم مرتين ، على ما نعلم . اما زوجته الاولى فكل ما نعرف عنها هو انه طلقها وهو كهل بعد ان اولدها ولداً [١]، ولا نعرف سبباً لهذا الطلاق . واما زوجته الثانية فقد ذكر الرواة انها كانت من اهله ، وانها كانت تكفيه امره وتسره [٢] . ويخيل اليّ انه لا يسعنا الا ان نقف حيارى من تفسير كلمة اهله هنا ، فقد استعملها العرب للدلالة على اشياء كثيرة ابرزها العائلة والقبيلة والجماعة والاقارب [٣] .

ومهما يكن الامر ، فالظاهر انه كان يحب هذه الزوجة حباً جماً ، فما ان ماتت حتى «جزع عليها جزعاً شديداً وتنسك مدة طويلة وعزم على ملازمة ذلك فأقسم عليه بعض اخوانه ان يزوره ففعل فأكلوا وقدموا الشراب فامتنع منه مسلم واباه وانشأ يقول :

بكاءٌ وكأسٌ كيف يتّفقانِ سبيلاهُما في القلبِ مُختلفانِ [٤]

ولا ندري اتزوج مسلم مرة اخرى بعد وفاة زوجته هذه ام لا ، فلا ديوانه ولا ما وصل الينا عنه من روايات يخبرنا بذلك .

وعلى اي حال ، فقد أثمر زواج مسلم فأعقب ولدين وابنة على الاقل . اما الولدان فهما مخلد وخارجة . ومخلد هذا هو الذي كنّاه به دعبل حين كتب اليه وهو في جرجان [٥] :

ابا مخلدٍ كنا عقيدَي مودةٍ هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا

واما خارجة فقد روي عنه انه كان شاعراً ، مدح احمد بن نصر الكاتب

---

١) راجع القصيدة التاسعة في الديوان حيث يقول في البيت الرابع عشر :
لعمر ابنها لولا احتراق الحشا له لمات الجوى او لاستفيد بها مثل

٢) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص٢٥٢)

٣) راجع لسان العرب مادة «أهل»

٤) راجع باقي الابيات في ص ٦٩ من هذا الكتاب ، ص ٣٨٣ من الدهان .

٥) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٥) . ويذكر الدكتور الدهان محمداً عوضاً عن مخلد ، ولعله تصحيف «الدهان ص.م ٢٠»

ورثى اباه حين مات[1]. ويبدو انه لم يصل الينا من رثائه لابيه سوى من بيتين الشعر هما[2] :

تقـطّعتِ الاشعارُ مِن بَعدِ مسلمٍ   وصارتْ دعاويها الى كلِ مُعْجَمِ
اذا مرضتْ اشعارُ قومٍ فإنـــــهُ   يَجِيئُكَ منها بالصحيحِ المُسَلَّمِ

ويذكر حسن علوان ولدين لمسلم هما مخلد والوليد دون ان يتعرض لذكر خارجة[3] .

ويعتمد في ذكره للوليد على رواية تقول بان الفضل بن يحيى كان يكني مسلماً بابي الوليد . غير انه يجب ان لا يغرب عن بالنا حين ننظر في هـذه الرواية ان العرب قد تكني بأسماء الآباء كما تكني باسماء الابناء ، ومن المعلوم ان الوليد كان اسم والد مسلم .

اما ابنة مسلم فلم يصل الينا اسمها ، وكل ما نعرف عنها هو انها تزوجت وأعقبت ولداً اسمه الحسين،وان الحسين هذا روى عن ابيه بعض اخبار مسلم.[4]

---

١) الاورواق للصولي ج١ ض ٢٥٣
٢) نفسه
٣) علوان ض ١٥-١٦
٤) الموشح ص ٢٨٩ .

لقبه

يلقب مسلم بصريع الغواني ، وكان هذا اللقب يطلق على القطامي قبله [1] الا انه غلب على مسلم فعرف به .

ويبدو ان الرشيد كان اول من اسبغ عليه هذا اللقب فقد روي انه «لما وصل الى الرشيد في اول يوم لقيه انشده قصيدته التي يصف فيها الخمر ، واولها :

أديرا عليَّ الرّاحَ لا تشربا قبلي ولا تَطلُبا من عندِ قاتلتي ذَحْلي

فاستحسن ما حكاه من وصف الشراب واللهو والغزل وسماه يومئذ صريع الغواني بآخر بيت فيها وهو :

هل العيشُ إلّا ان تروحَ معَ الصِّبا وَتغدو صريعَ الكأسِ والأعينِ النُّجلِ [2]

وعلى الرغم من ان تلقيب شاعر بلفظ يرد في شعره ليس بدعة في تاريخ الادب العربي [3] ، فقد سأل احدهم مسلماً لِمَ يدعى صريع الغواني فقال [4] :

إنَّ وَردَ الخدودِ والأعينِ النُّجلِ وما في الثُّغورِ من أُقحُوانِ
واسودادَ الصُّدغينِ في واضحِ الخدّ وما في الصدورِ من رُمّانِ
تَركَتني لدى الغواني صريعاً فلهذا أُدعى صريعَ الغواني

وسواء أكان شعره هو الذي أدّى الى هذا اللقب أم مسلكه الشخصي فالظاهر انه قد راقه في اوائل حياته ، ولعله عمل على توجيهه – على الاقل في ما نظم من شعر فيما بعد – فكثرت في ديوانه الابيات التي يظهر فيها تدلهه بالنساء وتعلقه بهن . قال :

---

١) الاغاني ج ٢٠ ص ١١٩ . وخزانة الادب ج ٢ ص ١٥٢ .

٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٩٦ ، ص ٨٣ من هذا الكتاب . ويراجع بخصوص هذا اللقب ايضاً : لطائف المعارف ص ٢٣ ، وتلبيس ابليس ص ٢٧٣ ، وطبقات ابن المعتز ص ٧٣ ، والاغاني ج ١٥ ص ١٠٩ ، وسقط الزند ج ٣ ص ١١٤٢ ، وجمهرة الاسلام (مخطوطة ليدن) ص ٣٨ ظ (الدهان ص ٤٣٠)

٣) فقد لقب شاس بن نهار «الممزّق» لقوله لعمرو بن هند :

فان كنتُ مأكولاً فكن انت آكلي والا فأدركني ولمّا امزق

ولقب ربيعة بن عمرو الدارمي « مسكيناً » لقوله :

انا مسكين لمن ابصرني ولمن حاورني جد نطيق

انظر مواسم الادب وآثار العجم والعرب ج ١ ص ١٣ .

٤) لطائف المعارف ص ٢٣ ، تلبيس ابليس ص ٢٧٣ .

لوْ وَزَنَ العاشِقونَ حُبَّهُمُ لَكانَ حُبِّي بِحُبِّهِمْ يَزِنُ
لا عيبَ إنْ كنتُ ماجِناً غزِلاً فقبلِيَ الأوَّلونَ قـد مَجَنوا

...

خليليَّ لستُ ارى الحبَّ عارا فلا تعذُلاني خلعتُ العِذارا
وكيف تَصَبُّرُ مَن قلبُـهُ يكادُ من الحبِّ ان يُستطارا
لقد تَركَ الوجدُ نفسي بهـا تموتُ مِراراً وتحيـا مرارا
اذا قلتُ أسلو دعـاني الهوى فألهبَ في القلبِ للشَّوقِ نارا

...

ما لذَّةُ الدنيا إذا ما لم تكنْ فيها فتى كأسٍ صريعَ حبائبِ

...

سأجيبُ داعيَ الحبِّ منقاداً له إن كانَ من أحببتُ غيرَ مجاوِبِي

ولقد اثار هذا اللقب حفيظة بعض خصومه من الشعراء على ما يظهر فاتخذوا منه وسيلة للتندر به ، فقد روى الجاحظ [١] ان ابن ابي كريمة انشد لبعضهم يهجو صريع الغواني مسلماً بقوله :

فما ريحُ السَّذابِ اشدَّ بُغضاً الى الحيّاتِ منكَ إلى الغواني

وروي عن محمد بن المهنّا انه قال: [٢] « كان العباس بن الاحنف مع اخوان له على شراب فذكروا مسلم بن الوليد فقال بعضهم صريع الغواني ، فقال العباس ذاك ينبغي ان يسمى صريع الغيلان لا صريع الغواني ».

وقد كان يصل اليه بعض هذا التندّر فيوري نار غضبه وقـد يضطره الى هجو المتندرين به كما فعل مع العباس بن الاحنف[٣] .

ويبدو ان شاعرنا اصبح كارهاً لهذا اللقب حين امتد به العمر وغدا اللقب محرجاً له. فقد روي عن الحسين بن دعبل انه قال[٤]: «قال ابي لمسلم : ما معنى قولك :
لا تَدْعُ بي الشَّوقَ إني غيرُ مَعمودِ

قال لا تدعني صريع الغواني فلست كذلك وكان يلقب هذا اللقب وكان له كارهاً » .

١) كتاب الحيوان ط. هارون ١٩٤٧ ج ٣ ص ٤٥٩
٢) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٩)
٣) نفسه ص ٢٤٩
٤) نفسه ص ٢٤١

صلته بخلفاء عصره وأعلامه

اتصل مسلم بكثير من سَراة عصره ومدحهم، وكان بين هؤلاء من هو خليفة، وبينهم من هو وزير او امير، وبينهم من لا خطر له في التاريخ الرسمي، وبينهم من لا نزال نجهله لورود اسمه ناقصاً.

وتتصدر الاسماء التالية مدائح مسلم في الديوان وذيله: يزيدبن مزيد الشيباني، سهل ؟، هارون الرشيد، يعقوب بن سعدان [١]، جعفر بن يحيى بن برمك، داود ابن يزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب [٢]، زيد بن مسلم الحنفي من وائل [٣]، هاشم ابن عم يزيد من قصي، محمد بن هارون الامين، منصور بن يزيد [٤]، محمد بن منصور بن زياد [٥]، الحسن بن عمران بن عمر الطائي [٦]، الفضل بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، مسلمة ؟، ابو الفضل [٧]، الفضل بن سهل، يحيى بن خالد (البرمكي).

غير ان اهم هؤلاء بالنسبة لاتصال مسلم بهم واختصاصه بمدحهم في وقت من اوقات حياته: يزيد بن مزيد، والبرامكة، والفضل بن سهل.

وقد يتساءل المرء عن السبب الذي جعل مسلماً يختص بهؤلاء دون الخلفاء، ولا سيما وقد دلف الينا انه كان يتحرق شوقاً الى الدخول على الخلفاء ونيل جوائزهم [٨]، كما دلف الينا ان بعضهم على الاقل كان يستلطف شعره ويطربه [٩]. وجواب هذا التساؤل قد يكمن في عدة اسباب ربما كان اهمها تشيّع مسلم،

---

١) لعله ابن سعدان كاتب ام جعفر (زبيدة) زوج الرشيد.

٢) من ابناء المهلب بن ابي صفرة، وهو امير من الشجعان العقلاء، ولي افريقية (١٧٠ - ١٧٢هـ) ثم مصر (١٧٣ - ١٧٥هـ) فأحسن تدبيرهما. ثم ولاه الرشيد السند سنة ١٨٤ هـ فاتسقت له امورها وتوفي فيها سنة ٢٠٥ هـ (الاعلام ٣/١١، النجوم الزاهرة ٢/٣، ٧٥، ١١٦)

٣) يبدو انه ممن لا خطر لهم، وينتسب الى قبيلة حنيفة (اللباب ج ١ ص ٣٢٥).

٤) كان والياً على الخراج زمن الرشيد، وهو الذي ادخل الشاعر عليه (مخطوطة جمهرة الاسلام - الدهان، حاشية ص ٢٢٢).

٥) كاتب البرامكة وخليفة الفضل بن جعفر البرمكي بباب الرشيد (الجهشياري ص١٩٠، ٢٦٦)

٦) لعله الحسن بن عمران ابن اخي سفيان بن سعيد الثوري الذي يذكره الطبري في الجزء الثالث ص ٢٥٢٢.

٧) لعله جعفر بن يحيى (الجهشاري ص٣٣٣) او محمد بن منصور بن زياد (الدهان ص٢٣٠)

٨) جمهرة الاسلام - مخطوطة ليدن (دي خويه ص ٢٧٣)

٩) راجع وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٨٤ والاغاني مخطوطة ميونيخ ج٥ (دي خويه ص٢٣١)

وكفاية ممدوحيه من دون الخلفاء له .

وقد عرف مسلم كيف يختار هؤلاء الممدوحين ، فقد كانوا يشغلون مراكز حسّاسة في الدولة ويتمتعون بنفوذ قوي عند الخليفة . فيزيد بن مزيد كان قائداً مرموقاً عند المهدي والرشيد كما كان والياً على ارمينية وأذربيجان [١] ، وهما من بلاد الثغور ، في عهد الاخير منهما . والبرامكة كانوا يتحكمون بالرشيد ويتصرفون بشؤونه ، والفضل بن سهل كان يسيطر على امور المأمون ويستأثر بمشورته [٢] .

زد على ذلك ان كلاً من هؤلاء كان جواداً كريماً ، لا يلبث مسلم ان يمدحه حتى يغدق عليه العطاء ويكفيه وعياله مؤنة العيش . واي شيء كان يطمع فيه الشاعر في ذلك الوقت اكثر من هذا ، اللهم الا اذا كان طموحاً فرنا الى منصب في الدولة يدر عليه المال ويوفر له المكانة والجاه .

واغلب الظن ان شاعرنا كان من هذا النوع ، ولذا كان حريصاً على ان لا يسقط الخلفاء من قائمة ممدوحيه – رغم عدم اختصاصه بهم – وعلى ان يعمل على استرضائهم والتقرب اليهم بوزرائهم وحجّابهم . ليس هذا فحسب بل انه كان يضمّن احياناً مدحه لغير الخلفاء ابياتاً في مديح الخلفاء ايضاً .

ولا ريب في ان خطته هذه آتت اكلها في النهاية ، فبالاضافة الى ما اغدق عليه من مال اوكل اليه – بأمر المأمون وفضل وزيره الفضل بن سهل – منصب في خراسان كفاه الحاجة ووفّر عليه الزلفى والملق ، كما سنرى .

اما اهم الصفات التي مدح بها ممدوحيه فتكاد تكون متشابهة : الغاية في الجود ، والفروسية ، وكرم الاصل ، ونفاذ الرأي ، وهي لعمري الصفات التي يتكون منها المثل الاعلى للرجل عند العرب .

ولا بد لي هنا من سرد شيء عن علاقات مسلم بصفوة ممدوحيه ، فهذه العلاقات في الواقع تمثل بعض الجانب الخيّر من حياته :

مسلم والخلفاء : وفد مسلم من الكوفة الى بغداد ، موطن الخلفاء ورجال الحكم ،

---

١) الطبري ج ٣ ص ٤٧٠ ، ٥٠٣ ، ٥١٩ ، ٦٣٨ ، وابن خلكان ج ٥ ص ٣٧٠ – ٣٧٢ ، والبلاذري ص ٢١٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ .

٢) راجع الجهشياري ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

ليدلي بدلوه بين دلاء الشعراء الآخرين . وعلى الرغم من ان سنة وفوده لم تنقل الينا ، فان من المرجح ان تكون بين سنة ١٧٠ هـ ، وهي السنة التي تولى فيها الرشيد اول خليفة مدحه ، وسنة ١٨٣ هـ، وهي السنة التي ترك فيها يزيد بن مزيد ممدوحه الرئيسي بغداد الى ارمينية .[١] واغلب الظن ان كان قدومه في سنة متأخرة من هذه الحقبة ، فمدائحه ليزيد ، وهو من اقدم من اختص بمدحه [٢] ، تذكر في ما تذكره ثورة الوليد بن طريف الخارجي التي حدثت سنة ١٧٩هـ، [٣] كما تذكر احداها [٤] زيادة عن ذلك خبر هياج عصبي ثار في الشام لعله الهياج الذي يذكره الطبري [٥] في حوادث سنة ١٨٠ هـ .

ومهما يكن الامر، فقد لمع نجم مسلم في عهد خلفاء ثلاث: الرشيد، والامين، والمأمون . وعلى الرغم من انه لم يختص بأي من هؤلاء كما ذكر ، فانه مدح الرشيد والامين واستطاع ان يثير اعجاب المأمون .

صلته بالرشيد : يؤخذ مما ذكره دي خويه في مقدمته اللاتينية للديوان ان هناك اختلافاً في ما اورده الرواة عن دخول مسلم على الرشيد للمرة الاولى. فقد روى المبرّد [٦] ان منصور بن يزيد الحميري ادخله عليه في يوم كان فيه الخليفة لَقِسَ النفس مهموماً ، فما ان انشده قصيدته :

أديرا عليَّ الرّاحَ لا تشربا َقبـلي ولا تـَطلُبا مِن عندِ قاتلتي َذحْلي

حتى سرّى عنه وسمّاه بآخر بيت منها . وذكر ابن عبد ربه [٧] رواية عن العتبي انه دخل عليه متهماً بالتشيع هو وأنس بن ابي شيخ وانه كاد ان يقتله لولا ان شفع له شعره وذكاؤه .

واغلب الظن عندي ان الامر قد التبس على دي خويه ، فليس في الرواية الثانية ما يشير الى انها تمثل اول دخول لمسلم على الرشيد . ولعل مصدر هذا

---

١) ابن خلكان ج ٥ ص ٣٧٠ ، والطبري ج ٣ ص ٦٤٨ .
٢) الاغاني ، مخطوطة ميونيخ ج ٥ (دي خويه ص ٢٢٩)
٣) ابن خلكان ج ٥ ص ٣٧٢ .
٤) القصيدة السادسة في الديوان (البيت ٣٦) .
٥) الطبري ج ٣ ص ٦٣٩ ، وكذلك الجهشياري ص ٢٠٨ .
٦) جمهرة الاسلام مخطوطة ليدن (دي خويه ص ٢٧٣) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي . ج ١٣ ص ٩٦ ، و ص٧٩ من هذا الكتاب
٧) العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٠ ، و ص ٦٧ من هذا الكتاب .

الالتباس عنده قرنه بين ما ذكرته هذه الرواية ايضاً من انشاد مسلم لقصيدة :

ادیرا عليَّ الراحَ لا تشربا قبلي ولا تـَطلبا منعندِ قاتلتي ذَحلي

وبين ما ذكره الرواة من ان الرشيد لقّب مسلماً صريع الغواني بآخر بيت من هذه القصيدة في اول مقابلة جرت بينهما[١].

ولما لم يكن في الرواية الثانية ما يشير الى هذا التلقيب من قريب او بعيد ، وكان هناك ما يشير الى ذلك في الرواية الاولى ، كانت الرواية الاولى اخلق بأن تقترن باول مقابلة جرت بينهما من الثانية . اضف الى ذلك ان الثانيـة تشير الى قتل الرشيد لأنس بن ابي شيخ . وأنس هذا كان كاتباً للبرامكة قتله الرشيد – على ما يذكر الجهشياري [٢] – عام ١٨٧ هـ مع جعفر البرمكي . وعلى ذلك فلو قرنا هذه الرواية بالمقابلة الاولى لتعذّر علينا تعليل التودّد الذي يظهره مسلم للعبّاسة اخت الرشيد في احدى قصائده فيه [٣] بعد ان قتل جعفر لصلته بها على اوثق الروايات[٤] .

واذن فأنا ميّال الى تصديق الروايتين ، جملةً لا تفصيلاً على الاقل ، وانا ميّال كذلك الى ان اقرن الاولى منهما باول اجتماع حدث بـين مسلم والرشيد ، والى ان اقرن الثانية بحملة التطهير التي قام بها الرشيد ضد من يعتقد بأنهم خصومه ، ابّان نكبة البرامكة .

ومهما يكن من امر هذه المقابلة ، فان مسلماً عرض فيها على الخليفة فنـاً لا مديحاً . ويبدو ان الخليفة احب هذا الفن واعجب به[٥] .

ومن الجدير بالذكر ان بعض رجال الخليفة كانوا يساعدون مسلماً في الدخول عليه ويزينون له شعره احياناً . والظاهر ان ذلك شجعه فأخـذ يحضر بعض مجالس الخليفة ويمدحه[٦] ، وقد مدحه بأربع قصائد :

---

١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٩٦ .

٢) الوزراء والكتاب ص ٢٣٩ .

٣) القصيدة السابعة والخمسون في الديوان (الدهان ص ٢٧٩)

٤) نقلاً عن : Nicholson's 'A Literary History of the Arabs' p. 261
Muller, Der Islam, Vol. I.p. 481 seg.

٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٣٥ .

٦) الغيث المنسجم ج ٢ ص ٦ ، ونزهة الجليس ج ١ ص ١٥١ .

الاولى اربعون بيتاً ، ومطلعها :

خيالٌ من النّائي الهوى المُتَبَعّدِ سَرى فَسَرى عنه ُ عَزيمُ التّجَلّدِ

والثانية سبعة وعشرون بيتاً ، ومطلعها :

قَدِ اطلَعتَ على سِرّي وإعلاني فاذهبْ لشأنِكَ ليس الجهلُ مِن شاني

والثالثة خمسة عشر بيتاً ، ومطلعها :

عاوِدْ عزاءَكَ لا يَعْنُفْ بِكَ الذّكَرُ ماذاالذي بعدَ شيبِ الرأسِ تَنتظرُ

والرابعة اثنا عشر بيتاً ومطلعها :

هاتِ اسقِني طالَ بيَ الحبسُ مِن قهوةٍ بائِعُها وَكْسُ

ولن اتعرض لفن مسلم الشعري في هذه القصائد الآن فهناك موطن آخر لذلك ، وانما اود ان اشير الى نقطتين :

الاولى : ان القصيدتين الاوليين ، على الاقل ، لم تصلانا كاملتين ، فقد عبثت بهما يد الزمن فاقتطعت شيئاً من ابياتهما . ويستدل على ذلك بعودة ضمير في البيت التاسع والثلاثين من القصيدة الاولى على رجل لا ذكر له في ما سبقه من الابيات ، وخلو القصيدة الثانية من اي بيت مديح ، بحيث لو لم يشر الشاعر في البيت العشرين منها الى ان نياقه قد حملته الى الامام ، اي الرشيد ، لأشكل علينا امرها وجهلنا فيمن قيلت اذ انها خالية من تصدير باسم الممدوح .

والثانية : ان القصيدة الرابعة تختلف عن اخواتها في انها اقرب منها الى الالفة وابعد عن الكلفة . ولعلها قيلت بعد اخواتها ، بعد ان توثقت صلة الشاعر بالبرامكة فزادت من جرأته على الرشيد ودالّته عليه ، وشجعته على ان يسهب في القصيدة في مدح اخته العبّاسة اثيرة جعفر البرمكي وحبيبته .

ولم يغب عن بال مسلم وهو يمدح ممدوحيه الآخرين ، ولا سيما يزيد بن مزيد ، ان يذكر الرشيد وينوّه بفضله فقد قال في قصيدة يمدح بها يزيد ، وهو من بني مطر[1] :

سَلَّ الخليفةُ سيفاً من بني مَطَرٍ أقامَ قائِمُهُ مَن كانَ ذا مَيَلِ

كم صائلٍ من ذُرا تمهيدِ مملكةٍ لولا يزيدُ بني شيبانَ لم يَصُلِ

نابُ الإمامِ الذي يَفْتَرُّ عنهُ إذا ما افْتَرّتِ الحربُ عن انيابِها العُصُلِ

١) القصيدة الاولى في الديوان .

وقال في قصيدة أخرى [1] مماثلة :

لولا يزيدُ وايامٌ له سَلَفَتْ	عاشَ الوليدُ مع الغاوينَ أعواما
سَلَّ الخليفةُ سيفاً من بني مطرٍ	يَمضي فيَختَرقُ الاجسادَ والهاما
كالدهرِ لا ينثني عَمَّن يَهِمُّ بهم	قد أوسَعَ الناسَ إنعاماً وإرغاما

ولذا كان الرشيد يرتاح لمثل هذه القصائد ويهتم بها ويكافىء صاحبها[2].

ويخيل اليّ ان مسلماً كان البق في ذلك من جرير حين انقطع الى مدح الحجاج واهمل عبدالملك فأثار سخطه عليه وكاد يثيره على ممدوحه لولا ان تدارك الحجاج ذلك فأرسله اليه وخصّه به .

صلته بالأمين والمأمون :

وبعد وفاة الرشيد ولي الخلافة الأمين ثم المأمون وليس في ما وصل الينا من اخبار ما يشعر بان مسلماً كان ذا صلة وثيقة بأي منهما . وليس في الديوان كذلك سوى قصيدة واحدة يمدح فيها الامين ، كما ليس فيه اية قصيدة يمدح فيها المأمون. ولعل من الخير ان اذكر هنا بعض ابيات من القصيدة التي يمدح بها الامين لنتبين موقفه من الفتنة التي ثارت بين الاخوين . قال :

كافى الامامُ الورَى طُرّاً باجمعِها	وَفاقَهم ببيوتِ المجدِ يبنيها
رآكَ ربُّكَ اهلاً اذ حباكَ بها	فابقَ وَدُمْ بسرورٍ ناعماً فيها
أحيا المَكارِمَ هرونٌ وأثبَتَها	وانتَ في الناسِ يا ابنَ الغُرِّ تُمضيها
يا مُثبتَ المُلكِ اذ زالت دعائمُه	وثار بالفتنةِ العمياءِ باغيها

ثم قال :

أخمدتَ بالشرق نيراناً مؤجَّجةً	قد كان عزَّ على الاسلامِ مُخبيها
حتى بُعِثْتَ عليها رحمةً فخبتْ	نيرانُها بكَ فانفتَّتْ افاعيها
ما ضَيَّعَ الله قوماً صرتَ تَملِكُهُمْ	ولا اضاعَ بلاداً انتَ واليها

من هذا يظهر ان مسلماً كان يبدي ميلاً للامين – على الاقل في الظاهر حين كان في قبضته – ولذا فهو يذكر ان ربّه حباه بالخلافة لانه اهل لها، ويدعو له بأن

---

١) القصيدة السادسة في الديوان .

٢) انظر الغيث المنسجم ج ٢ ص ١٨٧ ، والاغاني – مخطوطه ميونيخ ج ٥ (دي خويه ص ٢٣٢) ، والمستجاد من فعلات الاجواد ص ١٠٠ ، ووفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٨٤

يبقى ويستمر فيها ناعماً هانيء البال بعد ان اخمد نيران الفتنة . ولكنه من الجهة الاخرى لا يعرّض بالمأمون ولا يذكر اسمه ربما لانه كان يميل اليه في الباطن او لانه كان يتوخى الحذر تجاهه . ولعل حذره هذا من ناحية ، ومديحه للفضل ابن سهل وزير المامون ونصيحه المخلص ، من ناحية اخرى ، هما اللذان انجياه من قبضة المأمون حين استقر له الحكم .

وقد ذكر ابن المعتز[1] بعد ان اورد ابياتاً من قصيدة لأبي الشيص ، انه قد بلغه « ان هذه القصيدة انشدت عند المأمون فأفرط في استحسانها ، ثم انشد في ذلك المجلس لجماعة من حذّاق المحدّثين ، مثل بشار ومسلم بن الوليد ونظرائهما ، فلم يهشّ لشيء من ذلك ، وفضّل عليهم ابا الشيص » .

غير ان اصحاب المأمون، ولعل الفضل بن سهل منهم ، كانوا يرّغبونه في مسلم كما يبدو ، فقد روى الاصبهاني قال [2] : « اجتمع اصحاب المأمون عنده يوماً فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم اين انت يا امير المؤمنين: عن مسلم بن الوليد؟ قال : حيث يقول ماذا؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلاً ،

أرادوا لِيُخفوا قبرَهُ عن عدوّهِ فَطيبُ تُرابِ القبرِ دلَّ على القبرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

يجودُ بالنفسِ اذ ضَنَّ الجوادُ بها والجُودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجُودِ

وهجا رجلاً لقبح الوجه والاخلاق فقال :

قَبُحَتْ مناظِرُهُ فحينَ خَبَرتُهُ حَسُنَتْ مناظِرُهُ لقبحِ المَخْبَر

وتغازل فقال :

هوًى يَجِدُّ وحبيبٌ يلعبُ انتَ لَقًى بينَهما معذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم في ذكره. »

ولقد بلغ من اعجاب المأمون بعد ذلك ببعض شعر مسلم – على الاقل – ان اخذ يتمثل ببيته :

أكرهُ شيبي وأخشى أن يُزايِلَني أَعجِبْ بشيءٍ على البغضاءِ مودودِ

١) طبقات الشعراء ص ٨٦ .

٢) الاغاني – مخطوطة ميونيخ ج ٥ (دي خويه ص ٢٣١) ومعاهد التنصيص ص ٣٦٠ .

حين اخذ الشيب يدب في رأسه [١] ، وأن ولـّى محمد بن الجهم ولايتي همذان ونهاوند لبيتين من شعر انشدهما اياه :

روي ان محمد بن الجهم البرمكي قال: [٢] «قال لي المأمون يوماً يا محمد انشدني بيتاً من المديح جيداً فاخراً عربياً لمحدث حتى اوليك كورة تختارهـا قال قلت قول علي بن الخليل :

فمعَ السماءِ فروعُ نَبْعَتِهِـمْ ومعَ الحضيضِ مَنابتُ الغَرسِ
مُتَهَلّلِـينَ على أسِرَّتِهِمْ ولَدَى الهياجِ مصاعِبٌ شُمُسُ

فقال : احسنت قد وليتك الدينور فانشدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى اوليك كورة اخرى فقلت قول الذي يقول : [٣]

قَبُحَتْ مناظرُهُم فحينَ خَبَرْتُهُمْ حَسُنَتْ مناظرُهم لقبحِ المَخبَر

فقال : قد احسنت قد وليتك همذان فانشدني مرثية على هذا حتى ازيدك كورة اخرى فقلت قول الذي يقول : [٤]

ارادوا لِيُخفوا قبرَه عن عدوهِ فَطِيبُ ترابِ القبرِ دلَّ على القبر

فقال: قد احسنت قد وليتك نهاوند فأنشدني بيتاً من الغزل على هذا الشرطَ حتى اولـّيك كورة اخرى فقلت قول الذي يقول : [٥]

تعـالَيَ نُجَدِّدْ دراسَ العلمِ بيننا كلانا على طولِ الجفـاءِ ملومُ

فقال : قد احسنت قد جعلت الخيار اليك فاختر فاخترت السوس من كور الاهواز فولّاني ذلك اجمع ووجهت الى السوس بعض اهلي .»

مسلم والبرامكة :

عرف البرامكة بكرمهم وحبهم للعلم والادب. [٦] ولذا التف حولهم كثير

١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٩٦ .
٢) الاغاني ج ١٣ ص ١٦ .
٣) البيت لمسلم (الدهان ص ٣٢١)
٤) البيت لمسلم (الدهان ص ٣٢٠)
٥) البيت للعباس بن الاحنف . الاغانى ج ٨ ص ٢١ وديوان العبـاس بن الاحنف – ط. مصر – ص ٢٣٠ وقد جاء البيت في الديوان هكذا :

تعالوا نجدد دارس الوصل بيننا كلانا على طول الجفـاء ملوم

وفي رواية اخرى : « دارس العهد » .
٦) الفخري ص١٤٤ ، الجهشياري ص ٢٠٢–٢٠٣ .

من الشعراء امثال ابان بن عبد الحميد اللاحقي وابن منـاذر والرقاشي واشجع السلمي ومسلم بن الوليد.[١]

ويؤخذ من رواية وصلت الينا ان مسلماً لم يكن مختصاً بهم في بادىء الامر ، بل كان يتصل بهم وبيزيد بن مزيد ومحمد بن منصور بن زياد[٢] في الوقت نفسه ، وكان هؤلاء جميعـاً « يبرونه ويتعطّفون عليه ويتفقدون احواله » كما تقول الرواية[٣] واغلب الظن انه كان يود ان يتخذ من هؤلاء طريقاً للوصول الى الرشيد، فيزيد قائده ، وابن منصور حاجبه ، والبرامكة وزراؤه واعوانه. ولكنه حين اصبح « كاليائس من قرب الخليفـة » – على حد قوله[٤] – اتبـع الطريق التي لم يجد عنها مندوحة فاختص بيزيد[٥] والبرامكة .[٦]

وقد ذكر العباسي[٧] رواية عن ابي القاسم الفقيه الموصلي ان مسلماً كان منقطعـاً الى البرامكة ثم اتصل بعد ذلك بالفضل بن سهل... ». ويستنتج من هذه الرواية ومـا سبقها ان انقطاع مسلم للبرامكة تلا انقطاعه ليزيد ، ولعل انقطاعه لهم كان على اشده في الفترة التي تلت وفاة يزيد (سنة ١٨٥ هـ) وسبقت نكبتهم (سنة ١٨٧ هـ).

ومهما يكن الامر فقد مدح مسلم البرامكة فقرّبوه منهم ، واجلسوه مجالسهم ، واغدقوا عليه العطاء :

روى الاصبهاني[٨] ان مسلماً « دخل يوماً على الفضل بن يحيى وقد كان اتاه خبر سرّه فجلس للشعراء فمدحوه واثابهم ، ونظر في حوائج الناس فقضاهـا ، وتفرّق الناس عنه وجلس للشرب ، ومسلم بن الوليد غير حاضر لذلك وانما بلغه حين انقضى المجلس ، فجاءه فأدخل اليه فاستأذن في الانشاد فأذن له فأنشده قوله فيه :

---

١) زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٥٧ .
٢) كاتب البرامكة وخليفة الفضل بن جعفر بباب الرشيد . راجع الجهشياري ص١٩٠، ٢٦٦
٣) جمهرة الاسلام، مخطوطة ليدن «الدهان ص٤٢٩» .
٤) نفسه « الدهان ص ٤٣٩ »
٥) ابن خلكان ج ٥ ص٣٧١ .
٦) معاهد التنصيص ص ٣٦١ .
٧) نفسه
٨) مخطوطة دار الكتب للاغاني «الدهان ص ٣٨١–٣٨٢» ، والمستجاد من فعلات الاجواد ص ١١٤ .

اتتكَ المطـايا تَهتـدي بمطيـةٍ عليها فتـًى كالنّصلِ مُؤْنِسهُ النّصلُ

يقول فيها :

وردتُ رواقَ الفضلِ آملُ فضلَـهُ فحطّ الثنـاءَ الجزلَ نائلُـهُ الجـزلُ
فتىً تَرتعي الآمال مزنـَةَ جُودِهِ اذا كان مَرعاها الامانيُّ والمَـْطلُ
تُساقِطُ يُمناهُ النّدى وشِمَالُـهُ الرّدى وعيونَ القولِ مَنطِقُه الفصلُ
ألحَّ على الايامِ يَفْري خطوبَها على منهجٍ ألفَى اباهُ بهِ قَـبلُ
أنافَ بهِ العلياءَ يحيى وخالدٌ فليس له مِثـلٌ ولا لهـما مِثـلُ
فروعٌ اصابت مَغرِساً مُتَمَكِّناً وأصلاً فطالت حيثُ وَجَّهَها الأصلُ
بِـكَفٍّ ابي العباس يُستَمـطَرُ الغِنى وتُستَنزَلُ النُّعمى ويُسترعَفُ النّصلُ

قال : فطرب الفضل طرباً شديداً ، وامر بأن تعدّ الابيات فعدّت ، فكانت ثمانين فامر له بثمانين الف درهم ، فقال : لولا انها اكثر ما وصل به الشعراء لزدتك ولكنه شأو لا يمكنني ان اتجاوزه ، يعني ان الرشيد رسمه لمروان بن ابي حفصة ، وامره بالجلوس معه والمقام عنده لمنادمته ، فاقام عنده ، وشرب معه . وكانت على رأس الفضل وصيفة كانها لؤلؤة ، فلمح الفضل مسلماً ينظر اليها فقال : قد وحياتي يا ابا الوليد اعجبتك فقل فيها ابياتاً حتى اهبها لك . فقال :

ان كنتِ تَسقينَ غيرَ الرّاحِ فاسقيني كأساً ألذُّ بها من فيـكِ تَشفيني
عيناكِ راحي وريحاني حديثُكِ لي ولونُ خدّيكِ لونُ الوردِ يكفيني
اذا نَهاني عن شُربِ الطِّلا حَرَجٌ فخمرُ عينيـكِ يُغنيني ويُجزيني
لولا علاماتُ شيبٍ لو أتَتْ وعظَتْ لقد صحوتُ ولكنْ سوفَ تأتيني
أرضَى الشبابَ فانأهلِكْ فعنْ قَدَرٍ وان بَقِيتُ فانَّ الشَّيبَ يُشقيني

فقال خذها بورك لك فيها وامر بتوجيهها مع بعض خدمه اليه . »

وكان الفضل يعظمه ويكرمه ويفضله على ابي نواس :

حدثت رابعة البرمكيه قالت : [1] « كنت يومـاً وانا وصيفة على رأس مولاي الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وبيدي مذبّة اذبّ بهـا عنه اذ استؤذن لمسلم بن الوليد الانصاري فأذن له ، فلما دخل اعظمه واكرمه واستنشده . قالت ثم خلع عليه واجازه وانصرف ، فما قلت انه جاز الستر حتى استؤذن لابي نواس

١) معاهد التنصيص ص ٣٦١

فامتنع من الاذن له حتى سأله بعض من كان في المجلس ان يأذن له ففعل على تكرّه منه . فلما دخل سلم عليه فما علمت انه رد عليه ولا امره بالجلوس ولا رفع اليه رأسه، فلما طال عليه الوقوف قال معي ابيات أفأنشدها ، قال افعل وهو في غاية التكرّه والثقل فانشده اياها... فلما بلغ الى قوله :

ساشكو الى الفضلِ بنِ يحيى بنِ خالدٍ هواكَ لَعَلَّ الفضلَ يَجمعُ بينَنا

قطّب وجهه وقال أمسِك عليك لعنة الله،أغرِب قبّحك الله،وامر باخراجه محروماً فأخرج ، والتفت الفضل الى أنس بن أبي شيخ وقال: ما رأيت مثل هذا الرجل ولا اقل تميزاً في كلامه منه. فقال أنس ان اسمه كبير. فقال عند من ويلك هل هو الا عند سقاط مثله وخلق يشاكلونه؟فقال واين هو من مسلم؟ فقال الفضل وقد غضب، والله لاحجبنَّك ثلاثاً ولا كلمتك سبعاً اذ كان هذا مبلغ عقلك ونهاية معرفتك والله ان مسلماً ليفضل عندي الطبقة المقدمة او يساويهم فلا رأيتك ثلاثاً.»

ويبدو انه كان يطيب للفضل ايضاً ان يستأنس بآراء نقّاد الشعر وخبرائه في شعر مسلم، فقد طلب مرة من اسحاق الموصلي ان يحكم أي الشاعرين أشعر، مسلم ابن الوليد أم منصور النَّمري، حين كانا ينشدانه،فاعتذر عن اعطاء جواب صريح ولكنه وصف شعر كل منهما فقال : « أما النمري فان شعره حسن المبنى قريب المعنى... واما مسلم فانه مزج كلام البدويين بكلام الحضريين، فضمّنه المعاني اللطيفة ، وكساه الالفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين »[١] .

ولا بد ان وقع هذا القول موقعاً حسناً عند الفضل لما نعلمه من ايثاره لمسلم وحبه اياه .

ويؤخذ مما قاله الرواة من ان مسلماً كان منقطعاً للبرامكة ان لا بد ان نظم فيهم شعراً كثيراً، فاذا صح هذا كان الكثير من هذا الشعر قد فقد ، اذ لم يصلنا منه سوى بيتين في مدح يحيى بن خالد ، [٢] وقصيدة ومقطوعة في مدح جعفر

---

١) مقدمة حمزة الاصبهاني لديوان ابي نواس ، طبع آصاف ، ص ١٢ - ١٣ (نقلاً عن الامالي لابن دريد)

٢) البيتان هما :

اجدكِ ما تدرين انْ رُب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
صبرت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى حين يذكر جعفر

ابن يحيى [١]، وقصيدة واحدة في مدح الفضل بن جعفر.[٢]

ويذكرني هذا بما ذكره حمزة الاصبهاني [٣] من ان مدائح ابي نواس في جعفر بن يحيى البرمكي لم يبق منها شيء في ايدي الناس . واغلب الظن ان السبب في كلا الحالتين خشية معظم الرواة من رواية ما قيل في مديح البرامكة، بعد نكبتهم .

وكما ضاع كثير من مدائح مسلم للبرامكة كذلك ضاعت اخبار اتصاله بيحيى وجعفر وحضوره مجالسهما، اذ يستبعد ان لا يكون قد اتصل بهما وحضر مجالسهما كما حضر مجالس الفضل ، وهو الذي يمدحهما في ما بقي لدينا من شعره .

ولئن لم تظهر عواطف مسلم الحقيقية تجاه البرامكة في ما نوّهنا اليه من قصائد ومقطوعات لغلبة طابع المديح الرسمي عليها ، فانها ظهرت واضحة جلية في مقطوعة قالها مودعاً شخصاً اسمه اسماعيل [٤] كان على ما يظهر يريد السفر الى مرو مقر الفضل بن يحيى حين كان والياً على خراسان . قال :

أمُنْتَجِعاً مَرْواً بأثقالِ هِمَّةٍ   دعِ الثقلَ واحملْ حاجةً ما لها ثِقلُ
ثناءٌ كعَرْفِ الطِّيبِ يُهدَى لأهلِهِ   وليس له الَّا بني خالدٍ أهلُ
فان اغشَ قوماً بعدَهم او ازورُهُمْ   فكالوحشِ يَستَدنيهِ لِلقَنَصِ المحلُ

مسلم ويزيد بن مزيد : يزيد بن مزيد امير وقائد شجاع ، ينتمي الى بني شيبان الذين عرفوا ببلائهم في الجاهلية وحروب الفتوح [٥] . شبّ محباً للفروسية فأحبه الخلفاء واتخذوا منه عوناً على اعدائهم . وترجع اقدم صلاته بهم الى المنصور الذي ولّاه سجستان ثم عزله عنها لوشاية [٦] . وحين ولي المهدي ارسله اليها سنة ١٦٠هـ

---

١) تقع القصيدة في اثنين واربعين بيتاً ، وهي القصيدة الاربعون في الديوان ومطلعها :
استمطرُ العينَ ان احبابُهُ احتمَلوا   لو كان رَدَّ البكاءُ الحيَّ اذ رحلوا
وتتألف المقطوعة من ستة ابيات (رقم ١٧ في الديوان) .

٢) وتقع في تسعة وسبعين بيتاً ، وهي القصيدة الخامسة والاربعون في الديوان ، ومطلعها :
تَعَزَّ فقد مات الهوى وانتهى الجهلُ   فردَّ عليك الحِلمَ ما قدّم العذلُ

٣) مقدمته لديوان ابي نواس (ط.آصاف) ص ٦

٤) جاء في كتاب الورقة لابن الجرّاح ص ٨٠ ان اسماعيل هذا هو اسماعيل بن جرير صديق مسلم ونديمه واليفه . وجاء في سمط اللآلي للبكري ص ٤٢٧ انه من البرامكة .

٥) راجع جمهرة انساب العرب ص ٣٠٤–٣٠٨

٦) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٠١ .

للقضاء على ثورة يوسف بن ابراهيم[١] التي يشير اليها مسلم بثورة يوسف البَرْم[٢]. ثم ارسله بحملة الى بلاد الروم بصحبة ابنه هارون سنة ١٦٥ هـ.[٣] وبعد ذلك بسنتين ارسله مع ابنه موسى الى جرجان لمحاربة صاحبي طبرستان.[٤] وفي جميع ذلك اظهر تفوقاً وشجاعة سجلها مسلم في شعره الذي قاله فيه.

وحين افضت الخلافة الى الهادي اراد خلع هارون عن ولاية العهد لابنه جعفر بن موسى فأقرّه قواده على ذلك ومنهم يزيد، وكان ذلك سنة ١٧٠ هـ[٥]. ويبدو ان يزيد عين والياً على ارمينية حوالي تلك المدة، غير ان الرشيد عزله عنها سنة ١٧٢ هـ.[٦] ولما استفحل امر الوليد بن طريف الخارجي، الذي خرج على الرشيد في الجزيرة الفراتيه سنة ١٧٨ هـ، والذي يذكره مسلم في مدائحه ليزيد، اضطر الرشيد الى استدعاء يزيد وارساله اليه فقتله وبدّد جماعته.[٧] وفي سنة ١٨٣ هـ ولّاه الرشيد ارمينية مع اذربيجان على اثر تهديد الخزر لهما واحتلالهم ارمينية.[٨] غير انه ما لبث ان مات عام ١٨٥ هـ ودفن ببرذعة[٩] احدى مدن اذربيجان، او أرّان — على ما يقول ياقوت.[١٠]

ان شخصاً هذه سيرته وتلك صلته بالخلفاء لا بد ان يستهوي صاحبنا مسلم فيعمد الى الاتصال به ومدحه. ولسنا نعلم تماماً متى بدأ هذا الاتصال، ولكنه حصل على كل حال واختص مسلم بصاحبه وآثره بمدائحه. وقد وصل الينا من

١) راجع الطبري ج ٣ ص ٤٧٠، والكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٥٤.

٢) البيت السابع والخمسون من القصيدة الاولى في الديوان.

٣) وهي الحملة التي حدثت فيها وقعة «الخليج» قرب قسطنطينة، تلك الواقعة التي يشير اليها مسلم في البيت الخامس والخمسين من القصيدة نفسها. راجع الطبري ج ٣ ص ٥٠٣.

٤) ونذا هرمز وشروين، ويذكرهما الطبري، ج ٣ ص ٥١٩.

٥) الطبري ج ٣ ص ٥٧١.

٦) ابن خلكان ج ٥ ص ٣٧٠، الطبري ج ٣ ص٦٠٧.

٧) الطبري ج٣ ص٦٣٨، سيد امير علي ص ٢٠٨. وكان قتله عام ١٧٩ (راجع الاعلام للزركلي)

٨) الطبري ج ٣ ص ٦٤٨ سيد امير علي ص٢٠٨. ويشير الى ذلك مسلم في البيت الحادي عشر من القصيدة الحادية والاربعين من الديوان التي يمدح فيها هارون الرشيد.

٩) ابن خلكان ج ٥ ص ٣٨٢.

١٠) معجم البلدان ج١ ص١١٩ — ١٢٠. راجع ايضاً ابن خلكان ج ٢ ص ٢٨٨.

هذه المدائح قصيدتان ومقطوعة تتألف من اربعة ابيات.[1] واولى هاتين القصيدتين من اجود ما عرفنا من شعر مسلم في المديح، وهي تتكون من تسع وسبعين بيتاً، بينما تتكون الثانية من سبعة وثلاثين . فكلتاهما تتضمنان من الوقائع ما يجعل منهما سجلاً لحياة الممدوح وفعاله ، وبالتالي لأهم حوادث عصره .

ولعل اكثر اتصال جرى بين مسلم ويزيد كان بين سنتي ١٧٢ و ١٨٣ ﻫ حين لم يكن يزيد والياً على ارمينية ، او اذربيجان . غير اننا لا نستبعد ان يكون مسلم قد زار ممدوحه في تلك البلاد النائية فهناك رواية تقول بانه كان في صحابته حين توفي ببرذعة سنة ١٨٥ ﻫ [2] ، وهناك رواية اخرى تقول ان شاعراً كان «يفد الى يزيد بن مزيد في كل سنة ، فقال له يزيد : كم يكفيك في كل سنة ؟ فقال : كذا وكذا ، فقـال : اقم في بيتك يأتك ذلك ولا تتعبنَّ الينا .[3] وقد اختلف في من يكون ذلك الشاعر فقيل هو مسلم وقيل هو التيمي [4] .

وكما لا نعلم متى اجتمعا اول مرة لا نعلم ايضاً كيف اجتمعا هذه المرة ، فقد وصلت الينا في ذلك خمس روايات متغايرة هي :

١ - روي ان البيدق الراوية - وهو من اهل نصيبين قال:[5] «دخلت حار يزيد بن مزيد يوماً وفيها الخلق واذا فتى شاب جالس في افنـاء الناس ولم يكن يزيد عرفه بعد ، واذا هو مسلم بن الوليد ، فقال لي : ما في نفسي ان اقول شعراً ابداً . قلت : ولِمَ ؟ قال : لاني قد مدحت هذا الرجل بشعر ما مدح بمثله قط ولست اجد من يوصله . فقلت : انشدني بعضه ، فانشدني منه :

---

١) القصيدة الاولى هي الاولى في الديوان ، ومطلعها :

أجرِرتُ حبلَ خليعٍ في الصِّبا غزلِ   وشمَّرتْ هِمَمُ العذّال في العـذل

والقصيدة الثانية هي السادسة فيه ، ومطلعها :

طيف الخيال حمدنا منه إلماما   داويت سقماً وقد هيّجت أسقاما

اما المقطوعة فهي العاشرة ، ومطلعها .

لولا سيوف ابي الزبير وخيله   نشر الوليـد بسيفه الضحّاكا

وابو الزبير كنية يزيد في الحرب ، اما كنيته في السلم فأبو خالد (راجع البيان والتبيـين ج ١ ص ٣٤٢)

٢) ابن خلكان ج ٥ ص ٣٨١ .

٣) الامالي ج٢ ، ص٨٤ .

٤) نفسه .

٥) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خوبه ص ٢٣٦) .

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذي رَهَجٍ كأنَّهُ أَجَلٌ يَسعى إلى أَمَلِ
(الابيات)[1]

قال فأخذت منها بيتين ثم قلت : انشدني ايضاً مالك ، فانشدني قصيدة اخرى ابتداؤها :

طَيفَ الخيالِ حَمِدنا منكَ إلماما داويتَ سُقماً وقد هيَّجتَ أسقاما

يقول فيها :

كالدَّهرِ لا يَنثني عمَّا يَهِمُّ بهِ قد اوسعَ الناسَ إنعاماً وإرغاما

قال : فانشدت هذه الأبيات يزيد بن مزيد فأمر له بخمسمائة درهم ثم ذكرته له بالرقة [2] فقلت له : هذا الشاعر الذي قد مدحك فأحسن تقتصر به على خمسمائة درهم فبعث اليه بخمسمائة اخرى . قال : فقال لي مسلم : جاءتني وقد رهنت طيلساني على رؤوس الاخوان فوقعت مني احسن موقع » .

٢ – روى مسلم انه وفد عليه يوماً رجل وهو في بيته، وبعد ان استوثق من هويته اخرج كتاباً من خفه وقال :[3] « هذا كتاب الامير يزيد بن مزيد اليَّ يأمرني ان لا افضه الا عند لقائك ، فاذا فيه اذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع اليه هذه العشرة آلاف درهم التي انفذتها تكون له في منزله وادفع اليه ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها الينا ، فاخذت الثلاثة والعشرة ودخلت الى منزلي ... واخذت في الجهاز ثم ما زلت معه حتى صرنا الى الرقة الى باب يزيد بن مزيد فدخل الرجل فاذا هو احد حجّابه فوجده في الحمَّام فخرج اليَّ فجلس معي قليلاً ثم خبّر الحاجب بأنه قد خرج من الحمام فأدخلني اليه واذا هو على كرسي جالس وعلى رأسه وصيفة بيدها غلاف مرآة وبيده هو مرآة ومشط يسرّح به لحيته، فقال لي يا مسلم ما الذي بطّأ بك عنا؟ فقلت: ايها الامير قلة ذات اليد قال: فأنشدني، فأنشدته قصيدتي التي مدحته بها وهي :

أجرِرْتَ حبلَ خليعٍ في الصِّبا غزِلِ وَشمَّرَتْ هِمَمُ العُذّالِ في العَذَلِ

١) من القصيدة الاولى في الديوان .

٢) مدينة على الفرات شمالي غرب بغداد ، كانت لها اهمية عسكرية في العصر العباسي لقربها من بلاد الثغور ، ولذا كانت ملائمة لاقامة القادة المسؤولين عن الحدود الشمالية الغربية من هجمات البيزنطيين .

٣) مخطوطة دار الكتب للاغاني ج ١٧ (الدهان ص ٣٦٨-٣٦٩) (راجع دي خويه ص ٢٣٤-٢٣٥) .

فلما صرت فيها الى قولي :

لا يَعبقُ الطيبُ خديهِ ومفرقهُ ولا يُمسِّحُ عينيهِ منَ الكحلِ

وضع المرآة في غلافها وقال للجارية : انصرفي فقد حرّم علينا مسلم الطيب . فلما فرغت من القصيدة قال لي : يا مسلم اتدري ما الذي حداني على ان وجهت اليك؟ فقلت : لا والله ما ادري . قال : كنت عند الرشيد منذ ليالٍ اغمز رجليه اذ قال لي : يا يزيد من القائل فيك :

سلَّ الخليفةُ سيفاً من بني مطرٍ يمضي فيخترمُ الاجسادَ والهاما
كالدَّهرِ لا ينثني عما يَهُمُّ به قد أوسعَ الناس إنعاما وإرغاما

فقلت : لا والله ما ادري. فقال لي الرشيد: يا سبحان الله، انك لمقيم على اعرابيتك. يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدري من قائله ؟ فسألت من قائله فأخبرت انك انت هو فقم حتى ادخلك على امير المؤمنين، ثم قام فدخل على الرشيد، فما علمت حتى خرج عليَّ الاذن فاذن لي، فدخلت على الرشيد، فانشدته مالي فيه من الشعر فأمر لي بمائتي الف درهم فلما انصرفت الى يزيد امر لي بمائة وتسعين الفاً وقال : لا يجوز لي ان اعطيك مثل ما اعطاك امير المؤمنين ، واقطعني اقطاعات تبلغ غلتها مائتي الف درهم ».

٣ – روي [١] ان يزيد بن مزيد دخل على الرشيد فقال له الرشيد : يا يزيد من الذي يقول فيك :

لا يَعبَقُ الطيبُ خدّيهِ ومفرِقهُ ولا يُمسِّحُ عينيهِ منَ الكحلِ
اذا انتضى سيفَهُ كانت مسالِكُهُ مسالِكَ الموتِ في الأبدانِ والقُللِ

قال : لا ادري . قال : أفيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فلما صار الى منزله كان مسلم بالباب فأمر بادخاله فانشده هذه القصيدة حتى ختمها فقال لوكيله : بع ضيعتي الفلانية واعطه نصف ثمنها واحتبس نصفاً لنفقتنا . فباعها بمائة الف درهم فأعطى مسلماً خمسين الفاً فرفع الخبر الى الرشيد فاستحضر يزيد وسأله عن الخبر فأعلمه الحديث فقال : امرت لك بمائتي الف درهم لتسترجع الضيعة بمائة الف درهم وتزيد شاعرك خمسين الفاً وتحبس خمسين الفاً لنفسك » .

---

١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٨٤ ، والمستجاد من فعلات الاجواد ص ١٠٠ ، ومخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٣٢ – ٣٣)

٤ – روي عن يزيد بن مزيد انه قال[١] : « ارسل اليّ الرشيد يوماً في وقت لا يرسل فيه الى مثلي ، فأتيته لابساً سلاحي مستعداً لأمر ان اراده ، فلما رآني ضحك اليّ وقال : من الذي يقول فيك :

تراهُ في الأمنِ في درعٍ مُضاعَفَةٍ لا يأمَنُ الدَّهرَ أنْ يُدعى على عَجَلِ
للهِ من هاشمٍ في أرضِهِ جبلٌ وانتَ وابنُكَ رُكنا ذلكَ الجبلِ

فقلت : لا اعرفه يا امير المؤمنين . فقال : سوأة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ امير المؤمنين فرواه ووصل قائله – وهو مسلم بن الوليد – فانصرفت ودعوت به ووصلته وواليته » .

٥ – حكى الخالديان عن مسلم [٢] « من جملة خبره في وصوله الى يزيد قال : فلما صرت الى الرقة دخلت على يزيد بن مزيد وبين يديه وصيفة بيدها المرآة وهي تريه وجهه وبيديه مشط يسرّح به لحيته فقال ما الذي أبطأ بك عني قلت ايها الامير ضيق اليد وقصور الحال . قال انشدته :

أُجرِرتُ حبلَ خليعٍ في الصِّبا غَزِلِ وَشَمَّرَتْ هِمَمُ العذّالِ في العَذَلِ

(القصيدة) فلما بلغت قولي :

لا يَعبِقُ الطيبُ خدَّيهِ ومَفرِقَهُ ولا يُمَسِّحُ عينيهِ من الكَحَلِ

وضع المرآة من يده ورد المشط وقال للجارية انصرفي فقد حرّم مسلم علينا الطيب.

ويقال انه لما سمع هذا البيت قال منعتني الطيب وأمرهتني باقي عمري فما رؤي بعد ذلك ظاهر الطيب ولا مكتحلاً ... »

ويلاحظ عند انعام النظر في هذه الروايات الخمس ان الروايات الاربع الاخيرة منها تكاد تنتمي الى قصة تختلف اختلافاً كلياً عن قصة الرواية الاولى ، اذ انها تشترك كلها – رغم اخلافاتها الجزئية – في عنصر او اكثر من عناصر رئيسية اربعة هي : سماع الرشيد للشعر اولاً ، ثم اتصاله بيزيد ، واتصال يزيد بمسلم ، وانشاد مسلم ليزيد . وهذا يحدونا على الاعتقاد بانها اجزاء من قصة واحدة تشعثت وعبث الرواة باجزائها فاختلفت تفاصيلها .

وعلى ذلك فاننا نرى انفسنا امام قصتين متغايرتين للمقابلة الاولى بين مسلم

١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٨٥ ، ومخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٣٢) .
٢) الغيث المنسجم ج ٢ ص ١٨٧ .

ويزيد ، قصتين ليس من السهل ترجيح احداهما على الاخرى فكل منهما ممكن من الناحية المنطقية (Logically possible) كما يقول اهل الفلسفة .

ومهما يكن من امر هذه المقابلة ، فلا ريب انه تلتها مقابلات اخرى كان ينشد فيها مسلم مدائحه في يزيد . ويبدو ان يزيد كان يرتاح لهذه المدائح ويعمل على ان يكون حقيقاً بها ، اذ كان قد اخذ على نفسه بان لا يكذب شاعراً يصفه بوصف ، كما يقول الصفدي [١] .

وازاء هذه المدائح لم يكن يزيد ليقصر في حق صاحبه ، فقد سأله يوماً «عمّا يكفيه ويكفي عياله فاخبره فجعله جراية له ثم قال : ليس هذا مما تحاسب به بدلاً من جائزة او ثواب مديح ، وكان يبعث به اليه في كل سنة». [٢]

ويبدو ان الرشيد كان راضياً ايضاً عن هذا المديح ، فلقد انكر على يزيد جهله لقائله ، كما ساعده على ارفاده وعطائه . ولعل السبب في ذلك هو ان مِدَحَ مسلم في يزيد لم تكن تخلو من مدح للرشيد نفسه ، ففي القصيدة الاولى يجعل من ممدوحه سيفاً في يد الخليفة سله على اعدائه حين يقول :

سَلَّ الخليفةُ سيفاً من بني مطرٍ   أقامَ قائمَهُ مَن كان ذا مَيَلِ

كما يجعل منه ناباً يفترّ عنه في الحرب حين يقول :

نابُ الامامِ الذي يَفترُّ عنهُ اذا   ما افترَّتِ الحربُ عن أنيابِها العُصُلِ

ولا يكتفي بذلك بل يجعل في بيت آخر من الخليفة جبلاً ومن الممدوح وابنه ركنين لذلك الجبل فيقول :

لِلهِ مِن هاشمٍ في أرضِهِ جبلٌ   وانتَ وابنُكَ رُكْنا ذلكَ الجبلِ

وفي القصيدة الثانية يجعل من الممدوح منيّة في يدي الخليفة يقذف بها الاعداء اذ يقول :

مَنِيَّةٌ في يدَي هارونَ يبعثُها   على اعاديهِ إنْ سامَى وإنْ حاما

ولا ريب في ان مديح مسلم ليزيد رفع من مكانته بين الناس ، فقد حكى ابن خلكان [٣] رواية عن بعضهم قال: « كنت مع يزيد بن مزيد فاذا صائح في الليل:

---

١) تشنيف السمع ص ٥

٢) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٩) .

٣) وفيات الاعيان ج ٥ ص ٣٧٩ – ٣٨٠ .

يا يزيد بن مزيد ، فقال : عليّ بهذا الصائح ، فلما جيء به قال له : ما حملك على ان ناديت بهذا الاسم ؟ فقال: نَفَقَتْ دابتي ونفدت نفقتي، وسمعت قول الشاعر فتيمنت به ، فقال : وما قال الشاعر ؟ فانشد :

اذا قيلَ من للمجدِ والجودِ والنَّدى   فنادِ بصوتٍ يا يزيدُ بنُ مَزْيَدِ

فلما سمع يزيد مقالته هشّ له ، وقال له : أتعرف يزيد بن مزيد ؟ قال : لا والله قال : انا هو ، وامر له بفرس ابلق كان معجباً به وبمائة دينار » .

والغريب ان تحدث بعد هذا بين مسلم ويزيد جفوة يضطر فيها مسلم الى هجاء يزيد هجاءً مقذعاً[١] . ولسنا نعرف سبباً لهذه الجفوة على وجه التحقيق، غير انه قيل ان مسلماً هجا معناً عم يزيد فغضب يزيد لعمّه [٢] ، وقيل انه تجاوز الحدود مع يزيد فأقصاه عنه [٣] ، وقيل ايضاً ان يزيد اغضبه فهجاه .[٤] وعلى اي حال فالظاهر ان يزيد تضايق من هذا الهجاء فشكاه الى الرشيد الذي هدده بنزع لسانه من فمه ان عاد الى هجوه فكف عنه، وما ذكره بخير او شر بعد ذلك — على حد قوله[٥].

ويخيل اليّ ان التوفيق بين ما ورد في نهاية هذه الرواية وبين ما قاله بعض الرواة من ان مسلماً كان في صحبة يزيد حين توفي ببرذعة وانه رثاه حينذاك يكاد يكون متعذراً . والواقع ان قضية رثاء مسلم ليزيد مختلف فيها ، فبينما يورد الديوان قصيدة في رثائه مطلعها :

أَحَقٌّ أَنَّه أَوْدَى يَزيدُ   تأمَّلْ أيُّها النّاعي المُشيدُ

يذكر الاصبهاني وابن خلكان ان هذه القصيدة نفسها هي لشاعر آخر هو التيمي [٦] . وبينما نجد في ياقوت مقطوعة [٧] في رثائه ايضاً ، مطلعها :

١) مما يقوله فيه في هذا الباب ويدل على قلة وفاء مسلم :

أيزيد يا مغرور ألأم من مشى   ترجو الفلاح وانت نطفة مزيد
ان كنت تنكر منطقي فاصرخ به   يوم العروبة عند باب المسجد
فيمن يزيد فان اصبت بزيد   فلساً فهاك على مخاطرة يدي

(راجع دي خويه ص ٢٤٨ – نقلاً عن مخطوطة ميونيخ للاغاني) .

٢) علوان ص ١١١ .
٣) نفسه .
٤) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٣٥) .
٥) نفسه .
٦) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٩) ، وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٨٧ .
٧) معجم البلدان ج ١ ص ٥٥٩ .

قبرٌ ببرذعةَ استسرَّ ضريحُه　　　خطراً تقاصَرُ دونه الافكارُ

نجد ابن خلكان يعلق على المقطوعة بقوله [1]: « ان مسلم بن الوليد انما رثى بهذه الابيات يزيد بن احمد السلمي وقيل بل رثى بها مالك بن علي الخزاعي ، وان اول الابيات : قبر بحلوان استسر ضريحه ، لأن الذي قيلت فيه مات بحلوان بضم الحاء المهملة ، وهي آخر مدينة بأرض السواد من اعمال العراق ، والله اعلم بالصواب في ذلك » .

ومن الواضح ان من المتعذر استخلاص الحقيقة من بين هذه الاقوال المتضاربة .

مسلم والفضل بن سهل :

الفضل بن سهل خراساني الاصل من مدينة سرخس [2] . اتصل بالفضل بن جعفر وتقلد قهرمته [3]، ثم اوصله جعفر بن يحيى الى المأمون قبل ان يصبح خليفة فأسلم على يديه سنة ١٩٠ هـ واخذ يلازمه . وحين حصلت الفتنة بين الامين والمأمون كان الفضل بن سهل مع المأمون في خراسان [4] يقدّم له النصائح ويشير عليه بما يعمل حتى قتل الامين وآلت الخلافة اليه عام ١٩٨ هـ ، وحينذاك « جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً فكان يلقب بذي الرياستين . [5]»

واتّصل مسلم بالفضل. ومن الراجح ان كان ذلك بعد ان أسلم الفضل وقرّبه المأمون اليه سنة ١٩٠ هـ ، وبالتالي بعد نكبة البرامكة الذين كان قد انقطع اليهم مسلم قبل ان ينقطع اليه . ولكن السؤال الذي يبرز الآن هو اين حدث هذا الاتصال ؟ لقد اغفلت كتب الادب والتاريخ ذلك للأسف ، غير اننا سنحاول الوصول الى رأي في هذا الصدد ما امكن . يذكر ابن طباطبا [6] ان مسلماً كان «نديماً للفضل بن سهل قبل وزارته » فاين كان الفضل حينذاك ؟ يؤخذ من كتب التاريخ ان الفضل كان في بغداد قبل سفره مع الرشيد والمامون الى خراسان سنة ١٩٣ هـ ، وانه كان في خراسان مع المأمون بين سنتي ١٩٣ و ١٩٨ هـ . وعلى الرغم من اننا لا نستطيع ان نستبعد امكانية معرفة مسلم له واتصاله به في بغداد

١) وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٨ .
٢) نفسه ج٣ ص ٢٠٩ .
٣) الجهشياري ص ٢٣٠ .
٤) الفخري ص ١٥٦ ، وسيد امير علي ص ٢١٩ .
٥) الاعلام للزركلي .
٦) الفخري ص ١٦٣ .

بين سنتي ١٩٠ و ١٩٣ هـ ، فاننا نكاد نجزم بان اتصاله الحقيقي بـه وصيرورته نديماً له لا بد ان كانا في خراسان بين سنة ١٩٣ وهي السنة التي ذهب فيهـا مع الرشيد والمأمون الى خراسان ، وسنة ١٩٨ وهي السنة التي عاد فيها من خراسان مع المامون بعد مقتل الامين . ونعتمد في رأينا هذا على ما يلي :

١ – رواية وصلت الينا عن دعبل تقول [١] : خرج دعبل الى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل فصار الى مرو وكتب الى الفضل ابن سهل :

لا تعبأَنْ بابنِ الوليـدِ فانه	يرميكَ بعدَ ثلاثةٍ بِمَـلالِ
إنَّ المَلولَ وانْ تقادمَ عهدُهُ	كانت مودَّتُـهُ كَفَـيءِ ظِلالِ

قال فدفع الفضل الى مسلم الرقعة وقال : انظر يا ابا الوليد الى رقعـة دعبل فيك ... » (الى آخر القصة)

٢ – ضياع شعره فيه اذ لم يصلنا منه غير ابيات قليلة [٢] ، والمعروف ان معظم ما ضاع من شعر مسلم هو مما نظمه في خراسان [٣] .

٣ – رواية ابن طباطبا التي اشرنا اليها سابقاً والتي تقول : « كان مسلم بن الوليد الشاعر نديماً للفضل بن سهل قبل وزارته . وكان قد انشده قوله :

وقائلٍ ليستْ له هِمَّـةٌ	كلا ولكنْ ما لهُ مـالُ
لا جِدَّةٌ يَنهضُ عزمي بهـا	والنّاسُ سُؤّالٌ وبُخّـالُ
فاصبِرْ على الدّهرِ الى دولةٍ	يرفعُ فيهـا حالكَ الحالُ

فلما علت حال الفضل وتولى الوزارة قصده مسلم بن الوليد . فلمـا رآه سُرَّ به وقال له : هذه الدولة التي يرفع فيها حالك الحال ، وامر له بثلاثـين الف درهم

---

١) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٢) ، راجع الرواية ص ٦٧ من هذا الكتاب.

٢) كل ما وصل الينا من شعر مسلم في الفضل بن سهل ثلاثة عشر بيتاً وردت متفرقة كما يلي :

عدد الابيات	الصفحة في شرح الديوان للدهان
٥	١٥٠
٣	٣٠٤
٢	٣٠٤
١	٣٠٧
٢	٣٢٣

٣) راجع الدهان ص م ٥٢–٥٣ ، ودي خويه ص ٢٤١ (نقلا عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)

وولاه بريد [١] جرجان .

ويؤخذ من هذه الرواية الاخيرة ان مسلماً انشد الفضل ما فيها من ابيات قبل ان يستوزر ، وانه انشده اياها وهو في حالة تتطلب منه صبراً وتحدوه على التمني بان تدول الدولة الى غيرها ليرفعمن حاله وتتحسن اموره. ومن الواضحان هذه الحالة التي يصفها اعلق بعصر الامين منها باي عصر آخر ، ومن الواضح ايضاً انه لم يكن ليستطيع ان يقول مثل هذا القول وهو في بغداد بمسمع من الامين. فلا بد اذن ان يكون قد قاله خارج بغداد ، في خراسان ذاتها حيث كان يقيم الفضل طوال مدة حكم الامين (١٩٣–١٩٨ هـ) ؟

غير انه قد يقال : ولكنّ مسلماً مدح الامين وهو خليفة بقصيدة [٢] لا بدّ ان يكون قد قالها في بغداد في نفس هذه الحقبة ، فكيف يمكن التوفيق بين هذه الحقيقة والحقيقة السابقة ؟

يغلب على الظن ان مسلماً كان في بغداد في اوائل حكم الأمين ، وانه مدحه حينذاك . ولعله لم يظفر منه بما كان يتوقع ، او لعله ساءه منه اختصاصه بابي نواس [٣] او عدم تحمسه للشيعة تحمس المأمون لها فيما بعد [٤] ، فغادر بغداد الى خراسان عسى ان يجد فيها عند المأمون او وزيره ما لم يجده عند الامين من تكريم وحباء . ولكن متى غادر بغداد الى خراسان ؟ لعلَ من المتعذر تعيين ذلك على وجه التحقيق ، غير ان المتتبع لتاريخ العلاقات بين الأمين والمأمون ، حين كان الاول منهما في بغداد والثاني في خراسان، لا يرى وقتاً اصلح لافتراض حدوث ذلك من سنة ١٩٦ هـ . ففي تلك السنة حبس الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان محمداً الامين ودعا بالبيعة للمأمون [٥] ، وفيها ايضاً تألق نجم المأمون فاحتلت

---

١) وقيل ولاه جرجان (ابن خلكان ١٧٩/١ والعمدة ٢٢/١) ، وقيل المظالم فيها (دي خويه ٢٢٩ عن مخطوطة ميونيخ للاغاني). وعلى كل حال فقد كانت ولاية البريد من اخطر اعمال الدولة واجلها شأناً، اذ كان صاحب البريد مسؤولاً عن سلامة الطرق ووصول البريد، كما كان مسؤولاً عن نقل اخبار عمال الخليفة واعدائه اليه (راجع متز ص ١٢٩ ، وتاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص١٩٨ ، والنظم الاسلامية ص ٢٠٦–٢٠٩)

٢) القصيدة الثلاثون في الديوان.

٣) راجع مواسم الادب ص١٣ .

٤) راجع الفخري ص ١٥٩ .

٥) الطبري ج ٣ ص ٨٤٦–٤٧ (حوادث سنة ١٩٦ هـ) .

جيوشه الاهواز[١] والمدائن[٢]، وبايعه بالخلافة عامل الأمين على مكة والمدينة.[٣] ولعل مسلماً اغتنم هذه الفرصة فترك بغداد الى خراسان حينذاك. ويغلب على الظن انه بقي فيها حتى غادرها الفضل الى بغداد فتبعه ثم قصده بعد استيزاره فولّاه بريد جرجان على ما جاء في رواية ابن طباطبا. ومما يؤيد هذا رواية اوردها الاصبهاني عن كيفية حدوث هذه التولية. ولئن اختلفت هذه الرواية عن سابقتها اختلافاً جذرياً في التفاصيل، فانها تثبت على كل حال ان هذه التولية لم تحدث حين كان مسلم في خراسان، ولا بد انها حدثت حين كان مع الفضل في بغداد. قال الاصبهاني: [٤]

— «دخل مسلم بن الوليد الانصاري على الفضل بن سهل لينشده شعراً فقال له: ايها الكهل اني اجلك عن الشعر فسل حاجتك. قال: بل تستتم اليد عندي بأن تسمع فانشده:

دموعُها مِن حَذارِ البينِ تنسكبُ	وقلبُها مُغرَمٌ من حَرِّها يَجِبُ
جَدَّ الرحيلُ به عنها ففارقَها	لِبَينِهِ اللهوُ واللذاتُ والطربُ
يَهوَى المَسيرَ الى مروٍ ويُحزِنُهُ	فراقُها فهو ذو نَفْسَينِ يَرْتَقِبُ

فقال له الفضل اني لاجلك عن الشعر. قال فأغنني بما احببت من عملك فولّاه البريد بجرجان».

والظاهر ان مسلماً قد سر كثيراً بهذه التولية، فقد روى الثعالبي [٥] بيتين من الشعر له يبدو انه قالهما بعد ذلك، قال:

انما كنا بأرضٍ مَيتَةٍ	ليس للزائرِ فيها منتَظَرْ
فحَيِينا بكَ اذ وليتَنا	وكذاك الارضُ تَحيا بالمطرْ

ويتحدث الرواة عن النعم التي أفاءها الفضل على مسلم والعطايا التي اغدقها عليه. وقد اوردنا بعض رواياتهم عند حديثنا عن اسرافه.

---

١) الطبري ج٣ ص ٨٥١.

٢) نفسه ج ٣ ص ٨٥٧.

٣) نفسه ج ٣ ص ٨٦٠.

٤) راجع دي خويه ص ٢٤٠ (عن مخطوطة ميونيخ للاغاني)

٥) احسن ما سمعت ص ١٣٤.

وازاء الجميل الذي أسبغه الفضل على مسلم إِبَّان حياته تعلق به مسلم وشغف، ولما قتل عام ٢٠٢ هـ رثاه بقصيدة [١] تفيض بالود والعاطفة، ويقول الرواة انه لزم بيته اثر ذلك ولم يمدح احداً حتى مات [٢].

---

١) مخطوطة دار الكتب للاغاني (الدهان ص ٣٨٠)
٢) معاهد التنصيص ص ٣٦١ .

صلته بشعراء عصره

عاصر مسلم كثيراً من الشعراء منهم ابونواس ، وابو العتاهية ، والعباس بن الاحنف ، ودعبل الخزاعي ، وأبو الشيص ، والحسين بن الضحاك ، وابان اللاحقي ، والعتّابي ، ومروان بن ابي حفصة ، وسَلم الخاسر ، وابن ابي عيينة ، وابن قنبر.

واهم من جرى معهم في حلبة اللهو ومجالس الشعر من هؤلاء : ابو نواس ، وأبو العتاهية ، والعباس بن الاحنف ، ودعبل الخزاعي . فقد كانت بين افراد هذه الفئة ، في بادىء الامر على الاقل ، صداقة تقوم على امزجة مشتركة وميول متشابهة : فكان كل منهم شاعراً ، وكان كل منهم ، في فترة من حياته على الاقل ، ميالاً الى اللهو والمجون والتندر والظرف . وكانت هذه الامزجة المشتركة وتلك الميول المتشابهة تجمع بينهم فيقيمون المجالس ، يشربون فيها ويلهون ، ويتساجلون الشعر ويتطارحون النوادر ، واليك ما حدث في احد هذه المجالس :

« اجتمع مسلم بن الوليد صريع الغواني وابونواس وابو الشيص ودعبل بن علي بن رزين [1] في مجلس على الشراب فقالوا : ينشد كل واحد منكم أجود ما قال . ثم قالوا لمسلم : كأنّا بك يا ابا الوليد وقد جئت بقولك :

اذا ما علَتْ منا ذُؤابةَ واحدٍ تمشَّتْ به مشيَ المُقيَّدِ في وَحْلِ
هل العيشُ الا أن تروحَ مع الصِّبا وتغدو صريعَ الكأسِ والأعينِ النُّجلِ

... ثم قالوا لأبي نواس : كأنا بك يا ابا علي قد جئت بقولك :

لا تبكِ ليلى ولا تطربْ الى هندِ واشربْ على الوردِ من حمراءَ كالوردِ

... ثم قالوا لدعبل : كأنك قد جئت بقولك :

لا تَعجَبي يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى». [2]

ويدل هذا الخبر على ان هؤلاء الشعراء كانوا يتناشدون الشعر في مجالس شرابهم وعلى ان كلاً منهم كان يسمع اصحابه خير شعره ، او ان هؤلاء الاصحاب كانوا يطمعون منه بأن يفعل ذلك على الاقل .

---

١) هو دعبل الخزاعي .
٢) طبقات ابن المعتز ص ٧٣ .

وكأني بمسلم يصف ما كان يجري في بعض هذه المجالس من ضروب اللهو وما كان يشيع فيها من أنس وحبور حين يقول :

يا رُبَّ خِدْنٍ قد قرعتُ جبينَهُ ... بالطّاسِ والابريقِ حتى مالا
أنهضتُهُ من بعدِ ما اسكرتُهُ ... فمشى كأنَّ برجلِهِ عُقّالا
ومهذَّبينَ أكارمٍ لأكارمٍ ... أدباءَ حازوا نجدةً وكمالا
ثاروا الى صَفْقِ الشَّمولِ فأشعلوا ... نيرانَ حربِ كؤوسِها إشعالا
بَوَّأتُهم غُرَفاً جعلتُ ترابَها ... مَدَرَ العَبيرِ وعَنبراً قَسطالا
وخَلَوا بأنواعِ النعيمِ ولذَّةٍ ... دامت وعيشٍ ما يُريدُ زَوالا
في مجلسٍ بينَ الكرومِ مظللٍ ... جُعِلتْ له أغصانُهُنَّ ظِلالا
وَلدَيْهِمُ حُورُ القِيانِ كأنّها ... غِزلانُ وحشٍ يَرتعينَ رِمالا
قد حازَ كلُّ فتىً لديهِ غادةً ... رُوَدَ الشبابِ خريدةً معطالا
مَمْكورةً عَجزاءَ مُضمَرةَ الحَشى[1] ... قد حُمِّلتْ مِن رِدْفِها أثقالا
كالشمسِ تُبصرُ وجهَهُ في وجهِها ... تمشي فتَسحبُ خلفَها أذيالا
للقَصفِ متّكئينَ فوقَ نمارقٍ[2] ... يُسقَونَ بالطّاسِ الرّحيقَ زُلالا
فاذا نظرتَ رأيتَ قوماً سادةً ... ونَجابةً ومَهابةً وجمالا
ركبوا المُدامَ فأدبرتْ بِهِمُ على ... سُبُلِ السّرورِ وأقبلتْ إقبالا

ويبدو ان المتأدبين كانوا يتلقفون انباء هذه المجالس وما كان يجري فيها من مطارحات ادبية ، ولذا فكثيراً ما حرص كل من اصحابها على ان لا يشيع عنه من شعر ما قد يثلم سمعته او يحط من مكانته الادبية في اعين الناس ، بل كثيراً ما امل بعضهم في ان يكون مما يقال في هذه المجالس من شعر وما تقدمه من مجال للمقارنة بين الشعراء ما يرفع اسمه عالياً ويؤلق نجمه :

قال رزين أخو دعبل[3] : « كان الادب يجمعنا كثيراً فيؤنسنا التناشد والمذاكرة ، فاجتمعنا يوماً عند ابي نواس وهو اذ ذاك في رَهَجِ محمد بن زبيدة ، وفينا دعبل بن علي ومسلم بن الوليد وابو الشيص ، فلما كادت الكؤوس ان تغلب العقول قال ابونواس: قد اتفق اجتماعنا فلمَ لا نتمم يومنا جماً يذكرنا به المتأدبون؟

١) ضامرة البطن .
٢) وسائد
٣) مخطوطة غوطا للاغاني ترجمة ابي نواس (الدهان ص ٣٩٨)

قلنا له : انه ليوم ذاك . فالتفت الى مسلم فقال: هات فلله احسانك في الاجابة اذا نوديت ، فاختر من شعرك ما شئت فليس من شاعر الا وهو يعرف حبة القلادة من شعره . فاستوى مسلم جالساً وقال : ليست بك حاجة الى مكاثرتنا فقد علمنا ان معك من الكلام دره وخالص جوهره واذا اردت اقرارنا لك بذلك فقد سلمنا لك . فقال ابونواس : ما لهذا قصدت ، ولكنك تريد ان تفخر علينا بجودة شعرك فامض لما اجتمعنا عليه فلن ندع مشاركتك في ذلك لما تقدم من بقاء ذكره بين الادباء على ممر الايام . فابتدأ مسلم في قوله :

أُجرِرتُ حبلَ خليعٍ في الصِّبا غَزِلٍ وشمَّرتْ هِمَمُ العُذّالِ في العَذَلِ

فلما انتهى الى قوله :

مُوفٍ على مُهَجٍ واليومُ ذو رَهَجٍ كأنّهُ أجلٌ يسعى الى أملِ

قال ابو نواس ما أراه يجيء بعد هذا الكلام ما يفي بوزنه .» (١)

وكان هؤلاء الشعراء يعقدون معظم مجالسهم في منازلهم الخاصة او في منازل بعض اصدقائهم من سكان المدينة ممن تطيب لهم حياة المرح ويأنسون بظرف الشعراء . ولعل من اهم هؤلاء اسماعيل بن معمر القراطيسي الذي « كان مألفاً للشعراء ، فكان ابو نواس وابو العتاهية وطبقتهم يقصدون منزله ، ويجتمعون عنده ويقصفون ، ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان ، ويساعدهم» . (٢)

وقد يذهب بعض هؤلاء الى منزل اديب ذوّاقة فينشدونه شعرهم لعلهم يظفرون منه بكلمة استحسان قد تكتب لشعرهم الشيوع على السنة الرواة . وكم عاد بعضهم من لدن مثل هذا الاديب مكللين بتاج النصر منتشين بنشوة الغلبة ، وكم عاد آخرون وهم يتعثرون بذيول الخيبة والمرارة .

روي عن عمرو ابن ابي عمرو الشيباني انه قال (٣) : « جاء ابو العتاهية ومسلم وابو نواس يوماً الى ابي فانشده ابو العتاهية :

وعظتْكَ احداثٌ صُمَتْ ونعتكَ ازمنةٌ خَفَتْ
وارتكَ قبرَكَ في القبو رِ وانتَ حيٌّ لم تَمُتْ
وتكلمتْ عن اعينٍ تبكي وعن صُوَرٍ سَبَتْ

---

١) مخطوطة غوطا للاغاني – ترجمة ابي نواس (الدهان ص ٣٩٨)

٢) الاغاني ج ٢٠ ص ٨٨

٣) معاهد التنصيص ص ٤٠

وحكتْ لك الساعات عن ساعاتِ ابيـــاتٍ بَغتْ

وانشده شعراً آخر يقول فيه :

على سرعةِ الشمسِ في مرّها دَبيبُ الخلوقةِ في الجِدَّةِ

قال وانصرفوا ، فلما كان بعد ايام عاد اليه مسلم وابونواس فأنشده مسلم

أُجرِرتُ حبلَ خليعٍ في الصِّبا غَزِلٍ حتى بلغ قوله :

يَنالُ بالرّفقِ ما يَعيَا الرجالُ بهِ كالموتِ مستعجِلاً يأتي على مَهَلِ

فقال ابو عمرو احسنت الا انك اخذت قول ابي العتاهية :

وَحَكَتْ لكَ الساعات عن ساعـــاتِ ابيـــاتٍ بَغتْ

قال ثم انشده ابونواس قوله : يا شقيقَ النفسِ من حكمِ

فلما بلغ قوله :

فتَمَشَّتْ في مفاصِلِهِمْ كتمشّي البُرءِ في السَّقَمِ

قال له احسنت الا انك اخذته من قول ابي العتاهية :

على سرعةِ الشمسِ في مرّها دبيبُ الخلوقةِ في الجِدَّةِ »

واذا ما سئموا المنازل لجأوا الى المتنزّهات والبساتين[1] ففتقت منهم القرائح وأضفت عليهم بروضها ونسيمها متعة جديدة تقترن بمتعة الخمر ونداماه .

وان حدث في بعض هذه المجالس ما يسيء الى احد الصحب فسرعان ما يتجاوز عن الاساءة ويأخذ رفاقه بالصفح والسماح :

«حدّث دعبل الشاعر انـه اجتمع هو ومسلم وابو الشيص وابونواس في مجلس فقال لهم ابونواس :

ان مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم ما بعده فليأت كل امرىء منكم باحسن ما قال فلينشده ، فأنشدهم ابو الشيص :

وقفَ الهوى بي حيثُ انت فليس لي متـأخّرٌ عنـــه ولا متقدّمُ

أَجِدُ الملامةَ في هواك لذيــذةً حبــاً لذكرك فَليَلُمني اللوّمُ

(الابيات)[2]

---

١) انظر العمدة ج ٢ ص ٨٧

٢) الاغاني ج ١٥ ص ١٠٥ ، طبقات ابن المعتز ص ٧٤

قال فجعل ابونواس يعجب من حسن الشعر حتى ما ينقضي عجبه . ثم انشد مسلم ابن الوليد ابياتاً من شعره الذي يقول فيه :

فأقسمتُ أنسى الدّاعياتِ الى الصِّبا   وقد فاجأتها العينُ والسِّترُ واقـعُ
فغطّتْ بأيديهـا ثِمارَ نحورِهـا   كأيدي الأسارى اثقلتْها الجوامِعُ[1]

قال دعبل : فقال لي ابو نواس هات ابا علي وكأني بك قد جئت بأم القلادة :

لا تَعجَبي يا سَلمُ (البيت)

فأنشدته :

أينَ الشبابُ وأيةً سَلكا   أم اين يُطلَبُ ضلَّ أم هلكا
لا تعجبي يا سلمُ من رجلٍ   ضحكَ المشيبُ برأسهِ فبكى
يا ليتَ شعري كيف صبرُكُما   يا صاحبَيَّ اذا دمي سُفِكا
لا تطلُبا بظلامتي احداً   قلبي وطَرْفي في دمي اشتَرَكا

ثم سألناه ان ينشد فأنشد :

لا تبكِ ليلى ولا تطربْ الى هندِ   واشربْ على الوردِ من حمراءَ كالوردِ
كأساً اذا انحدرتْ في حلقِ شاربها   أجْدَتهُ حمرُتها في العينِ والخدِّ
فالخمرُ ياقوتـةٌ والكأسُ لؤلؤةٌ   من كفِّ جاريةٍ ممشوقةِ القـدِّ
تسقيكَ من عينِها خمراً ومن يدِها   خمراً فما لكَ من سُكرينِ من بُـدِّ
لي نَشوَتانِ وللنُدمانِ واحـدةٌ   شيءٌ خُصِصْتُ بهِ من بينِهمْ وَحدي

فقاموا فسجدوا له فقال : افعلتموها اعجمية ؟ لا كلمتكم ثلاثاً ولا ثلاثاً ولا ثلاثاً . ثم قال : تسعة ايام في هجر الاخوان كثير، وفي هجر بعض يوم استصلاح الفساد وعقوبة على الجفوة ، ثم التفت الينا فقال: أعلمتم ان حكيماً عتب على حكيم فكتب المعتوب عليه الى العاتب يا اخي ان ايام العمر اقل من ان تحتمل الهجر[2]» .

---

١) القيود

٢) الاغاني ج ١٥ ص ١٠٩ ، ديوان ابي نواس ، تحقيق الغزالي ص ٢٧

مسلم وابو نواس :

وفد ابونواس على الكوفة من البصرة مع استاذه والبة حين كان يتخرج في الشعر على يديه . ويبدو انهما اتصلا بادباء المدينة آنذاك [1] ، غير انه لم يصلنا ما يشعر بانهما عرفا مسلماً او اتصلا به في تلك الحقبة . ولعل ذلك ناجم عن ان مسلماً لم يكن بعد في عداد الشعراء ، او انه ربما كان قد خرج الى بادية السماوة لاستيفاء ثقافته اللغوية كما فعل زميله ابونواس [2] وغيره من الشعراء .

واجتذبت بغداد الرجلين بعد ان تمكن كل منهما من شعره ، وهناك سمع كل بزميله وود لو يجتمع به حتى قيض الله لهما دعبلاً فتوسط في الجمع بينهما :

روي عن دعبل انه قال :[3] « كان ابونواس يسألني ان اجمع بينه وبين مسلم ابن الوليد ، وكان مسلم بن الوليد يسألني ان اجمع بينه وبين ابي نواس ، وكان ابونواس اذا حضر تخلف مسلم واذا حضر مسلم تخلف ابونواس الى ان اجتمعا فأنشده ابونواس :

أجارةَ بيتينا ابوكِ غيــورُ ومیسورُ ما يُرجى لديكِ عسيرُ

وانشده مسلم بن الوليد :

للهِ من هاشمٍ في ارضــهِ جبلٌ وانت وابنُكَ رُكنا ذلك الجبلِ

فقلت لابي نواس : كيف رأيت مسلماً ؟ فقال : هو اشعر الناس بعدي . وسألت مسلماً عنه فقلت : كيف رأيت ابا نواس ؟ فقال هو اشعر الناس وانا بعده » .

وان صحت هذه الرواية كان اول اجتماع حدث بينهما سنة ١٩١ هـ او بعدها ، ذلك لان ما انشده ابونواس كان من قصيدة نظمها بعد عودته من عند الخصيب في مصر في هذه السنة [4] ، بينما ما انشده مسلم كان من قصيدة نظمت قبل ذلك . [5] وان صحت ايضاً شفّت عن الاثر الاول الذي اوقعه كل منهما في نفس زميله ، وكشفت عن غرور ابي نواس وتواضع مسلم .

---

١) المفصل في تاريخ الادب العربي ج ١ ص ١٧٩
٢) محسن الامين — ابونواس ص ٢٣
٣) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٧)
٤) دعبل ، ابونواس عالم حر ص ١٠٤
٥) هو من القصيدة الاولى في الديوان التي يمدح فيها مسلم يزيد بن مزيد الشيباني المتوفى سنة ١٨٥ هـ

والظاهر من اخبارهما ان الصلة توثقت بينهما بعد ذلك فاخــــذت تجمعهما واصدقاءهما من الشعراء مجالس الشراب واللهو والانس والشعر. وقد اتاحت هذه المجالس لكل من الشاعرين ، على ما يظهر ، فرصة للتعرف بصاحبه عن كثب والاقرار بفضله في الشعر ، فغدا مسلم يعتقد ان مع ابي نواس « من الكلام دره وخالص جوهره» [١] واصبح ابونواس يرى انه لا يجيء اثر بعض شعر مسلم « ما يفي بوزنه »[٢] .

لقي ابونواس مسلماً يوماً فسلم عليه وقال له :[٣] «يا مسلم ذهبت والله بالشعر، فقال له مسلم : اما وانت القائل : وأجارة بيتينا أبوكِ غَيورُ، فلا والله لقد غلبت اهل زمانك. »

ومضى وقت وكل منهما يحترم زميله ويجله ، غير ان التحاسد ما لبث ان اوقع بينهما فأخذ كل منهما يترصد هفوات زميله ويعدّ عليه سقطاته وهناته :

روي عن محمد بن يزيد المبرّد انه قال :[٤] « تلاحى مسلم بن الوليد وابونواس فقال مسلم : ما اعلم لك بيتاً يخلو من سقط . فقال ابونواس : اذكر بيتــاً . فقال : بل انشد انت اي بيت شئت ، فانشده :

ذَكَرَ الصَّبوحَ بِسُحرةٍ فارتاحا وأمَلَّهُ ديكُ الصّباحِ صِياحا

فقال مسلم : قف عند هذا ، لم امله ديك الصباح وهو الذي يبشره بالصبوح وهو الذي ارتاح اليه ؟ قال ابونواس : فانشدني انت ، فانشده :

عاصى الشبابَ فراحَ غير مُفَنَّدِ وأقامَ بيـن عزيمةٍ وتجلدِ

فقال ابونواس : نقضت ، ذكرت انه راح والرواح لا يكون الا بالانتقـال من مكان الى مكان ، ثم قلت واقام فجعلته منتقلاً مقيماً في حال ، وهذا متناقض ».

وأترك التعليق على هذه الرواية للمبرد نفسه اذ يقول :[٥]«وكلا البيتين صحيح ولكن من طلب عيباً وجده ومن طلب له مخرجاً لم يفته » .

وروى صاحب الاغاني خبراً آخر قال :[٦] « اجتمـع ابونواس ومسلم في

---

١) مخطوطة غوطا للاغاني – ترجمة ابي نواس (دي خويه ص ٢٧٠)
٢) نفسه
٣) نفسه ص ٢٧١
٤) العمدة ج ٢ ص ٢٣٣ ، ومخطوطة غوطا للاغاني (دي خويه ص ٢٣١ ، ٢٦٩ ، ٢٩٦) والموشح ص ٢٧١ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٨٢
٥) العمدة ج ٢ ص ٢٣٣
٦) مخطوطة غوطا للاغاني – ترجمة ابي نواس (دي خويه ص ٢٦٩) والموشح ص ٢٨٩ .

مجلس فتلاحيا على نبيذ فقال مسلم لابي‌نواس : والله ما تحسن الاوصاف ، فقال: لا والله ما احسن ان اقول :

سُلتْ فَسُلتْ ثم سُل سَليلُها فاتى سليلُ سليلِها مَسلولا

والله لو رجمت الناس في الطرق لكان احسن من هذا ».

ويلاحظ ان مسلماً كان دائماً المُبادىء بالنقد في كل مرة يلتقي به . ولعل لذلك سببين : حسد مسلم للحظوة التي كان يلقاها ابونواس عند الرشيد دونه من جهة ، وغرور ابي نواس من جهة اخرى. والواقع ان هذا الغرور الذي عرف به ابونواس[1] هو الذي حداه على ان يحتقر اهم شعراء عصره ، وفيهم مسلم، وان يشتمهم ويستخف بهم مما اثار حفيظتهم عليه فجاءوا يعاتبونه ويتحدونه :

« جاء مسلم بن الوليد والعتّابي والنّمري والجرجاني والتيمي وسلم الخاسر وابوالشيص ومروان وابوالعتاهية الى ابي نواس فقالوا : بلغنا عنك انك تحتقرنا وتشتمنا وتستخف بنا وبأشعارنا فتعال حتى نهاجيك ونشاعرك ...[2] »

ولم يتغير موقف مسلم من ابي‌نواس وهو في بلاد الغربة بعيداً عن منافسته ، فلقد سئل وهو في مرو عن قول ابي‌نواس :

رَسْمُ الكرى بينَ الجفونِ مَحيلُ عفّى عليهِ بُكا عليكَ طويلُ

فقال : ان كان قول ابي العذافر :

باضَ الهوى في فؤادي وفرّخَ التّذكارُ

حسناً ، كان هذا حسناً.[3]

كما تحدّث وهو بجرجان فوسم ابا نواس بالإحالة وعاب عليه قوله :

وأخفتَ اهل الشّركِ حتى انه لتخافُكَ النُّطفُ التي لم تُخلقِ[4]

ومهما يكن الامر فلا ريب ان الصلة التي كانت تربط بين الشاعرين فتجعل احدهما يتطلع الى الآخر ، اعجاباً احياناً وحسداً أحياناً اخرى، هي التي تركت في شعر كل منهما اثراً من شعر الآخر . ونحن لا نكاد نقرأ في ديوان مسلم دون ان تستوقفنا ابيات ومقطوعات نكاد نلمس فيها روح ابي‌نواس ونفسه :

---

١) راجع الاغاني ج ٤ ص ٧١
٢) مخطوطة غوطا للاغاني – ترجمة ابي نواس (دي خويه ص ٢٦٩)
٣) كتاب الصناعتين ص ٣٠٢ ، والموشح ص ٢٨٥
٤) الموشح ص ٢٥٩

أديرا عليَّ الرّاحَ لا تشرَبا قبلي ولا تَطلُبا من عندِ قاتلتي ذَحْلي

. . .

هاتِ اسقِني طـالَ بيَ الحبْسُ من قهـوةٍ بائعُهـا وَكْسُ
زِقيَّـةُ الدارِ رُصافيّـةٌ أغـلى بهـا الشَّمّاسُ والقَسُّ
كأنها في الكأسِ ياقوتـةٌ وهي اذا ما مُزِجَتْ وَرْسُ

. . .

شَقَقنا لها في الدَّنِّ عيناً فأسبلتْ كما أسبلتْ عينُ الخريدِ بلا كُحلِ

وقد شغل مسلم وابونواس الادباء والنقاد في المقارنة بينهما ، فقد « حدّث ابوالقاسم الفقيه الموصلي قال : جاريت ابن فراس الكاتب بحضرة القاسم بن عبيدالله في شيء من اشعار المحدثين فاعتقد تفضيل ابي نواس واعتقدت تفضيل مسلم وطال الخطاب في ذلك حتى دخل ابو العباس محمد بن يزيد المبرّد فتحاكمنا اليه فقال : قال لي عبد الصمد بن المعدل وما رأيت اغرب منه معرفة بالشعر وقد سألته عنهما فقال : والله ما جرى ابونواس قط في ميدان مسلم ولا تسمو نفسه الى ان يفاضل بينهما الّا ان له حظاً من الشهرة والذكر ليس لمسلم مثله »[1].

و« حكى ابن الرومي الشاعر قال : حضرت مع البحتري منزل عبيدالله بن عبدالله بن طاهر وقد سئل البحتري عن ابي نواس ومسلم أيهما أشعر ، فقال ابونواس أشعر ، فقال عبيدالله ان ابا العباس ثعلباً ليس يطابقك على قولك ويفضل مسلماً . فقال البحتري ليس ذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله ، انما يعلم ذلك من قد وقع في مسالك طرق الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته »[2] .

ويبدو من هاتين الروايتين ان العلماء والفقهاء كانوا يفضلون مسلماً على زميله . وليس تعليل ذلك بالأمر الصعب فهؤلاء يمثلون طبقة المحافظين ، ومسلم اكثر محافظة في الشعر من زميله واقرب منه الى عمود الشعر . اما تفضيل البحتري لابي نواس فهو تفضيل للطبع على الصنعة ، والبداهة على التعمّل ، والبحتري ، كما نعلم ، صاحب طبع وبديهة ينفر من تجويد الشعر وتحكيكه .

١) معاهد التنصيص ص ٣٦١
٢) مقدمة حمزة الاصفهاني لديوان ابي نواس ، ط. آصاف ، ص ١٣ – ١٤ (نقلا عن الامالي لابن دريد) ، والعمدة ج ٢ ص ٩٩

والواقع ان شعر ابي‌نواس كان اكثر رواجاً من شعر مسلم واعلق منه بقلوب الناس . وقد شعر المحافظون بذلك فعزوه الى ان ابا نواس كان ذا حظ « من الشهرة والذكر ليس لمسلم مثله » [١] ، كما عزاه غيرهم الى تصرف ابي نواس في فنون القول وضروب الكلام وجري مسلم «على وتيرة واحدة لا يتغير عنها». [٢]

والحقيقة ان لا هذا ولا ذاك ، وانما هو تمثيل شعر ابي‌نواس تمثيلاً اصدق من شعر زميله للحياة التي اخذ الناس يحيونها في ذلك العصر . فابو نواس يحاول اكثر من مسلم ان يقارب بين الشعر وبين الحياة الجديدة وان يعرض عن تلك المعاني الموروثة التي يتناقلها الشعراء دون ان يحسّوا بها ودون ان تمثل حياتهم وحياة معاصريهم .

مسلم وأبو العتاهية :

جمع مسلماً وأبا العتاهية كثير من مجالس الشعر واللهو قبل ان يتوبا . ويبدو ان مسلماً سبق صديقه الى التحرّج والاحتياط والعف عن دواعي المجون قبل ان يتوب نهائياً في جرجان :

اجتمع الحسن بن هانىء وصريع الغواني وابو العتاهية في مجلس فقيل لأبي العتاهية انشدنا فأنشد : [٣]

« أسيّدتي هاتي فديتُكِ ما جُرمي   فانزلَ فيما تشتهينَ من الُحكمِ
كفاكِ بحقّ اللهِ ما قد ظلمتِني   فهذا مقامُ المستجيرِ من الظلمِ

وقيل لصريع الغواني انشدنا فانشد :

قد اطّلعتَ على سرّي وإعلاني   فاذهبْ لشأنِكَ ليس الجهلُ من شاني
ان التي كنتُ أنحو قصدَ شِرّتِها [٤]   أعطتْ رضىً واطاعتْ بعدَ عِصيانِ

ثم قيل للحسن بي هانىء انشدنا فانشد : [٥]

يا ابنةَ الشيخِ اصبحينا   ما الذي تنتظرينا
قد جرى في عُودِكِ الما   ءُ فأجري الخمرَ فينا

١) معاهد التنصيص ص ٣٦١ ، والعمدة ج ٢ ص ١٧٧
٢) كتاب الصناعتين ص ٢٤
٣) العقد الفريد ج٥ ص ٣٧٦ - ٣٧٧
٤) يقصد نفسه
٥) راجع ديوان ابي نواس (ط. آصاف) ص ٣٣٩

قالوا : هذا هزل فما الجد ؟ فأنشد :

لِمن طَللٌ عاري المحلّ دفينُ	عفا عهدُهُ الا روائمُ جونُ
كما اقتربتْ عندَ المبيتِ حمائمٌ	غريباتُ مُمسىً ما لهنّ وكونُ
ديارُ التي أمّا جنى رشفاتِها	فحلوٌ وأمّا مسُّها فليـــينُ
وماأنصفتْ أمّاالشحوبُ فظاهرٌ	بوجهي وأمّا وجهُها فيصونُ

فقام صريع الغواني يجر ذيله وخرج وهو يقول :

والله هذا مجلس لا أجلسه أبداً .»

وضلع ابوالعتاهية مع مسلم والشعراء الآخرين حين اشتد حقدهم علىابي نواس لازدرائه لهم ، واشترك معهم في الوفود عليه والاحتجاج اليه .

والظاهر ان ابا العتاهية كان حريصاً على استرضاء مسلم فكان يدعوه الى بيته ويستضيفه رغم ما عرف عنه من بخل :

روي عن ابي خارجة بن مسلم انه قال (١) : «قال لي مسلم بن الوليد كنت مستخفاً بشعر ابي العتاهية فلقيني يوماً فسألني ان اصير اليه ، فجاءني بلون واحد فأكلناه واحضرني تمراً فأكلناه ، وجلسنا نتحدث وانشدته اشعاراً لي في الغزل وسألته ان ينشدني قوله :

بالله يا قُرّةَ العَينينِ (الابيات)

ثم انشدني ايضاً : رأيتُ الهوى جمرَ الغَضى (البيت)

قال مسلم : ثم انشدني ابوالعتاهية :

خليليَّ مالي لا تزال مضرّتي (الابيات)

قال مسلم : فقلت له لا والله يا ابا اسحاق ما يبالي من احسن ان يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا ...»

ولكن رغم هذا الحكم الذي قد يكون لدواعي المجاملة اثر فيه فان مسلماً كان في الواقع يستخف بشعر ابي العتاهية بصورة عامة . وقد لا يبدو ذلك غريباً ان علمنا ان ابا العتاهية كان ينتمي لمدرسة مغايرة لمدرسة مسلم ، فمسلم صاحب تجويد وصنعة وابو العتاهية رائد سلاسة وطبع .

« اجتمع ابو العتاهية ومسلم بن الوليد الانصاري في بعض المجالس فجرى بينهما كلام فقال له مسلم · والله لو كنت ارضى ان اقول مثل قولك :

١) الاغاني ج ٣ ص ١٤٥ (اخبار ابي العتاهية)

الحمدُ والنعمةُ لكْ والملكُ لا شريكَ لكْ

لبّيكَ ان الملكَ لكْ

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكني اقول :

مُوفٍ على مُهَجٍ واليوم ذو رَهَجٍ كأنهُ أَجَلٌ يسعى الى أملِ (الابيات)

فقال له ابو العتاهية : قل مثل قولي و الحمد والنعمة لك ، اقل مثل قولك و كأنه اجل يسعى الى أمل ، »[1]

ومن الواضح ان في جواب ابي العتاهية ما يشير الى اختـــلاف مذهب كل منهما في الشعر عن الآخر .

حدّث عبدالله بن يوسف ، وكان راوية اديباً ، قال : [2] « رأيت مسلم بن الوليد بجرجان ، وهو يتولاها مقدمي من مدينة السلام . فسألني عمن خلفت بها من الشعراء ، فقلت : خلفت كوفياً وبصرياً قد غلبا على الشعر : اما من الكوفيين فابو العتاهية وهو مقدَّم عندهم ، ومن البصريين ابو نواس . فقال : كيف يتقدم عندهم ابوالعتاهية وهو يقول :

رويدكَ يا انسانُ لا انتَ تقفزُ

أخرجت تقفز من فم شاعر محسن قط ؟ واما ابو نواس فمُحيل ، ويصف المخلوقين بصفة الخالق عز وجل ، فمما احال فيه قوله :

وأخفتَ اهلَ الشّركِ حتى انه لتخافُكَ النُّطفُ التي لم تُخلقِ

وهذا محال . »

وتعكس لنا هذه الرواية – ان صحّت – امرين على جانب كبير من الاهمية : الاول ان مسلماً لجأ اخيراً الى الدين للحط من شأن ابي نواس بعد ان استنفد وسائله الاخرى التي لم تستطع ، على ما يظهر ، ان تغض من مكانته عنـد الناس ، او ان تحدّ من شيوع شعره بينهم . والثاني انه لم ينقد **موضع** « تقفز » ولا **موضع** « انت » من قول ابي العتاهية – وكلتا اللفظتين تبدوان نابيتين كما هو واضح – ولكنه قصر نقده على **استعمال** اللفظة الاولى فقط ، مما يدل على انه يعلق اهمية كبيرة على اختيار الشاعر لالفاظه ، تلك الالفاظ التي يفضّل ان تكون مما يخرج عادة « من فم شاعر محسن » . ومن الواضح ان هذا الميل الذي يبديه يظهر مدى تعلقه بكلاسيكية اللفظة الشعرية .

١) الاغاني ج ٣ ص ١٣٨

٢) الموشح ص ٢٥٩

مسلم والعباس بن الاحنف :

لم يكن مسلم بن الوليد والعباس بن الاحنف على وئام، ولعل سبب ذلك هو التنافس على الشهرة دون الرزق : ففي الوقت الذي كان فيه مسلم حريصاً على جمع المال حين يحتاج اليه كان ابن الاحنف يجد نفسه في غنى عن ذلك، وفي الوقت الذي كان يتقرب فيه مسلم من الامراء والملوك في سبيل هذه الغاية كان ابن الاحنف يعفّ عن ذلك ترفعاً وتظرفاً .[1]

ولعل اكثر ما كان يغيظ العباس من امر مسلم توقير الشعراء له واقرارهم بفضله ، كما ان اكثر ما كان يغيظ مسلماً من امر العباس نهشه اياه بظهر الغيب مما ادّى الى حدوث مهاجاة بينهما :

روي ان محمد بن المهنّا قال : [2] « كان العباس بن الاحنف مع اخوان له على شراب فذكروا مسلم بن الوليد فقال بعضهم صريع الغواني فقال العباس: ذاك ينبغي ان يسمّى صريع الغيلان لا صريع الغواني . فبلغ ذلك مسلماً فقال يهجوه:

بنو حنيفةَ لا يَرضى الدَّعِيُّ بهمْ	فاترُك حنيفةَ واطلبْ غيرَها نَسَبا
واذهبْ الى عربٍ تَرضى بنسبتِهِم	انيّ ارى لكَ خَلقاً يشبهُ العربا
لقيتَني باحتجاجٍ بعد ما رَتَعَتْ	فيكَ القوافي وأبقَى وسمُها نَدَبا
هلَّا وانتَ بظهرِ الغيبِ تأكلُني	فلا تهَنَّأْتَني أمسكتَ مُتَّئِبا
مُنّيتَ مِني وقد هاجَ الرهانُ بنا	بغايةٍ منعتْكَ الفوتَ والطَّلبا
فاقعُدْ فانتَ طليقُ العفوِ مُرتهَنٌ	بسَورَةِ الجهلِ ما لم أملِكِ الغَضبا»

ويبدو من البيت الثالث من هذه المقطوعة انها لم تكن اول ما هجي به العباس فقد سبقها هجاء آخر لعله ضاع مع ما ضاع من شعر مسلم .

مسلم ودعبل الخزاعي :

كان مسلم استاذ دعبل ، « عنه اخذ ومن بحره استقى . »[3] فكان يروضه على قول الشعر ويزوده بنصائحه الى ان استقامت قناته وخرج الى الناس بشعر قبس فيه طريقة مسلم ومذهبه رغم مغايرته له في اتجاهه نحو الهجاء المقذع

١) العمدة ج ١ ص ٥٢

٢) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٩) وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ١١٩

٣) مخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٥)

والتعريض بالناس .

ولقد مرّ معنا كيف كان دعبل يقول الشعر فيعرضه على مسلم فينصحه هذا بالأناة حتى لا يكون اول ما يظهر له ساقطاً فيشتهر عنه ويعرف به. وقد استمرت هذه الحال حتى قال دعبل :

أينَ الشبابُ وأيةً سَلَكا — أم أينَ يُطلبُ ضلَّ بل هَلَكا
لا تَعجَبي يا سَلمُ من رجلٍ — ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى
يا ليتَ شِعري كيفَ صبرُكما — يا صاحبَيَّ اذا دمي سُفِكا
لا تطلبا بظلامتي أحداً — قلبي وطَرْفي في دمي اشترَكا

فسمح له حينذاك بان يظهر شعره كيف شاء .

ويبدو ان دعبلاً حفظ لاستاذه جميله في بادىء الامر ونمت بينهما صداقة قوية انتفيت فيها كل كلفة فاشتركا في طلب الغواية ونشدان اللذائذ :

روى الحسين بن دعبل عن ابيه قال :[1] « سمعت ابي يقول: بينا انا جالس بباب الكرخ اذ مرت بي جارية لم أرَ احسن منها وجهاً ولا قداً تتثنى في مشيتها وتنظر في اعطافها فقلت متعرضاً لها :

دموعُ عيني بها انبساطُ — ونومُ عيني به انقباضُ

فاجابتني بسرعة وقالت :

وذا قليلٌ لِمَن دهتْهُ — بلحظِها الاعينُ المِراضُ

فأدهشتني وعجبت منها فقلت :

فهل لمولايَ عطفُ قلبٍ — وللذي في الحشا انقراضُ

فاجابتني غير متوقفة فقالت :

ان كنتَ تهوى الودادَ منّا — فالودُّ في ديننا قراضُ

قال فما دخل اذني قط كلام احلى من كلامها ولا رأيت انضر وجهاً منها فعدلت بها عن ذلك الوجه وقلت :

أترى الزمان يسرُّنا بتلاقِ — ويضم مشتاقاً الى مشتاقِ

فاجابتني بسرعة فقالت :

---

١) مخطوطة ميونيخ للاغاني ، (دي خويه ص ٢٤٢) والعقد الفريد ج ٦ ص ٣٩٧ - ٤٠٠ .

ما للزمانِ وللتحكمِ بيننا   انتَ الزمانُ فسُرَّنا بتَلاقِ

قال : فمضيت امامها أؤم بها دار مسلم بن الوليد وهي تتبعني ، فصرت الى منزله فصادفته على عسرة فدفع اليّ منديلاً وقال: اذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج وعد. فمضيت مسرعاً فلما رجعت وجدت مسلماً قد خلا بها في سرداب ، فلما احس بي وثب اليّ وقال عرَّفكَ الله يا ابا علي جميل ما فعلت ، ولقّاك ثوابه ، وجعله احسن حسنة لك . فغاظني قوله وطنزه وجعلت افكر اي شيء أغمّه به فقال : بحياتي يا ابا علي اخبرني من الذي يقول :

بِتُّ في دِرعِهــــا وباتَ رفيقي   جُنُبَ القلبِ طاهرَ الاطرافِ

فقلت :

من له في حِرِ امِّهِ الفُ قرنٍ   قــد أنافتْ على علوٍ مُنافِ

وجعلت اشتمه واثب عليه ، فقال لي : يا احمق ، منزلي دخلت ومنديلي بعت ودراهمي انفقت ، على من تحرد انت واي شيء سبب حردك يا قواد . فقلت له مها كذبت علي فيه من شيء فما كذبت في الحمق والقيادة . »

واستمرت الصداقة بين مسلم ودعبل وجعلا يجتمعان معاً في مجالس الشعراء[١] حتى اسند الفضل بن سهل عملاً الى مسلم بجرجان فغادر العراق اليها والهته الوظيفة عن اصدقائه . ويبدو ان دعبلاً اعسر فذكر صديقه وقصده الى خراسان، ولكنه خيب آماله فرماه بالبخل[٢] وحببت اليه نفسه ان يوقع بينه وبين ولي نعمته.[٣] فلما اسقط في يده برح خراسان عائداً الى العراق بعد ان كتب اليه[٤]:

أبا مخلدٍ كُنّا عقيدي مودَّةٍ   هوانا وقلبــانا جميعاً معاً مَعا
أحوطكَ بالغيبِ الذي انت حائطي   وأجزعُ اشفاقاً من ان تتوجّعا
فصيرتَني بعد انتكاثِكَ مُتهِماً   لنفسي عليها أرهبُ الخلقَ أجمعا
غششتَ الهوى حتى تداعتْ اصولهُ   بِنا وابتَذَلتَ الوصلَ حتى تقطَّعا
وأنزلتَ مِن بينِ الجوانحِ والحشا   ذخيرةَ وُدٍّ طالمـا قـد تمنَّعا
فلا تَلحَيَنّي ليس لي فيكَ مطمعٌ   تخرَّقتَ حتى لم اجدْ لكَ مرقعا

---

١) الشعر والشعراء ج٢ ص٨٢٧ ، والاغاني ج ١٥ ص ١٠٩ ، والعقد الفريد ج ٥ ص ٣٧٤
٢) مخطوطة ميونيخ للاغاني ، (دي خويه ص ٢٤٢)
٣) نفسه ، الدهان ص ٣٣٤ ، ص ٨٠ من هذا الكتاب .
٤) مخطوطة ميونيخ للاغاني ، (دي خويه ص ٢٤٥) وابن خلكان ج ١ ص ١٧٩

فهبكَ يميني استأكلتْ فقطعتُها   وجشّمتُ قلبي صبرَهُ فتشجّعا

.. ثم تهاجرا بعد ذلك فما التقيا حتى ماتا .»

وتبدو المقطوعة عتاباً اكثر منه هجاء ، وهي تحمل بين طياتها عاطفة ودّ جريح لا يزال يساور قلب صاحبه فيحاول صاحبه اجتثاثه منه وتجشيم قلبه الصبر .

سنواته الاخيرة

قضى مسلم السنوات العشر الاخيرة من حياته بعيداً عن وطنه في جرجان .
وجرجان [١] اقليم عرف بدماثة اهله واخذهم انفسهم « بالتأني والاخلاق الحميدة » على ما يقول ياقوت . وهو يقع في الجنوب الشرقي من بحر خزر ويضم السهول الواسعة والاودية العريضة والجبال السامقه . ويرويه نهرا أترِك (Atrek) وجرجان ، ولذا فقد كثرت فيه الحدائق وتوفرت الخيرات والفواكه فغدا ينتج البلح والزيتون والجوز والرمان وقصب السكر والاترج . ويذكر الجهشياري انه كان يحُمل من هذا الاقليم الى بيت المال في عهد الرشيد « اثنا عشر الف الف درهم والف منّاً من الابريسم . » [٢]

ولا نعرف الكثير عن حياة مسلم في جرجان ، ولعل سبب ذلك بعده عن مراكز الرواية في ذلك العهد . غير اننا لا نشك في ان حياته هناك كانت تختلف عن حياته في بلاده ، ففي بلاده كان يسعى وراء المال بمدح هذا والتقرب الى ذاك ، اما في جرجان فكان مكفيّ العيش موفور المال بفضل ما أسبغه عليه الفضل بن سهل من اعمال وضياع . [٣]

وسواء كان مسلم والياً على جرجان كما تقول بعض الروايات [٤] ، او والياً على مظالمها كما تقول اخرى ، [٥] او مديراً للبريد فيها كما تقول ثالثة ، [٦] فلا بد انه كان يتمتع فيها باحترام وافر وجاه عريض لم يكن على مثلهما في بلاده .

زد على ذلك انه اصبح هنا متقدماً في السن فلم يعد يسعى الى ما كان يسعى اليه قبلاً من انتهاب اللذات والعكوف على وسائل اللهو .

ويبدو ان نكوصه عن اللذات لم يزهده في العيش ، فلقد بقي يحب الحياة ، ويكره ان يفارقه الشيب ، وهو كُره ، لأن في فراقه فراقاً لها :

---

١) انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧٥ و Encyclopaedia of Islam, vol. I, p. 1065

٢) كتاب الوزراء والكتّاب ص ٢٨٤ . المن يساوي ١٨٠ مثقالاً شرعاً و ٢٨٠ عرفاً . والابريسم الحرير .

٣) معاهد التنصيص ص ٣٦١

٤) مواسم الادب ض ١٣ ، والعمدة ج ١ ص ٢٢

٥) ابن خلكان ج ١ ص ١٧٩

٦) الفخزي ص ١٦٣ ، ومخطوطة ميونيخ للاغاني (دي خويه ص ٢٤٠)

الشيبُ كُرهٌ وكُرهٌ ان يفارقَني فاعجَبْ لشيءٍ على البغضاءِ مودودِ
يمضي الشبابُ وقد يأتي له خَلفٌ والشيبُ يذهبُ مفقوداً بمفقودِ

ويذكر الرواة توبة مسلم في أخريات ايامه ويقولون ان راويته «جاء اليه بعد ان تاب ليعرض عليه شعره فتغافله ... ثم اخذ منه الدفتر الذي في يده فقذف به في البحر .»[1]

ولعل توبة الشعراء بعد ان يوغلوا في العمر كانت سنّة في القديم ، فقد تاب عمر ابن ابي ربيعة ، على ما يذكر الرواة ، وكذلك ابو العتاهية وابونواس . او لعل الناس كانوا في ذلك العهد اكثر قساوة مما هم اليوم تجاه المرء يتصابى بعد ان يوافي سن الكهولة [2] .

ولا ريب ان توبة مسلم ، ان صحت ، هي التي حببت اليه التنكر لماضيه ولما يتصل بهذا الماضي من لهو وصداقات، ولذا فقد تنكر لصديقه القديم ورفيق صبوته دعبل حين وفد اليه من العراق ليستعين به على الدهر وحوادثه ، كما مرّ .

ولئن رغب مسلم في قطع الصلة بين حاضره وماضيه ، فما كان يرغب ابداً في ان تنقطع صلته الروحية بوطنه الأم الذي يبدو انه كان شديد الحنين اليه في ايامه الاخيرة .

ولعل هذا الحنين بلغ ذروته حين رأى مسلم نفسه يغالبها الموت في آخر لحظات حياته ، اذ عندما « مرض مرضه الذي مات فيه » كما يقول الرواة[3]، « رأى نخلة لم يكن في جرجان غيرها[4] فقال:

ألا يا نخلةً بالسفحِ من اكنافِ جرُجانِ
ألا اني واياكِ بجُرجان غريبانِ

ثم مات مع تمام الانشاد . »
وكان ذلك ، على ما تجمع المراجع ، سنة ٢٠٨ هـ .

---

١) مخطوطة ميونيخ ، الاغاني (دي خويه ص ٢٤١)
٢) انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧٧
٣) معجم البلدان ج ٢ ص ٥٠ ، و معاهد التنصيص ص ٣٦٥
٤) كذا !!

القسم الثالث

شعره

١. ضياع الكثير من شعره

لم يصل الينا ديوان مسلم كاملاً ، ونستطيع ان نتبين ذلك مما يلي :

١ . ما نراه فيه من بتر ظاهر في بعض القصائد . ولعل من خير الامثلة على ذلك القصيدة الستين والثانية والستين ، حيث نجد في كل منها ضميراً يعود على ممدوح لا ذكر له في اي منهما . زد على ذلك ان ما تبقى من كل منهما لا يتجاوز ثلاثة ابيات مما لا يتلاءم وطبيعة المديح في ذلك الزمن ، في العادة .

٢. وقوعنا على ابيات او مقطوعات في كتب الاصول الادبية تنسب لمسلم ولا نعثر لها على اثر في الديوان . ولعل هذه الابيات ، او بعضها ، بقايا لقصائد فقدت . وقد جمع الدكتور دهان ما عثر عليه من هذه الابيات في ذيل ألحقه بالديوان . ويبلغ مجموع هذه الابيات ثلاثمئة وعشرين بيتاً .

٣. وقوعنا في هذه الاصول على روايات تفترض وجود شعر له لا نجده في الديوان : فقد ذكر ابوالفرج [١] ان الحسين بن الضحّاك هاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه . ومع ذلك فاننا لا نجد في الديوان شعراً لمسلم يهجو به الحسين . وذكر ايضاً [٢] ان مسلماً حدّث عن نفسه فقال : « وجّه اليّ ذو الرياستين فحملت اليه فقال : انشدني قولك :

بالغَمرِ من زينبَ اطلالُ   مَرَّتْ بها بَعدَكَ احوالُ

فأنشدته اياها حتى انتهيت الى قولي :

وقائلٍ ليستْ لهُ هِمّةٌ ... (الابيات)

ويفهم من قوله « حتى انتهيت الى قولي » ان هناك ابياتاً بين مطلع القصيدة وبين (وقائل ليست له همة ...) ، وليس في الديوان ذكر لهذه الابيات الناقصة ولا للمطلع ذاته ، وكل ما فيه اربعة ابيات هي كل ما حفظه الديوان من هذه القصيدة .

٣. صعوبة التوفيق بين ما يمكن ان يستنتج من الروايات التي وصلت الينا عن حياة مسلم وبين ما وصل الينا من شعره في بعض مراحل هذه الحياة . فقد ذكرت هذه الروايات انه اختص بمديح البرامكة في حقبة من حياته، ولكن رغم

١) الاغاني ج ٦ ص ١٧٠ . انظر ايضاً كتاب نديم الخلفاء ص ٤٠

٢) الاغاني – مخطوطة ميونيخ (دي خويه ص ٢٤٧–٤٨)

ذلك لم يصل الينا من مدحه فيهم الا النزر القليل مما لا يتلاءم وهذا الاختصاص.[1]

ويمكن ان يعزى هذا النقص في ما وصل الينا من شعره الى ما يأتي :

١. توبة مسلم في اواخر حياته واتلافه لشعره ، ان صحت الرواية . فقد روي عن الحسين ابن ابي السري انه قال : « وحدثني جماعة من اهل جرجان ان راوية مسلم جاء اليه بعد ان تاب ليعرض عليه شعره فتغافله مسلم ثم اخذ منه الدفتر الذي في يده فقذف به في البحر[2] ، فلهذا قل شعره فليس في ايدي الناس منه الا ما كان بأيدي الممدوحين من مدائحه». [3]

٢. قضاؤه الشطر الاخير من حياته في جرجان بعيداً عن المراكز الرئيسية لرواية الشعر وتدوينه في العراق .

٣. الملابسات السياسية التي سادت عصره ، مما جعل معظم الرواة يخشون رواية ما نظم في البرامكة وتدوينه ، بعد ان نكبوا . ومن المعلوم ان مسلماً اختص بهم بحيث نرجح انه مدحهم بقصائد اكثر من تلك التي وصلت الينا .[4]

ومهما يكن الامر ، فان ما وصل الينا من الديوان يبلغ في مجموعه الفاً وسبعمئة واربعة عشر بيتاً وصلت الينا رواية عن ابي العباس بن عيسى الطبّيخي.[5] ومن المتعذر الآن تقدير نسبة هذه الابيات لما يمكن ان يكون قد نظمه مسلم في حياته.

---

١) راجع بحثنا في اتصاله بالبرامكة من هذا الكتاب (ص ٨٨) .

٢) لعله يقصد نهر جرجان

٣) الاغاني – مخطوطة ميونيخ (عن دي خويه ص ٢٤١)

٤) راجع ما ذكره الاصبهاني في مقدمته لديوان ابي نواس (ص ٦) عن ضياع مدائح ابي نواس في جعفر بن يحيى البرمكي .

٥) يدعوه دي خويه الطنجي . راجع تحقيق الدهان لهذا الاسم ص ٦٣–٦٧ من مقدمة شرحه للديوان .

٢. لمحة في حركة الشعر في عهده

تخطت الكلاسيكية الشعرية العصر الاموي الى العصر العباسي . ولولا ان تعهدها رجال اللغة والدين بعنايتهم ، ولولا ان بقيت رمزاً للحنين الى الحياة الاولى التي ترسّبت في النفوس ، وهدفاً يتطلع اليه كل شاعر ينشد مدح الملوك والامراء ، ويرغب في ان يسير شعره على ألسنة الرواة او ان يخلد في شواهد اللغويين والنحاة ، لولا ذلك لكان لها شأن آخر . فلقد تغيرت الحياة في هذا العصر عن ذي قبل، اذ كان قد انقضى على بدء الفتوحات العربية بمجيئه اكثر من مئة سنة كانت كافية لأن ينشأ فيها في البلاد المفتتحه جيل جديد من العرب انقطعت صلته بحياة البادية او كادت تنقطع ، واخذ ينهل بشغف من حياض الحضارات المختلفة التي جبهته، وكانت وسائله الى هذه الحياض المعاشرة والمزاوجة ثم الترجمة . ولقد استهوته حضارة الفرس المادية فعكف على حياة الترف والدعة والمجون ، كما استهوته حضارتا اليونان والهند العقليتان فأخذ عن الاولى الفلسفة والطب والعلوم ، واخذ عن الثانية الحكم والامثال والمواعظ .

وكان من الطبيعي ان تؤثر هذه الحياة الجديدة في الشعر فتعمل على تجديده . غير ان الشعراء اختلفوا في قبول مُثُل هذه الحياة الجديدة ، فمنهم من ذهب في ذلك مذهب الافراط واندفع في تيار الجديد ، ومنهم من بقي محافظاً يتنكر لكل جديد ومجدّد ، ومنهم من سار بين هؤلاء واولئك ، يأخذ من الجديد بقسط كافٍ لأن يمكنه من مجاراة الحياة الحديثة ، ويحتفظ من القديم بما قد يدرأ عنه نقد المحافظين ويمكّن شعره من الوصول الى عتبات الخلفاء والسيرورة على ألسنة الرواة . ويشمل الفريق الاول بعض الشعراء الموالي ممن كانوا يتنكرون للتقاليد الشعرية العربية القديمة ويهزأون بها امثال ابي نواس[١] ، وبعض شعراء العرب ممن استهوتهم الحياة الجديدة أيّما استهواء امثال والبة بن الحباب[٢] وابان ابن عبدالحميد اللاحقي.[٣] ويشمل الفريق الثاني شعراء البادية امثال ابي دلامة[٤] وربيعة الرّقي[٥] ، ورجال اللغة والفقه ممن كانوا ينظمون الشعر ولا يفضلون

١) انظر الشعر العربي بين الجمود والتطور ص ٧٣ – ٨٠
٢) انظر الاغاني ج ١٦ ص ١٤٢ ، وتاريخ الشعر العربي ص ٤٣٣
٣) انظر طبقات ابن المعتز ص ٢٤١ ، والاغاني ج ٢ ص ٧٣
٤) طبقات ابن المعتز ص ٥٥
٥) الاغاني ج ١٥ ص ٣٨

منه سوى ما كان يصلح للاستشهاد به ويترسم فيه صاحبه سبل القدماء في النظم، امثال خلف الاحمر والاصمعي [1] . واما الفريق الثالث فيتوسط الفريقين واهم من يشمل من الشعراء ابن هرمة والعتّابي وبشّار ومسلم .

ولا يفترض هذا التقسيم امكانية وضع حدود حاسمة بين كل فريق وآخر، اذ ليس من الطبيعي ان تترك الحياة الجديدة شعر اكثر الشعراء ميلاً الى المحافظة دون ان تؤثر فيه ولو بقدر ، كما انه ليس من الطبيعي ايضاً ان يتمكن اكثر الشعراء رغبة في التجديد من التخلص من جميع خصائص النظم القديم ، فها هو خلف الاحمر -اللغوي الراوية- يضرب بالتقاليد الشعرية عرض الحائط في كثير مما نظم [2] ، وها هو ابونواس -الممعن في طلب الجديد- يترسم في شعره الرسمي الذي يمدح به الخلفاء خطى الشعراء القدامى في الاستهلال بالغزل ووصف الناقة والاكثار من الغريب وان كان يرى ان الخليفة « قد جشّمه مركباً خشناً » في ذلك . [3]

وقد قدّر ان لا يكتب النجاح لدعوة غلاة التجديد التي تدعو -كما يبدو من شعر ابي نواس الى التمرد على كل قديم ، ودمج الحياة الجديدة والشعر الجديد في وحدة متآلفة تقتضي التغيير في الفاظ الشعر ، ومعانيه ، وموضوعاته ، واسلوب نظمه . وكان لذلك سببان رئيسيان ، على الاقل : الاول ان اي دعوة متطرفة من هذا النوع يجب ان ترافقها حركة فكرية عامة متطرفة كذلك تدين بالتغيير الجذري وتقوى على اصطناعه وقبوله، وهذا ما لم يكن العرب قد وصلوا اليه. [4] والثاني قوة العوامل التي كانت تجذب الشعر نحو القديم آنذاك . ولعل اهم هذه العوامل اتصال الشعر اتصالاً وثيقاً بالدراسات الدينية واللغوية في ذلك الوقت وتكوينه جزءاً هاماً من تراث العرب القديم الذي لايزال بالنسبة اليهم مستلهم وحيهم الروحي ومصدر وحدتهم وقوتهم كفاتحين

---

١) الموازنة ص ٢٤

٢) انظر بعض شعره في طبقات ابن المعتز ص ١٤٧ ، والشعر والشعراء ص ٧٦٤ .

٣) انظر قصيدته في مدح الرشيد التي يستهلها بقوله :

أعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا

فسمعاً امير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جشّمتني مركباً وعراً

٤) انظر النقد المنهجي عند العرب ص ٥١ - ٥٢ .

وحكام[1] .

وعلى هذا فقد سار التجديد في نطاق ضيق تناول التفاصيل دون ان يمس كنه الشعر وابوابه الرئيسية ، فلم تبتدع مسرحية ، ولم تكتب ملحمة ، وانما بقي الشعر غنائياً سلم فيه بناء القصيدة الى حد كبير ونظم اصحابه في معانٍ معظمها قديم وضع في صور من الصياغة جديدة وبعضها جديد وليد الحياة الجديدة وروافد الفكر الحديث .

والواقع الملاحظ ان الخصومة التي دارت بين المحافظين والمجددين، والتي اخذت تستحر حتى وصلت أوجها بعد ظهور ابي تمام والبحتري فيما بعد ، لم تدر حول ما استحدث الاخيرون من معانٍ جديدة بقدر ما دارت حول تجديدهم لمعاني القدماء ووضعها في صور شعرية مبدعة فيها تعمّل واغراب وميل للتجريد[2] ، ومن ثم خروج على عمود الشعر .

ولسنا نعرف الواضع الحقيقي لهذا العمود ، وكل ما نعرفه انه يمثل مذهب القدماء في النظم. ولعل اول من اشار اليه باسمه -على ما نعلم- علي بن عبدالعزيز الجرجاني (+٣٦٦أو ٣٩٢) والحسن بن بشر الآمدي (+ ٣٧٠)[3] . غير ان الفضل في التوسع فيه يعود الى المرزوقي (+٤٢١)[4] الذي يعتبره متضمناً سبعة ابواب هي : « شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف... والمقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتآمها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائها للقافية حتى

---

١) ولذلك قاوم الرواة والعلماء حركة التجديد ورأوا فيها تهديداً لكيانهم الخاص ، على الاقل . وكان لمقاومتهم اهمية خاصة اذ كان منهم مؤدبو الخلفاء ومستشاروهم في الحكم على جودة ما ينشد امامهم من شعر . كما قاومها الخلفاء انفسهم ، رغم اعجابهم بالشعر الجديد ، ولا سيما بعد ان اشتدت الحركة الشعوبية واصبح العرب يرون في تمسكهم بتراثهم ما قد يعينهم على مناوأة هذه الحركة .

٢) انظر الصولي ، اخبار ابي تمام ص١٧

٣) وكان قد أشار الى بعض مضمونه دون ذكر اسمه محمد بن طباطبا العلوي (+ ٣٢٢) في كتابه عيار الشعر .
أنظر الوساطة ص٣٣ والموازنة ص٢٠ ، وص١٣٢ من هذا الكتاب .

٤) انظر مقدمته لديوان الحماسة (جمع ابي تمام)
يبدو ان المرزوقي في شرحه المسهب لعمود الشعر قد انتفع بكتاب « عيار الشعر » لابن طباطبا (راجع مقدمة عيار الشعر ص ط ، والكتاب ذاته ص ١٥ ، ١٧)

لا منافرة بينهما» .[1]

ويبدو ان هذا العمود يمثّل القواعد التي اعتبرها العرب القدامى مقاييس للشعر الصحيح والتي اعتبر المحافظون اي خروج عليها خروجاً على اساليب العرب المألوفة في النظم. ونحن ان انعمنا النظر في هذه القواعد التي تشمل ، كما يبدو ، المعنى ، واللفظ ، والصور الفنية ، وطريقة النظم ، والعلائق بين هذه الاشياء ، ثم انعمنا النظر كذلك في سبل التجديد التي طرقها الشعراء المولدون في شعرهم ، استطعنا ان نلمس دواعي الخصومة الحقيقية بين القدماء والمحدثين ، على اختلاف هذه الدواعي قوة وضعفاً. وقد انعكست هذه الدواعي على التسميات المختلفة التي اطلقها النقاد

---

١) ويمضي المرزوقي في تفصيل ذلك فيقول : « فعيار المعنى ان يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فاذا انعطف عليه جَنَبَتا القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه ، خرج وافيـــاً ، والا انتقص بمقدار شوبه ووحشته . وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال ، فما سلم مما يهجّنه عند العرض عليها ، فهو المختار المستقيم. وهذا في مفرداته وجملته مراعى ، لان اللفظة تستكرم بانفرادها ، فاذا ضامها ما لا يوافقها ، عادت الجملة هجيناً. وعيار الاصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز ، فما وجداه صادقاً في العلوق ، ممازجاً في اللصوق ، يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه ، فذاك سيماء الاصابة فيه ... وعيار المقاربة في التشبيه ، الفطنة وحسن التقدير ، فاصدقه ما لا ينتقض عند العكس ، واحسنه ما اوقع بـين شيئين اشتراكهما في الصفات اكثر من انفرادهما ، ليبين وجه التشبيه بلا كلفة ، الا ان يكون المطلوب من التشبيه اشهر صفات المشبه به واملكها له ، لانه حينئذ يـدل على نفسه ، ويحميه من الغموض والالتباس ... وعيار التحام اجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن ، الطبع واللسان. فما لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقوده ، ولم يتحبّس اللسان في فصوله ووصوله ، بل استمرا فيه واستسهلاه ، بلا ملال ولا كلال ، فذاك يوشك ان يكون القصيدة منـه كالبيت ، والبيت كالكلمة تسالماً لاجزائه وتقارناً ، والا يكون كما قيل فيه :

وشعرٍ كبعر الكبش فرّق بينه لسانُ دعيّ في القريض دخيل ...

وعيار الاستعارة : الذهن والفطنة . وملاك الامر تقريب التشبيه في الاصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ، ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لانه المنقول عما كان له في الوضع الى المستعار له . وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية ، طول الدربة ودوام المدارسة ، فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض ، لا جفاء في خلالها ولا نبوّ ، ولا زيادة فيها ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني : قد جعل الاخص للاخص ، والاخس للاخس ، فهو البريء من العيب . واما القافية فيجب ان تكون كالموعود به المنتظر ، يتشوفها المعنى بحقه ، واللفظ بقسطه ، والا كانت قلقة في مقرها ، مجتلبة لمستغنٍ عنها . فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها ، فهو عندهم المفلق المعظم والمحسن المقدم . ومن لم يجمعها كلها ، فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان ، وهذا اجماع مأخوذ به ، ومتبع نهجه حتى الآن .»

على هذه الخصومة ، فمن نظر منهم اليها نظرة عامة فهي عنده خصومة على عمود الشعر، ومن نظر منهم اليها نظرة خاصة تتجلى في ابرز مظاهرها فهي عنده خصومة حول اللفظ والمعنى، او الصنعة والطبع، او البديع الذي سنتحدث عنه فيما بعد.



٣. موقفه من هذه الحركة

وجد مسلم اذن في عهد اتخذت فيه حركة الشعر شكل صراع بين قديمه ومحدثه ، وكان من الطبيعي ان يكون موقفه من هذا الصراع منوطاً ، الى حد كبير ، بالاثر الذي تركته فيه ثقـــافته الشعرية القديمة من جهة ، والتأثير الذي فرضته عليه الحياة الجديدة من جهة اخرى .

والظاهر انه احب الحياة الجديدة ، واعانته هبات الملوك والاعلام على ان يغرف منها بقدر . ثم شاء ان يتمثلها في شعره ، غير ان ثقافته القديمة ، حالت بينه وبين ان يتمثلهـــا تمثلاً تاماً ولذا فقد سار في ركاب المجددين المعتدلين من الشعراء امثـــال ابن هرمة والعتّابي وبشار ، واتبع طريقتهم في التجديد وهو استخدام البديع في الصيـــاغة ، ولكنه اسرف في ذلك اسرافاً يمكن ان يعتبر معه مؤسساً لمدرسة البديع في الشعر العربي .

وتقتضي طبيعة البحث ان نعرض لنشوء هـــذه المدرسة والاسس التي تقوم عليها لنتمكن من فهم شعر مسلم على وجهه الصحيح .

مدرسة البديـع:

اكثر ما يتركز عليه اصحاب هذه المدرسة تجديد الصياغة الشعرية واتخاذ ذلك وسيلة لتجديد المعاني وابتكارها. قال الجرجاني : [١] « وكانت العرب انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصـــاب ، وشبّه فقارب ، وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر امثاله وشوارد ابياته. ، ولم تكن تعبـــأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ، ونظام القريض . وقد كان يقع ذلك في خلال قصائدها، ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد ، فلما افضى الشعر الى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الابيات من الغرابة والحسن ، وتميزها عن اخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع، فمن محسن ومسيء ، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط».

ولم تكن لفظة البديع اول عهدها تعني ما استقر عليه معناها فيما بعد على ما

١) الوساطة ص ٣٣ .

نعرفه في كتب البلاغة ، وانما كانت تعني الجديد المُحدَث المُبدَع . ومن معاني البديع عند ابن منظور « الجديد ، والمُحدَث العجيب ».[1] والظاهر انه كان يقصد به الى نوع من التجديد في الاداء الشعري يقوم على الاستفـادة من التشبيه والاستعارة في تكوين الصورة الشعرية وتجميلهـا ، كما يقوم على استخدام بعض المحسنات اللفظية كالجناس والطباق وغيرهما. وهذا التجديد في الاداء كان يتناول معاني جديدة كما يتناول معاني قديمة يأخذها « بالقلب ، او التغيير ، او التوجيه ، او التحسين » [2] .

ويبدو ان اول من جمع فنون البديع فساعد على تحديد هذا المذهب هو ابن المعتز في « كتاب البديع » الذي الفه سنة اربع وسبعين ومائتين كما يقول [3] . وكان غرضه من هذا « تعريف الناس ان المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من ابواب البديع ».[4] وهو يحصر البديع في خمسة ابواب هي : الاستعـارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد اعجاز الكلام على مـا تقدمها ، و « مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي » [5] .

ويبدو كذلك ان الناس لم يكونوا متفقين تماماً على تحديد البديع في زمنه ، اذ كان « بعضهم يقول البديع باب او بابان من هذه الابواب الخمسة ، وبعضهم يقول بل هو اكثر منها ... »[6] ، ولذا نراه يردف بأبوابه الخمسة اثني عشر فناً يدعوها « محاسن الكلام والشعر » لئلا يتهم بالتقصير والجهل ، ويترك الخيـار لمن يشاء اضافة ما يريد منها الى الابواب الخمسة التي ذكرها . اما هذه الفنون فهي : (١) الالتفـات (٢) الاعتراض (٣) الرجوع (٤) حسن الخروج من معنى الى معنى (٥) تأكيد مدح بما يشبه الذم (٦) تجاهل العارف (٧) هزل يراد به الجد (٨) حسن التضمين (٩) التعريض والكناية (١٠) الافراط في الصفة (١١) حسن التشبيه (١٢) حسن الابتداءات .

---

١) لسان العرب ، مادة بدع .

٢) البهبيتي ص ٣٦٤ .

٣) ابن المعتز ، كتاب البديع ص ٥٨ .

٤) نفسه ص ٣ .

٥) نفسه ص ٥٣ . (والمذهب الكلامي هو ان يورد للمطلوب حجة قاطعة مسلمة عند المخاطب)

٦) نفسه ص ٥٨ .

ومهما يكن من امر اختلاف الناس في تحديد ضروب البديع في زمن ابن المعتز فان المرء ليتساءل عن مصدر هذا الفن ، اهو عربي خالص ام انه تأثر بالفنون البلاغية الاجنبية التي قد يكون العرب – ومنهم ابن المعتز – قد عرفوها او سمعوا بها في القرن الثاني والثالث الهجريين ؟ والواقع اننا لا نتوقع ان نجد جواباً لهذا التساؤل في الاصول العربية التي عاصرت تبلور هذا الفن ، وذلك لسببين : اولهما اتصال هذا الفن اتصالاً قوياً بالدراسات المتعلقة باعجاز القرآن في ذلك الوقت ، وثانيهما حرص هذه الاصول على ان تنسب للعرب كل ما يمكن ان يرفع من شأنهم تجاه الحركة الشعوبية الناشطة آنذاك . وربما كان في تشدد هذه الاصول في نسبة هذا الفن كله للعرب ما يقوي فينا التساؤل عن مدى صحة هذه النسبة. فالجاحظ يقول في البيان والتبيين : « والبديع مقصور على العرب ، ومن اجله فاقت لغتهم كل لغة ، واربت على كل لسان . »[1] وابن المعتز اكثر ما يعنيه في كتاب البديع ارجاع البديع الى «القرآن واللغة واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم واشعار المتقدمين ليعلم ان بشاراً ومسلماً وابانواس ومن تقيّلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم. »[2]

ويختلف النقاد المحدثون في الحكم في هذه القضية ، فبينما يعتقد كراتشكوفسكي ان بديع العرب هو من فعل العرب انفسهم[3] ، يرى زكي مبارك انه جاءهم عن طريق الفرس[4] ، ويرى شوقي ضيف ان الفرس أعانوا فيه دون ان يخترعوه ، وانه « مذهب عباسي تعاونت فيه طوائف الشعراء من العرب مع طوائف الشعراء من الفرس » .[5] ويعتقد ابراهيم سلامة انه عربي في الغالب وان كانت بعض فنونه كالمذهب الكلامي ، قد لا تخلو من اثر يوناني[6] . ويرجح محمد مندور انه متأثر في اهم ابوابه بالبلاغة اليونانية ، ويستدل على ذلك بما يرى من تشابه في تعريف ابن المعتز وارسطو للاستعارة والمطابقة والجناس ونسق بحثها لها[7] .

---

١) البيان والتبيين ج٤ ص ٥٥ .
٢) كتاب البديع ص ١ .
٣) المقدمة الانكليزية لكتاب البديع .
٤) النثر الفني ج ١ ص ٤٤ .
٥) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١١٤ .
٦) انظر بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ١١٠ – ١٣٢ .
٧) النقد المنهجي عند العرب ص ٥٦ – ٦٢ .

وليس من شك في ان البديع وجدت جذوره الاولى في الادب الجاهلي ، غير انه كان قليلاً فيه ولم يقصد اليه قصداً في الغالب ، «وانما كان الشاعر يقول منه البيت والبيتين في القصيدة »،[1] بل « وربما قرئت من شعر احدهم قصائد من غير ان يوجد فيها بيت بديع »[2] . غير ان هذه الحقيقة لا تنفي وقوعه ، ولاسيما حين اصبح موضوعاً للدراسة زمن ابن المعتز ، تحت مؤثرات اجنبية ساعدت على تشعبه وتحديد بعض الوانه . ولعل الاكثار من استخدامه في العصر العباسي مظهر من مظاهر التأنق والميل الى الزخرف الذي لازم الحياة العربية الرافهة في هذا العصر .

ومهما يكن الامر فاننا نجد البديع قليلاً في ادب الجاهلية وفي القرآن الكريم ، ونجده بصورة ملحوظة في بعض قصائد الوليد بن يزيد والراعي من الامويين ومطيع بن اياس والحسين بن الضحّاك من المخضرمين ، ثم نجده يتزايد في شعر الشعراء المحدثين في العصر العباسي حتى اصبح ينسب اليهم . قال ابن رشيق[3] : و«قالوا : اول من فتق البديع من المحدثين بشار وابن هرمة وابن ميّادة ، ساقة العرب ، وآخر على يستشهد بشعره . ثم تبعهما كلثوم بن عمرو العتّابي ، ومنصور النمري ، ومسلم بن الوليد ، وابو نواس . واتبع هؤلاء حبيب الطائي ، والوليد البحتري ، وعبدالله بن المعتز ». وقال الجاحظ[4] : «وكان العتّابي يحتذي حذو بشار في البديع . ولم يكن في المولدين اصوب بديعاً من بشار وابن هرمة» .

والذي يهمنا من جميع هؤلاء بشار لأن به بدأت الحركة على شكل واضح ، ومسلم لأن به تحولت الى مدرسة .

اما بشار ففارسي الاصل شعوبي ، ولذا لم يكن من العسير عليه ان يصدر عن هذه الحياة الجديدة بروح جديدة تعاف التقيد بالتقاليد العربية القديمة في الشعر ، ويتمثل في نتاجها بداية عصر جديد في الشعر العربي . غير انه ليس من الطبيعي ان يطفر بشار هذه الطفرة وهو منقطع عن سلسلة الشعر العربي ، ولذا فلا بد ان يكون قد تأثر ببعض من سبقه من الشعراء في حياته الاولى على الاقل حين كان يتلمس مثله الفنية قبل ان تستقر على حال . ولكنه على الرغم من هذا تحسس الحياة

١) كتاب البديع ص ١
٢) نفسه
٣) العمدة ج ١ ص ٨٥
٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٥١

الجديدة الى حد كبير وصوّر المعاني التي تفتقت عنها في شعره ، وطلب البديع في صياغة هذه المعاني . غير ان تحسس الحياة تحسساً تاماً يتطلب عادة سلامة جميع الحواس ، وبشار « ولد اعمى ، فما نظر الى الدنيا قطّ » كما يقول صاحب الاغاني [1] ، ولذا فان مركب النقص عنده من هذه الناحية حدا به الى الاكثار من التشبيه في شعره . ولكن التشبيه الصحيح عماده البصر ودقة ادراك العلائق بين الاشياء ، وهذا ما يفتقر اليه بشار ، ولذا كانت معظم تشابيهه من نوع ايهامي بعدت فيه الصلة بين المشبه والمشبه به واختلطت فيه معطيات الحواس المختلفة ، فهو يشبه مسموعاً بمرئي ، ومرئياً بمذوق ، وهكذا [2] . وما يقال عن تشابيه بشار يمكن ان يقال عن استعاراته ، فالاستعارة مبنية على التشبه كما هو معلوم .

واما مسلم فقد حذا حذو بشار ومن لف لفه في استعمال البديع ، ولكنه توسع على ما يظهر في فهم هذا الفن وتفنن في انواعه فلم يعد بديعه يكاد يقتصر على الاستعارة والتشبيه شأنهم [3] ، بل اخذ يشمل ضروباً اخرى كثيرة، ولذا اعتبر « اول من تكلف البديع من المولدين واخذ نفسه بالصنعة وكثر منها». [4] وسنأتي على بحث بديعة حين نتحدث عن خصائصه الشعرية .

---

١) الاغاني ج ٣ ص ٢٢ .

٢) انظر تاريخ الشعر العربي ص ٣٥٥-٥٧

٣) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١١٧ .

٤) العمدة ج ١ ص ١١٠ .

٤. خصائصه الشعرية

يختص شعر مسلم بخصائص معينة تبدو بشكل بارز في ما وصل الينا من قصائده . ومن الواضح اننا لا نستطيع ان ندعي ان كلاً من هذه الخصائص يقتصر على مسلم دون غيره ، كما ليس من الطبيعي ان ينفرد شاعر بخاصة معينة دون سواها . غير ان ما نستطيع ان نقوله هو ان هذه الخصائص ، مجموعةً ، يمكن ان تكوّن الهيكل العام لشخصية مسلم الشعرية التي سنحاول ابرازها فيما بعد.

ولعل من الخير ان نضيف هنا انه على الرغم من ان قسماً من هذه الخصائص على الاقل ، قد يصلح لأن يكون « قدراً مشتركاً » بين مسلم وفئة من شعراء عصره ، فانها موجودة في شعره على كل حال . واهم هذه الخصائص ما يلي :

أ – متانة التركيب

ان شعر مسلم متين التركيب في مجمله فصاحبه يحكك شعره ولا يخرجه للناس الا بعد ان تستقيم قناته وتتماسك عباراته . ولئن كنا نجد عنده قصيدتين[1] يخرج فيهما عن منهجه المألوف في النظم ، فانما هما قصيدتان فريدتان في الديوان على اي حال ولا بد ان تأثر صاحبهما في نظمهما بالغناء الذي شاع في عصره وندر ان سلم من تأثيره شعر شاعر معاصر.[2] وحتى في هاتين القصيدتين لا نجد مسلماً يحلل نفسه من متانة التركيب الى الحد الذي يصل اليه ابوالعتاهية مثلاً في مثل قوله :

هَمَّ القاضي بيتٌ يُطرِبْ ... قال القاضي لمّا طولبْ
ما في الدنيا الا مذنبْ ... هذا عذرُ القاضي واقلبْ

وقوله :

ان الدنيا قد غرّتنا ... واستعلتنا واستلهتنا
لسنا ندري ما فرّطنا ... فيها الا ما قدّمنا

ولا الى الحد الذي يصل اليه بشار في مثل قوله :

واذا ادنيت مني بصلاً ... غلبَ المسكُ على ريحِ البصلْ
ان سلمى خُلِقتْ من قصبٍ ... قصبِ السكّرِ لا عظمِ الجملْ

---

١) السادسة والعشرون والسابعة والثلاثون في الديوان ، ومطلع الاولى :
يا ايها المعمود ... قد شفّك الصدد
ومطلع الثانية :
نبا به الوساد ... وامتنع الرقاد

٢) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٧٢ .

ولا اخالني بحاجة الى ايراد الشواهد الكثيرة على متانة شعر مسلم فديوانه شاهد بين ايدينا ، وسأكتفي بايراد مقطوعتين له احداهما من قصيدة ضاع اسم الممدوح فيها[1]، والاخرى من قصيدة في مدح الفضل بن جعفر[2]: قال في الاولى.

لو ساعفَ الدهرُ لارتدّتْ غضارتُهُ   ولاستردَّ مودّاتِ المَها الخُرُدِ
ماذا تراءى له نأيُ الخليطِ بــه   غداةَ يحمَدُ لمّا او يذمُّ قدَدَ
للهِ درُّ اللواتي عِفنَ مكرَعَــهُ   حتى صدَرنَ بهِ ظمآنَ لم يَرِدِ
خافَ العيونَ وضمّتهُ عزيمتُـهُ   الى امتناعٍ على جَولانَ مُطَّرِدِ
ورُحنَ والعينُ للتوديعِ واكفةٌ   انسانُها من مَسيلِ الدمعِ في صُعُدِ
باللهِ أُخلِفُ ما أَتلفتُ مِن نَشَبٍ   وعادةُ الجودِ في ابياتيَ الشُّرُدِ
تَهوي باشعثَ اعطاهُ المُنى املٌ   وعقدةٌ من رجاءٍ ضامنِ العُقَدِ
فاستودعتهُ بطونَ البيدِ همّتُهُ   واودعتهُ السُّرى في الوَعثِ والجَدَدِ
حتى اذا قبضَ الإدلاجُ بسطتَهــا   وَوُقِّفَتْ من مُنَى السّاري على أَمَدِ
تمخّضتْ عنــه تمًّا بعدَ محمَلِهِ   شهرينِ بيداءُ لم تُضرَبْ ولم تَلِدِ
ألقتهُ كالنصــلِ معطوفاً على هممٍ   يَعمَدنَ مُنتجعاتٍ خيرَ مُعتمَدِ
تخطّأتْ نومَهُ عنــهُ وشايعَهُ   دأبُ الجديدينِ والعيديّةِ الوُخُدِ[3]
حاشى لطالبِ عُرفٍ ان يَخيبَ على   ندى يديكَ ولو حاشاكَ لم يَجِدِ
ظنونُ راجي الذي يرجوكَ واثقةٌ   ألّا يُخَيَّبَ فيها آخرَ الأبدِ
تأتي عطاياهُ شتّى غيرَ واحدةٍ   مُؤَمِّليهِ وان كانوا على بُعُدِ
كحملةِ السيلِ تأتي بعدَ عاشرةٍ   له قَراقيرُ بالآذيِّ والزَّبَدِ
لا يَمنعُ العُرفَ من إلحاحِ طالبِهِ   ولا يُقرِّبُ منهُ رِفقُ مُتَّئِدِ
يَبَرُّ بالجُودِ يحميهِ ويكلؤُهُ   كأنهُ والدٌ يحنو على ولدِ
أغنى الصديقَ فعاشوا منهُ في رَغَدٍ   واستلَّ جودُ يديهِ غِلَّ ذي الحَسَدِ
مُعَقِّرُ الكُومِ للاضيافِ ليس لها   الّا المَكارمَ مِن عَقلٍ ولا قَوَدِ
تأتي البدورُ فتُفنيهــا صنائعُهُ   وما يُدَنَّسُ فيها كفٌّ مُنتَقِدِ
لا يَعرِفُ المالَ الا عنــدَ سائلِهِ   او يومَ يجمعُهُ للنّهبِ والبَدَدِ[4]

---

١) القصيدة الثامنة في الديوان

٢) هكذا في الديوان . وقد جاء في كتاب الاغاني انها قيلت في الفضل بن يحيى (مخطوطة دار الكتب للاغاني ج ١٧ ص ٥٤ ظ ، ٥٥ و—عن الدهان ص ٣٨١ – ٨٢)

٣) العيدية : النوق المنسوبة الى «العيد» وهي قبيلة في مَهرة .

٤) البدد : الحاجة .

وقال في الثانية :

وخضراءَ يدعو شجوَ مُكّيِّها الصَّدى ... اذا نسفتْها الريحُ ريحانُها شُعْلُ (١)

سقاها الثرى ماءَ النَّـدى وأَسَرَّها ... مِن القيظ حتى امرعَ السارحَ الرَّبْلُ (٢)

اذا درجتْ فيها الجَنوبُ تعانقتْ ... بها سامقاتُ الزَّهرِ واصطحبَ البَقلُ

كساها الخلا الوسميُّ من كلِّ جانبٍ ... طرائقَ حتى سُودُ حَوزاتها (٣) شُهْلُ

تَحلَّبَ منها مُستَسِرٌّ من الندى ... بريحِ الصَّبا والروضُ أعينُهُ خُضْلُ

أنختُ بها والشمسُ تنعِقُ بالضحى ... وما صاحبي الا المُدامةُ والجَحْلُ (٤)

اذا شئتُ حيَّاني الـثرى بنباتِهِ ... وطالعني في روضِهِ العُصُمُ العُقْلُ

تراخَينَ دوني ثم أوجسنَ وطأةً ... فأَتْلعْنَ كحلاً مُستراباً لها الكَحْلُ (٥)

وغبراءَ لا يَسقي على الخِمْسِ رَكبُها ... قطعتُ وريقُ الشمسِ يغلي به السَّجلُ (٦)

تجاوزتُها والآلُ مستنقِعٌ بها ... كنَشْرِ القَباطيِّ انتضى ماءَها الغَسلُ (٧)

ومُلتَجِبٍ بالنأي قلبُ دليلِها ... يَبيتُ بها عن بيته الجأبُ والصَّعلُ (٨)

لقيتُ الدُّجى فيها وللأصل قلعةٌ ... ومحتَنِكُ الإمساءِ مُقتَضَبٌ طِفلُ (٩)

ولمَّا تعالى الليلُ شَقّتْ بنا السُّرى ... جلابيبَهُ حتى رأى دُبرَهُ القُبلُ

اذا شئتُ خلفتُ الصَّبا او صَحِبتُها ... بِوَجناءَ موصولٍ بغاربِها الرَّحلُ

اتتكَ المطايا تهتَدي بمطيةٍ ... عليها فتىً كالنَّصلِ يؤنِسُهُ النصلُ

ورَدنَ خلافَ الليلِ والليلُ مُصدِرٌ ... اواخرَهُ والفجرُ عُريانُ او فُضُلُ (١٠)

فلما نَحَينَ النُّورَ خرَّينَ تحتَهُ ... على املٍ يُشجى به اليأسُ والمَطلُ (١١)

وردنَ رواقَ الفضلِ فضلِ بنِ جعفرٍ ... فحطَّ الثناءَ الجزلَ نائلُهُ الجزلُ

---

١) ريحانها شعل: اي مشتعلة الرائحة.
٢) الربل : نوع من النبت .
٣) الحوزة : الناحية والطبيعة ، وقيل العنب .
٤) الجحل : الزق .
٥) أتلعن كحلا: رفعن أعيناً كحلاً.
٦) الخمس : من أظماء الابل، وهو ان ترد الابل الماء في اليوم الخامس - السجل: الدلو العظيمة.
٧) القباطي : جمع قبطية وهي ثياب من كتان كان ينسجها اقباط مصر .
٨) ملتجب : متصوت : الجأب : الغليظ - الصّعل : الصغير الرأس .
٩) مقتضب : منقطع .
١٠) مصدر : راجع - فضل : فيه بقية من الظلمة .
١١) نحين : قصدن - خرّين : بركن .

فتىً ترتعي الامالُ مُزنةَ جُودِهِ اذا كان مرعاهــا الامانيَّ والبُطلُ
تُساقِطُ يُمناهُ نــدىً وشِمَالُـهُ ردىً وعيونُ القولِ منطِقُهُ الفَصلُ
ألحَّ على الايامِ يَقري خُطوبَهـا على مَنهَجٍ الفى اباهُ بــهِ قَبْلُ
عَجولٌ الى ما يُودِعُ الحمدَ مالَـهُ يَعُدُّ النَّدى غُنماً اذا اغتُنِمَ البخـلُ

يبدو في هاتين القصيدتين ، كما يبدو في جل قصائد مسلم الاخرى ، متانة في تركيب العبارة وقوة في تماسك اجزائها بصورة عامة ، فلا نكاد نرى فيها ضعفاً في التأليف او خللاً في مواقـــع الكلم او اضطراباً في « نظم الكلام » الا في القليل النادر .

ب – الجمع بين القديم والجديد

كانت الحياتان – القديمة والجديدة – تتجاوران في الكوفة وبغداد في القرن الثاني الهجري ، وكان لكل منهما اثر في شعراء العصر ، غير ان مقدار هذا الاثر كان يقرره مدى اتصال الشاعر بأي منهما . وقد خبر مسلم الحياتين على ما يبدو ، وامتزجت فيه ثقافتاهما . وقد عزز القديم عنده ما روى للشعراء القدامى وهو يتلمس طريقه الى الشعر ، كما عزز الجديد اتصاله بكثير من الشعراء الموالي الذين عاصروه . وهكذا فقد سار القديم والجديد متوازيين في شعره –بصورة عامة– وان اختلف اثر كل منهما قوة وضعفاً بالنسبة لصلة الموضوع الذي نظم فيه بالحياة القديمة او الجديدة .

ولنا ان نتساءل عن جديد مسلم أهو في الالفاظ ، ام في المعـــاني ، ام في الموضوعات ، ام في شكل القصيدة ؟ يقول الدكتور ضيف في هذا الصدد اننـا لا نجد عند مسلم « تجديداً في المعاني ولا ابتكاراً في الموضوعات ، فطرافته كلها تقف عند التصنيع وما يأتي به من زخرف انيق ووشي كثير »[1]. ورغم تقديرنا لهذا القول فاننا نرى فيه شيئاً من التعميم والمبالغة ، فليس من سنّة الكون ان لا يجدد المرء في المعاني والموضوعات ولو في نطاق ضيق ، فان في عـدم التجديد نقضاً لمبدأ الذاتية (Subjectivism) . ولعل ايراد الدكتور لهذا القول في صـدد بحثه عن مدرسة التصنيع حداه على التشديد على هذه الناحية عند مسلم واستبعاد غيرها من نواحي التجديد الاخرى . والواقع اننا لسنا ميالين الى المبالغة في امر

١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١١٨ .

هذه النواحي ، غير انها وجدت على كل حال ، ومن الغبن للحقيقة ان نغض النظر عنها في سبيل تمييز مدرسة خاصة وابراز سماتها المميزة كما فعل الدكتور ضيف ، فنحن هنا نعالج مخلوقاً حياً تتطور فيه الحياة فيتطور وتتطور عنده المعاني والموضوعات ، مهما يكن مدى هذا التطور . ودليلاً على ما اقول ، لقد كان معظم الشعراء القدامى يستهلون قصائد المديح عادة بالغزل فجاء مسلم واتّبع هذه السنّة في معظم الاحيان . ولذا يبدو – على الظاهر – ان لا جديد عنده في هذا الباب . والواقع انه حاول التجديد فيه حين سعى الى التوفيق بين هذا الغزل التقليدي وظروف حياته الخاصة في بعض مِدَحِهِ التي نظمها في كهولته . ونستطيع ان نتحقق من ذلك حين ننعم النظر في مدائحه التي يذكر فيها الكهولة والتي لا بد ان يكون قد نظمها بعد ان اصبح الغزل لا يتلاءم وسنّه . ولنأخذ بالذات القصيدة الرابعة عشرة من الديوان التي يمدح فيها الرشيد والتي يستهلها بقوله:

قد اَطّلعتَ على سرّي وإعلاني فاذهبْ لشأنِكَ ليس الجهلُ مِن شاني

إنّ التي كنتُ أنحو قصدَ شِرَّتِها اعطتْ رضىً واطاعتْ بعدَ عصيانِ

حَسبي بما ادّتِ الايامُ تجربةً سعى عليَّ بكأسَيها الجديدانِ

دلّتْ على عيبها الدنيا وصدّقَها ما استرجَعَ الدهرُ مما كان اعطاني

أما تَرَيني أُزَجّي العِيسَ مُنتَظِراً وعدَ المُنى أرتعي في غيرِ اوطاني

فقد اروحُ نديمَ الدهرِ يَمزُجُ لي كأسَ الهوى ويُحيِّيني برَيحانِ

سائلْ جديدَ الهوى هل كنتُ أُخلِقُهُ اذ للصِّبا مهجةٌ تَمشي بجُثماني

ايامَ للعذلِ إكثارٌ ومَعصِيَةٌ والرّاحُ تُسرعُ في عقلي وأحزاني

الا ترى أن في هذا المطلع خروجاً على مألوف الشعراء القدامى في الغزل ؟ لقد وجد الشاعر ان التقاليد الشعرية تقتضي منه الاستهلاك بالغزل ، ولكنه وجد من ناحية اخرى ان التغزل قد لا يتلاءم والظرف الذي كان فيه ، ولذا فقد لجأ الى بدعة جديدة حاول ان يوائم فيها بين ذاته وبين تقاليد الشعر المعروفة لعهده : فمن حيث ذاته طلب من رفيقه ان لا يجبره على التغزل بعد ان ترك الجهل وغدت نفسه التي كان يقصد الى هواها في صباه تائبة طيّعة . ومن حيث تقاليد الشعر اخذ يذكر حبه القديم حين كان دم الصبا يفعم عروقه ويثير في قلبه لواعج الحب . ولعمري ان في هذه البدعة محاولة للتقريب بين الشعر والذات وخطوة في سبيل التجديد في هذا الميدان .

ومهما يكن الامر ، فاننا نلاحظ من الديوان ان تجديد مسلم كان دائماً يسير ضمن اطار القديم ، فهو في الواقع لم يجدد الشعر ولكن جدد فيه . وبياناً لذلك اورد المثل الآتي :

كان الشعراء القدامى يستهلون مطولاتهم في المديح بالغزل في الغالب ثم ينتقلون من الغزل الى وصف الناقة التي سافروا عليها للممدوح وذكر المشقات التي لاقوها في سفرهم اليه . وبعد ذلك يخلصون الى المديح . وشاء مسلم ان يجدد في احدى قصائده فماذا فعل ؟ انه لم يستغن عن فكرة السفر الى الممدوح وانما استبدل اداة السفر بحيث اصبحت اكثر ملاءمة لحياته الجديدة فوصف السفينة عوضاً عن الناقة . واليك هذه القصيدة .

أديري عليَّ الرّاحَ ساقيةَ الخمرِ   ولا تسأليني واسألي الكأسَ عن امري
كأنكِ بي قد أظهرَتْ مُضمرَ الحشا   لكِ الكأسُ حتى اطلعتْكِ على سرّي
وقد كنتُ أقلى الراحَ ان يستفزّني   فتَنطِقَ كأسٌ عن لساني ولا ادري
ولكنني اعطيتُ مِقودِيَ الصِّبا   فقادَ بناتِ اللهوِ مخلوعةَ العُذرِ
اذا شئتُ غاداني صَبوحٌ من الهوى   وان شئتُ ماساني غَبوقٌ من الخمرِ
ذهبتُ ولم أُحْدِدْ بِعَينيَ نَظرةً   وأيقنتُ انَّ العينَ هاتكةٌ سِتري
جَعلنا علاماتِ المودَّةِ بيننا   مصايدَ لحظٍ هُنَّ أخفى من السِّحرِ
فأعرفُ منها الوصلَ في لينِ طرفِها   واعرفُ منها الهجرَ بالنظرِ الشّزْرِ
وفي كلِّ يومٍ خَشيةٌ من صدودِها   أبيتُ على ذنبٍ واغدو على عُذرِ
ومُلتَطِمِ الامواجِ يرمي عُبابُهُ   بِجرْجرَةِ الآذِيِّ للعِبرِ فالعِبرِ (١)
مُطعمَّةٌ حيتانُهُ ما يُغبُّها   مآكلُ زادٍ من غريقٍ ومن كَسْرِ
اذا اعتنَقتْ فيه الجنوبُ تكفأتْ   جواريهِ او قامتْ مع الريحِ لا تجري (٢)
كأنَّ مَدبَّ الموجِ في جنَباتِها   مَدبُّ الصَّبا بين الوِعاثِ من العُفْرِ (٣)
كشفتُ اهاويلَ الدجى عن مَهولةٍ   بجاريةٍ محمولةٍ حاملٍ بِكرِ
لطمتُ بخدَّيها الحَبابَ فاصبحتْ   مُوقَّفةَ الدّاياتِ مَرتومةَ النَّحرِ (٤)

---

١) جرجرة الآذي : صوت الموج – العبر : الحافّة .

٢) اعتنقت : اضطربت – جواريه : سفنه .

٣) الوعاث : اللينة (للرمال) – العُفْر : جمع اعفر وهو الكتيب الاحمر ، ويروى العَفْر ، وهو التراب .

٤) الحباب: زبد الموج – موقّفة الدايات : مخططة الظهر – مرتومة النحر : في نحرها بياض .

اذا أقبلتْ راعت بِقُنَّةِ قَرْهَبٍ ... وإن أدبرتْ راقتْ بقادِمَتَي نَسرِ [1]

تجافى بها النُّوتيُّ حتى كأنما ... يسيرُ من الاشفاقِ في جبلٍ وَعرِ [2]

تَخَلَّجُ عن وجهِ الحَبابِ كما انثنتْ ... مُخبَّأةٌ من كِسرِ سِترٍ الى سِترِ [3]

أطلّتْ بمجذافينِ يعتَورانِها ... وقَوَّمها كبحُ اللجامِ من الدُّبرِ

فحامتْ قليلاً ثم مرّتْ كأنها ... عُقابٌ تدلّتْ من هواءٍ على وَكرِ

أنافَ بهاديها ومدَّ زِمامَها ... شديدُ علاجِ الكفِّ مُعْتَمِلُ الظهرِ [4]

اذا ما عصتْ أرخى الجريرَ لرأسِها ... فَملّكَها عصيانَها وهي لا تَدري

كأنَّ الصَّبا تَحكي بها حينَ واجهتْ ... نسيم الصَّبا مَشْيَ العروسِ الى الخِدرِ

يَمّمْنا بها ليلَ التّمامِ لاربَعٍ ... فجاءتْ لِستٍّ قد بَقِين من الشهرِ

فما بلغتْ حتى اطّلاحِ خفيرِها ... وحتى أتت لونَ اللّحاءِ من القِشرِ [5]

وحتى علاها الموجُ في جَنَباتِها ... بأرديةٍ من نسجِ طُحلُبِهِ خُضرِ

رمتْ بالكرى اهوالُها عن عيونِهِم ... فباتتْ اهاويلُ السُّرى بِهِمُ تَسري

تَؤمُّ محلَّ الراغبينَ وحيثُ لا ... تُذادُ إذا حلت به ارحُلُ السَّفْرِ

ركبنا اليه البحرَ في مؤخراتِهِ ... فأوفتْ بنا من بَعدِ بحرٍ إلى بحرِ

ويلاحظ من هذه القصيدة ، التي ضاع قسمها الاخير على ما يظهر ، امران على الاقل :

الاول ان مسلماً استعاض عن وصف الناقة بوصف مسهب للسفينة ، والثاني انه ، رغم جدة الموضوع في هذا الوصف ، كثيراً ما يلجأ الى الصور البدوية والتشابيه الحسية التي تتصل بها في العادة لابراز معانيه . فهو حين يصف مدبّ الموج في جنبات سفينته مثلاً يشبهها بجارية تتثنى وهي تنتقل من كسر الى آخر في الخباء . ولعل ذلك يرينا قوة الرصيد القديم عند مسلم المجدّد .

ولنرَ الآن كيف يتجاور القديم والجديد عند مسلم في الفاظ قصائده ومعانيها

---

١) قنّة قرهب : رأس ثور وحشي مسنّ ، شبه به السّلوقيّة التي يقعد عليها الرائس في صدر المركب – راقت بقادمتي نسر : اي اعجبت بمقاذف كأنها جناحا نسر .

٢) تجافى : تنحّى عن الصخور الكبيرة التي في النهر

٣) تخلّج : تنحّى .

٤) الهادي : العنق – شديد علاج الكف معتمل الظهر : يقصد نوتياً ظهره عامل على جذب الحبال مع يديه .

٥) الاطّلاح : الكلل والتعب .

وموضوعاتها واوزانها ونهجها العام .

الالفاظ : تغلب على الفاظ مسلم الجزالة بصورة ، عامة وهذه الجزالة تقربها من الفاظ الشعر القديم التي تتسم بالجزالة في الغالب . اقرأ القطعة التالية التي يصف فيها الصحراء وقطعه اياها لممدوحه :

وقاطعةٍ رِجلَ السبيلِ مَخوفةٍ	كأنَّ على ارجائِها حدَّ مِبرَدِ [١]
عَزوفٍ بانفاسِ الرياحِ أبيَّةٍ	على الرَّكب تستعصي على كل جَلعَدِ [٢]
يُقَصِّرُ قابَ العينِ في فَلَوَاتِها	نواشِزُ صَفوانٍ عليها وجَلمَدِ
مُؤَزَّرَةٍ بالآلِ فيها كأنها	رجالٌ قُعودٌ في مَلاءٍ مُعَضَّدِ [٣]
اذا الحركاتُ هِجنَها وقفَ الصَّدى	على نَبزاتٍ من اهازيجِ هُدهُدِ [٤]
تناولتُ أقصاها اليكَ ودونَهُ	مَقَصٌ لأعناقِ النَّجاءِ العَمَرَّدِ [٥]
بِوَجناءَ حَرفٍ يَستجدُّ مِراحَها	مِراحُ السُّرى والكوكبِ المتوقِّدِ [٦]
اذا قدحتْ احدى الحصى قذفتْ بها	فتقذفُ في أُخرى وان لم تَعَمَّدِ
اقلَّتْ اليكَ الناجداتُ مُعَرِّساً	على أملٍ جوَّابَ بيداءَ قَرْدَدِ [٧]
تراءتْ له الاحداثُ حتى اذا اقتنى	رجاءَكَ صَدَّتْ عنه عن قُربِ مَعهدِ [٨]

تجد انك امام قطعة لا تختلف كثيراً عن الشعر القديم من حيث جزالة اللفظ وقوة اسره على الاقل .

ثم اقرأ القطعة التالية التي يتغزل فيها :

نَبا بِهِ الوِسادُ	وامتنعَ الرُّقادُ
وصادَهُ غزالٌ	يُرمَى فما يُصادُ
وَيلي أنا مريضٌ	ماليَ لا أُعادُ
أبكي على فؤادي	اذ ذهبَ الفؤادُ

---

١) قاطعةٍ رجل السبيل : اي لا يدخلها احد.
٢) عزوف بانفاس الرياح : اي مصوِّتة – الجلعد : الصلب الشديد .
٣) معضَّد : مطرز الاطراف .
٤) نبزات : أصوات
٥) النجاء : السرعة – العمرَّد : السير الشديد .
٦) وجناء : ناقة قوية – حرف : صلبة .
٧) الناجدات : النياق الماضية في يعجزُ غيرها – المعرِّس : النازل في وجه الصبح لراحة – القردد : المرتفعة .
٨) عن قرب معهد : عن قرب عهد ، اي عن مشاهدة .

ولو بكى لشيءٍ بكى لِيَ البعادُ
اصبحتُ في جهادٍ إنَّ الهوى جهادُ
يا قاتِلي وقَتلي في غيرِهِ السَّدادُ
صَرَمْتَني وَمِنّي صفا لكَ الوِدادُ

تجد انها اقرب الى روح العصر الجديد واعلق بالغناء والموسيقى اللذين شاعا فيه من القطعة الاولى .

وقد يستعمل مسلم بعض الالفاظ التي هي من نتاج الحياة الجديدة والتي كان يحـظّر على الشاعر استعمالها [1] كالترنج والتفاح . قال :

جزى الله من اهدى الترنجَ تحيةً ومَنَّ بما يهوى عليه وعَجَّلا
اتتنا هدايا منه اشبهنَ ريحَهُ واشبهَ في الحسن الغزالَ المكحَّلا
ولو أنَّه اهدى اليَّ وصالهُ لكان الى قلبي ألذَّ وأفضَلا

وقال ايضاً :

تفاحةٌ شاميةٌ من كفِّ ظبيٍ غَزِلِ
ماخُلِقَتْ مُذ خُلِقتْ تلكَ لغيرِ القُبَلِ

ولا ريب ان اهم باب جدد فيه مسلم هو باب الالفاظ من حيث الابداع في استعمالها وصياغتها في قوالب جديدة . وسأتناول هذا البحث بالتفصيل حين اتحدث عن بديعه .

المعاني : من الحق ان يقال ان جل معاني مسلم معانٍ قديمة صيغت بقوالب جديدة ، ولكن مع ذلك فقد اتاحت له المدنية ان يعبر عن معانٍ جديدة فيها تجريد لم يألفه الشعراء القدامى ، كما اتاحت له ان يتعمق الأفكار بشكل لم يؤلف قبلاً في الغالب . قال :

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذي رَهَجٍ كأنهُ أجلٌ يَسعى الى املِ

---

1) ذكر ابن قتيبه (الشعر والشعراء ص٢٢) ان خلف الاحمر قال : « قال لي شيخ من اهل الكوفة : اما عجبت من الشاعر قال :
انبت قيصوماً وجثجاثاً
فاحتُمل له ، وقلت انا :
انبت اجاصاً وتفاحاً
فلم يحتمل لي ؟

وقال :

وإنْ خَلَتْ بحديثِ النفسِ فكرتُـهُ حَيِيَ الرجاءُ وماتَ الخوفُ من وَجَلِ

. . .

صَدَّقتَ ظنّي وصَدَّقتَ الظنونَ بهِ وحطَّ جودُكَ عقدَ الرّحلِ عن جَمَلي

ففي هذه الابيات الثلاثة يحاول الشاعر ان يتحفنا ببعض الصور المجردة ، كأن يجعل الاجل يسعى الى الامل ، والفكرة تخلو بحديث النفس ، والرجاء يحيا ، والخوف يموت ، والظن يصدّق .

ولا ريب ان التهكم الذي نراه في اهاجيه هو مظهر من مظاهر هذا التعمق النسبي . فالتهكم عادة وليد عقلية مركبة لا ساذجة ، تعرف المداورة وتخبر العلاقات بين الاشياء . قال في هجاء موسى بن حازم بن خزيمة :

يا ضيفَ موسى أخي خُزَيمةَ صُمْ أو فتَحامَ إن كنتَ لم تَصُمِ
أطرَقَ لما اتيتُ مُمتَدِحاً فلم يقُلْ لا فضلاً على نعمِ
واربَدَّ من خَشيةِ السؤالِ كما يربدُّ عندَ الوفاةِ ذو ألَمِ
فَخفتُ إن ماتَ أن أُقادَ بهِ فقمتُ أبغي النَّجاةَ من أمَمِ
لو أنَّ كنزَ العبادِ في يدهِ لم يَدَعِ الإعتِلالَ بالعَدَمِ

وقال يهجو العباس بن الاحنف :

بنو حَنيفةَ لا يرضى الدَّعيُّ بهم فاترُكْ حنيفةَ واطلبْ غيرَها نَسَبا
واذهبْ الى عربٍ ترضى بنسبتِهم إني أرى لكَ خَلقاً يُشبِهُ العَرَبا

وقال في هجاء شاعر آخر لعله ابن قنبر :

أخْلَقْتَ فخرَكَ من أبيكَ فجئتني بأبٍ جديدٍ بعدَ طولِ تلَمُّسِ
أخَذَتْ عليهِ المُحكَماتُ طريقَها فغدا يُناقِضُ أعظُماً في أرْمُسِ

الموضوعات : نظم مسلم جل قصائده في موضوعات سبقه اليها الشعراء ، غير انه مع ذلك نظم مقطوعة في وصف وصيف لمحمد بن منصور.[1] وهذا الموضوع الغلماني لم يألفه الشعراء القدامى وان كان قد شاع في عهد مسلم .

كما نظم في وصف السفينة باسهاب لا اعلم ان احداً من الشعراء سبقه الى مثله.

---

١) تجدها في شرح الديوان (للدهان) ص ٣٤٤

الاوزان : ان جل قصائد مسلم التي وصلت الينا هي من البحور الطويلة التي الفها الشعراء القدامى . غير ان بين هذه قصيدتين من بحر قصير خفيف هو مجزوء الرجز . والقصيدة الاولى يقولها في الغزل ووصف الخمر ومطلعها :

يا ايها المَعمودُ   قد شَفَّكَ الصُّدودُ

والثانية يقولها في مدح محمد بن منصور ومطلعها :

نَبَا بِهِ الوِسادُ   وامتنعَ الرُّقادُ

ومن المعلوم ان شيوع استعمال الاوزان الخفيفة ومجزوءات الاوزان الطويلة امر جديد اقتضته المدنية وما لازمها من شيوع الغناء والموسيقى .

نهج القصيدة العام : على الرغم من ان مسلماً احتذى حذو من سبقه من الشعراء من حيث الهيكل العام للقصيدة بصورة عامة ، فانه حاول ان يجدد في بعض اجزاء هذا الهيكل ، فقد علمنا كيف انه رحل الى ممدوحه في بعض مدحه في سفينة عوضاً عن ناقة . ولا ريب ان هذه المحاولة التي حاول فيها الشاعر ان يقارب بين شعره وبين البيئة التي يعيش فيها تمثل ثورة على القديم تعدت مسلماً الى غيره من الشعراء مثل ابي نواس الذي امتطى نعله الى الممدوح في قصيدة يمدح فيها الفضل البرمكي.[1]

وقد اقتضى شغف مسلم بالتوسع في الصور الى ان يخرج عن وحدة البيت ، فالبيت الواحد اعجز من ان يحقق رغبته في هذا الصدد ، ولذا فاننا نجد ان الكثير من قصائده يكاد يكون مجموعات من وحدات متتابعة . ولكن تتابعها لا يسير متسلسلاً على سنن المنطق دائماً . فقد يرسم صورة ليعود الى اتمامها فيما بعد[2] ، وقد يعرض فكرة مرة ليتحدث عنها مرة اخرى بعد ابيات .[3] وقد أدى هذا الى اخلال في البناء الهندسي لبعض قصائده. وتعليل هذه الظاهرة هو ان المنطق لم يكن قد استأثر بعقول الشعراء بعد ولعله لم يستأثر بها قبل القرن

---

١) يقول في هذه القصيدة :

اليك ابا العباس من دون من مشى   عليها امتطينا الحضرمي المُلَسَّنا
قلائص لم تسقط جنيناً من الوجى   ولم تدر ما قرع الفنيق ولا الهنا
نزور عليها من حرام محرم   عليه بان يعدو بزائره الغنى

٢) لاحظ الابيات ٢١ - ٢٣ من القصيدة الرابعة عشرة في الديوان .

٣) لاحظ رجوعه الى الحديث عن الرحلة للمدوح في البيت ١٨ من قصيدة ٣٤ بعد ان حط الركاب اليه في بيت ١٧ .

الثالث والرابع ثم الخامس الهجري حيث نرى اثره واضحاً في شعر ابي تمام والمتنبي ثم ابي العلاء من بعدهما .

ج ـ الغلو في نشدان الجمال الفني عن طريق البديع

« ومسلم اول من لطف البديع وكسا المعاني حلل اللفظ الرفيع وعليه يعوّل الطائي وعلى ابي نواس »

زهر الآداب ٤/ ١٣٢

لقد اكثر مسلم من استعمال البديع كما ذكرنا سابقاً حتى جعل منه مذهباً [١]. فنحن لا نكاد نقرأ له قصيدة دون ان نجدها مفعمة بضروب البديع ، اللفظي والمعنوي ، التي قد تتزاحم في البيت الواحد احياناً . دعنا نقرأ المقطوعة التالية من قصيدة له في الغزل ووصف الخمرة لنرى ما فيها من ضروب البديع :

١) وساحرةِ العينينِ ما تُحسنُ السِّحرا   تواصِلُني سراً وتقطعُني جَهرا

٢) ابتْ حَدَقُ الواشينَ أن يصفُوَ الهوى   لنا فتعاطَينا التَّعزّيَ والصَّبرا

٣) وكُنَّا اليفَي لذةٍ شَملَ صَفوةٍ   حَليفَي صفاءٍ ما نَخافُ له غَدْرا

٤) فعُدنا كغصنَي أيكَةٍ كلما جرتْ   لها الريحُ ألقتْ منهُما الورقَ الُخضرا

٥) وزائرةٍ رُعتُ الكرى بلِقائِهــا   وعاديتُ فيها كوكبَ الصبح والفجرا

٦) أتتني على خوفِ العيونِ كأنهــا   خَذولٌ تُراعي النبتَ مُشعَرةً ذُعرا [٢]

٧) اذا ما مشتْ خافتْ نميمةَ حَلْيِها   تُواري على المشيِ الخلاخيلَ والعِطرا

٨) فبتُّ أُسِرُّ البدرَ طوراً حديثَها   وطوراً أُناجي البدرَ أحسبُها البَدرا

٩) إلى أن رأيتُ الليلَ منكشِفَ الدجى   يودِّع في ظلمائِه الأنجُمَ الزُّهرا

نلاحظ ان في البيت الاول من هذه المقطوعة يستعمل الشاعر ايهام التضاد بين السحر وعدم احسانه ويطابق بين (تواصلني) و (تقطعني) وبين (سراً) و (جهراً). وفي البيت الثاني يردف ثلاث استعارات كلاً بالاخرى ، ثم يستعمل مراعاة النظير حين يذكر التعزي والصبر . وفي الثالث يأتي بثلاث استعارات ويجانس بين أليفَي وحليفَي وصفوة وصفاء. وفي الرابع يلجأ الى التشبيه التمثيلي.

---

١) الشعر في بغداد ص ٣١٣

٢) الخذول : الظبية تخلفت عن صواحبها وانفردت عن القطيع .

وفي الخامس يستخدم التشخيص اذ يجعل من الكرى شخصاً يُراع ومن كل من كوكب الصبح والفجر مخلوقاً يُعادى . وفي السادس يأتي باستعارة وتشبيه. ثم في السابع يأتي باستعارة مكنية ويشخص حين يجعل من كل من الخلاخيل والعطر شخصاً ينم . وفي الثامن تشخيص للبدر ولذا فان الشاعر يطوي عنه حديثها احياناً احياناً ويناجيه احياناً أخرى، وهو حين يطوي عنه الحديث يعتبره مخلوقاً آخر غير حبيبته ، وحين يناجيه يحسبه حبيبته ذاتها . وفيه ايضاً إيهام التضاد بين إسراره البدر حديثها ومناجاته اياه . وكذلك فيه ضرب من البديع لم يذكره ابن المعتز ولعله عرف بعده وان كان قد وجد قبله ، وهذا الضرب يطلق عليه صاحب الصناعتين اسم المجاورة .[1] وفي البيت الأخير تشخيص لليل اذ يجعل منه شخصاً يودع النجوم المنيرة عند انقشاع الدجى .

والغريب انه رغم زحمة البديع في هذه الابيات فان القارىء يرتاح اليها بصورة عامة ، ولعل ذلك ناجم عن ان مسلماً يستطيع في معظم الاحيان ان يوائم بين الطبع والصنعة فيمنع الصنعة من افساد شعره .

ولنأخذ قطعة اخرى في باب آخر غير الغزل ، وليكن المديح مثلاً . قال في قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد :

ما مِن عظيمٍ قدِ انقادَ الملوكُ لهُ	إلّا يرى لكَ إجلالاً وإعظاما
يُصيبُ منكَ معَ الآمالِ صاحبُها	حِلماً وعلماً ومعروفاً وإسلاما
كم بلدةٍ بكَ حلَّ الرَّكبُ جانِبَها	وما يُلِمُّ بها الرُّكبانُ إلماما
اذا عَلَوْا مَهْمَهاً كانَ النَّجاءُ لهمْ	إنشادَ مدحِكَ إفصاحاً وَترناما
لو كان يفقِهُ رَجْعَ القولِ طائرُها	غنّى بمدحكَ فيها بومُها الهاما

يلاحظ ان في هذه القطعة كثيراً من ضروب البديع أيضاً، ففيها إرصاد واستعارة وجمع وملحق بالجناس . غير ان البديع لا يزدحم فيها ازدحامه في القطعة الاولى على اي حال .

وليس ما ذكرنا من انواع البديع هي الانواع الوحيدة التي استخدمها مسلم ،

---

١) يعرف ابو هلال المجاورة بقوله : « المجاورة تردد لفظتين في البيت ووقوع كل واحدة منهما بجنب الاخرى او قريباً منها من غير ان تكون احداهما لغواً لا يحتاج اليها . » (كتاب الصناعتين ص ٤٠١) .

فهنالك كثير غيرها نذكر منها التجريد[١] ، والترصيع[٢] ، والتلميح[٣] ، والتهكم[٤] ، ورد العجز على الصدر[٥] ، وحسن التعليل[٦] ، والاستطراد[٧] .

ومن الواضح ان اتخاذ البديع وسيلة للزخرف هو أثر حضاري انعكست فيه مظاهر الحياة العامة على مظاهر الحياة الفنية عند الشعراء العباسيين بصورة عامة[٨]، غير ان هذا الأثر كان قوياً عند مسلم بحيث قال ابن المعتز انه « حشا شعره به » .[٩]

ولإمعان مسلم في طلب البديع كثيراً ما يبدو لنا في شعره كصانع ماهر أو كنحات قدير يعمل بدأب وجهد في صوغ أثره الفني . ومن ثم فقد كان ذا روّية وإدمان[١٠] في نظمه حتى قيل فيه انه «زهير المولدين» .[١١]

وليس من ريب في ان اكثاره من استخدام البديع يتصل اتصالاً وثيقاً برغبته في تزيين شعره ونشدانه الجمال الفني فيه . وعلى ذلك فان من حقنا ان نتساءل الآن عن مدى توفق شاعرنا في تحقيق رغبته عن هذا الطريق .

قد يستمد الشعر بعض جماله من الفاظه ، او موسيقاه ، او دقة تصويره ، او لطف ايحائه ، وقد يستمده من معانيه وما تنتظم هذه المعاني من عاطفة قوية او فكرة طريفة .[١٢] غير ان المصدر الرئيسي لجماله مع ذلك يبقى في مدى اتصاله بنفس شاعره وتعبيره عما يجول فيها من معانٍ وما يجيش فيها من خطرات .

وعلى ذلك فمتى كان البديع يوائم طبع النفس ولا يتعارض وخطراتها كان حلية لهذا الطبع وتلك الخطرات ، اما اذا تعارض مع الطبع فانه يخرج الشعر

---

١) مثل قوله: أغرى به الشوق ليل الساهر الرمد ونظرة وكلت عينيه بالسهد
٢) « « : خيال من النائي الهوى المتبعِّد سرى فسرى عنه عزيم التجلد
٣) « « : عودت نفسك عادات خلقت بها صدق الحديث وانجاز المواعيد
٤) « « : أخلقت فخرك من ابيك فجئتني بأب جديد بعد طول تلمس
٥) « « : بطرفي وقلبي يستدلني الهوى فمن ذا الذي يعدي على الطرف والقلب
٦) « « : امر بالحجر القاسي فألثمه لأن قلبك قاسٍ يشبه الحجرا
٧) « « : واحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعيداً
٨) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٠٠
٩) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٣٥
١٠) شرح الحماسة للتبريزي ج ٣ ص ٣١٢ ، العمدة ج ١ ص ١٦٦
١١) العمدة ج ١ ص ١٠٩
١٢) انظر النقد الجمالي واثره في النقد العربي ص ٩٣–١٠٥

عن طبيعته ويجعل عواطف الشاعر تتعثر في إذيال التصنيع ، كما يجعل صوره الشعرية تفقد الحياة ، فيذهب رواء الشعر ويغيض ماؤه . اقرأ القطعة الغزلية التالية التي قالها مسلم ضمن قصيدة يمدح فيها زيد بن مسلم الحنفي :

أأظلِمُ قلبي ليس قلبي بظالمٍ ولكنَّ مَن أهوى يجورُ ويَظلِمُ
ألا عَظُمَتْ ما باحَ مني من الهوى وما في ضميرِ القلب ادهى وأعظمُ
شكوتُ اليها حبَّها فتبسَّمَتْ ولم أرَ شمساً قبلَها تتبسَّمُ
فقلتُ لها جودي فأبدتْ تجهُّماً لِتَقتُلَني يا حُسنَها إذ تَجَهَّمُ
وما انا في وصلي لها بِمُفَرِّطٍ ولكنَّني أخشى الوُشاةَ فأَصْرِمُ
يُعاوِنُها قلبي عليَّ جَهالَةً وأُوشِكُ يَبلى حُبُّها ثم يَنْدَمُ
وكنتُ زماناً أجحدُ الناسَ ذكرَها فكذَّبني دمعٌ مِنَ الوجدِ يَسْجُمُ
فأصبحتُ كذّاباً لِكِتمانِيَ الهوى وصار الى الإعلانِ ما كنتُ أكْتُمُ

تلاحظ ان مسلماً فيها يصهر بطبعه بديعه ، وانه يتخذ من هذا البديع وسيلة فنية يزين بها شعره دون ان تطغى عليه ودون ان تستعبده . وتلاحظ كذلك ان معانيه التي يقصد اليها تخرج من نفس صاحبها بعد ان تجوس اعماق هذه النفس وتخرج ما فيها من عاطفة صادقة يلبسها الشاعر ثوباً شفافاً انيقاً من بديعه لا نكاد نشعر بوجوده . ومن هنا جاء جمال هذه القطعة الفني .

غير ان هذا لم يكن شأن جميع شعر مسلم ، وان كان هو السائد فيه والغالب عليه ، فقد نجد له ابياتاً – قليلة الحسن الحظ – ضاع جمالها نتيجة للامعان في التصنيع والخروج به عن الطبع . اقرأ مثلاً هذا البيت :

سُلَّتْ وسلَّتْ ثم سُلَّ سليلُها فأتى سليلُ سليلِها مسلولاً

تَرَ أن « لا غاية وراءه في القبح » كما يقول الخفاجي [1] ، ولذا فقد اصبح يضرب به المثل في الشعر الهزيل [2] حتى قال فيه ابونواس [3] : « والله لو رميت الناس في الطرق لكان أحسن من هذا . »

واقرأ ايضاً هذه المقطوعة :

أخٌ ليَ مستورُ الطباعِ جعلتهُ مكانَ الرِّضى حتى استقَلَّ بهِ الوُدُّ

١) سر الفصاحة ص ٩٦ .
٢) العكبري ، شرح ديوان المتنبي ج ٣ ص ١٧٦ ، وريحان الالباب (مخطوطة ليدن) اخذ عن الدهان ص ٤٢٤ .
٣) الموشح ص ٢٨٩ .

وتحتَ الرضى لو أنْ تكونَ خَبَرْتَهُ ودائعُ لا يَرضى بها الهَزْلُ والجِدُّ
لَعَمريَ ليست صَفقةُ المرءِ تَنطوي على ذَمٍّ شيءٍ كانَ أوَّلَهُ حَمْدُ
فأَعطِ الرِّضى كلَّ الرضى مَن خَبَرتَهُ وَقِفْ بالرِّضى عنهُ إذا لم يكن بُدُّ

تجد انها ابعد ما تكون عن الجمال الشعري .

د – عدم استواء شعره

« فأما من وجد في شعره الأخذ بالطرفين من السهولة والغموض فكثير مثل ابي نواس اذا تعرَّب ومسلم بن الوليد . »

ريحان الالباب للمواعيني[١]

ولهذه الخاصة صلة وثيقة بالخاصتين السابقتين ، ووجودها طبيعي في شعر شاعر عايش القديم الجديد في نفسه .[٢] فللحياة القديمة لغتها الخاصة المنتزعة من طبيعة البادية القاسية الجافية ، وللحياة الجديدة لغتها السهلة الطلية التي توائم لين العيش ورقة الطبع[٣] .

ولقد جمع مسلم بين مظاهر الحياتين في نفسه فانعكس أثر ذلك على شعره . قال اسحاق الموصلي[٤] : « .. وأما مسلم فانه مزج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعاني اللطيفة ، وكساه الالفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين . »

ومن الطبيعي ان تتجلى جزالة شعر مسلم وقوته بصورة عامة في الابواب التقليدية كالمديح ، وفي الامور التي تتصل بالحياة البدوية كالفروسية ووصف الابل والضرب في مجاهل الصحراء ، وان تتجلى رقته وسهولته في الابواب التي انعشتها الحياة الحضرية كالغزل ووصف الخمر والغلمان[٥] .

ولنأخذ الآن قطعتين ، احداهما في المديح والأخرى في الغزل لنلاحظ ما بينهما من فرق في هذا الصدد . قال في قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد :

---

١) مخطوطة ليدن ص ٨٤ و (عن الدهان ص ٤٢٤)
٢) راجع نشأة الشاعر في هذا الكتاب .
٣) انظر الوساطة ص ١٨ .
٤) الامالي (مما نقله منه حمزة الاصفهاني في مقدمته لديوان ابي نواس) .
٥) لعله لم يكثر من القول في هذا الباب ، فكل ما وصل الينا من شعره فيه ستة ابيات فقط قالها في وصيف لمحمد بن منصور .

لا يُلقِحُ الحربَ إلّا رَيْثَ يَنْتُجها … من هالكٍ وأسيرٍ غيرِ مُخْتَتَلِ
إنْ شِيمَ بارِقُهُ حالتْ خلائقُهُ … بينَ العطيَّةِ والإمساكِ والعِلَلِ
يُغشي المنـــايا المنايا ثم يَفْرُجُها … عن النُّفوسِ مُطِلّاتٍ على الهَبَلِ
لا يَرحلُ الناسُ إلّا نحوَ حُجرَتِهِ … كالبيتِ يُضحي إليه مُلتَقَى السُّبُلِ
يَقرِي المنيَّةَ أرواحَ الكُماةِ كما … يَقري الضيوفَ شحومَ الكومِ والبُزُلِ[1]
يكسو السيوفَ دماءَ الناكثينَ بهِ … ويجعلُ الهامَ تيجانَ القَنا الذُّبُلِ
يَغدو فتغــدو المنايا في اسنَّتِهِ … شوارعاً تتحدَّى الناسَ بالأجلِ
إذا طغتْ فئةٌ من غِبِّ طاعتِها … عَبَّا لها الموتَ بينَ البِيضِ والأَسَلِ
قد عوَّدَ الطيرَ عاداتٍ وثِقنَ بها … فهنَّ يَتْبَعْنَهُ في كلِّ مرتَحَلِ
تراهُ في الأمنِ في دِرعٍ مُضاعَفَةٍ … لا يأمنُ الدهرَ أن يُدعَى على عَجَلِ
صافي العِيانِ طموحُ العَينِ هِمَّتُهُ … فكُّ العُناةِ وأسرُ الفاتِكِ الخَطِلِ
لا يَعْبَقُ الطِّيبُ خدَّيهِ ومَفرِقَهُ … ولا يُمَسِّحُ عينيهِ من الكُحُلِ
إذا انتضى سيفَهُ كانت مسالكُهُ … مَسالكَ الموتِ في الأبدانِ والقُلَلِ
وإن خلَتْ بحديثِ النفسِ فِكرتُهُ … حَيِيَ الرجاءُ وماتَ الخوفُ من وَجَلِ
كالليثِ إن هِجتَهُ فالموتُ راحتُهُ … لا يستريحُ الى الأيامِ والدُّوَلِ

وقال يتغزل :

يا أيُّهــا المعمودُ … قد شَفَّكَ الصُّدودُ
فأنتَ مُستَهــامٌ … حالَفَكَ السُّهودُ
تَبيتُ ساهراً قدْ … ودَّعَكَ الهُجـودُ
وفي الفؤادِ نارٌ … ليس لهــا خُمودُ
تَشُبُّها نيرانٌ … مِنَ الهَـوى وقُودُ
إذا أقولُ يوماً : … قد أُطفِئَتْ ، تزيدُ
يا عاذِلَيَّ كُفّا … فإنــني مَعمـودُ
أكثرتُما تفنيدي … لو يَنفعُ التَّفنيدُ
قد أقصدتْ فؤادي … خُمصانةٌ خَريــدُ

---

[1] الكوم : جمع كوماء وهي الناقة العظيمة السنام – والبُزُل : جمع بازل وهو البعير اذا بزل نابه ، اي انشق بدخوله السنة التاسعة .

بَهْنانَـــةٌ لَعوبٌ غَرثى الوشاحِ رُودُ
هِجرانُها قريبٌ ووصلُها بعيـــدُ
كلامُهـــا خَلوبٌ إلى الصِّبـــا يَقودُ
وطرفُهـــا مريضٌ ولحظُهـــا صَيودُ

ويلاحظ ان بين القطعتين فرقاً شاسعاً فكل منهما أُريدَ ان يمثّل به عصر ، قصد الشاعر الى ذلك ام لم يقصد . فالقطعة الاولى جزلة تنم عن قوة في الفاظها ومعانيها ، حتى ووزنها ، والقطعة الثانية سهلة رقيقة ، باستثناء بضع كلمات تكاد تقرب من النثر في طريقة ادائها ، لولا ما لها من وزن وقافية . بل انها تكاد تقرب من الحديث العادي لولا ذلك ولولا ما في بعض ابياتها من صنعة ظاهرة . هذا هو الفرق الذي يجعل من شعر مسلم شعراً غير مستوٍ .

غير انني اريد ان اقف اكثر من هذا عند القطعة الثانية ، فهي حرية بوقفة من هذا النوع . القطعة سهلة ، كما رأينا ، تتلاءم بسهولتها ووزنها وحياة الحضارة اللينة . ولكن هل ترى فيها روحاً قوياً ؟ انني اراها جامدة بلا روح ،او ضعيفة الروح على الاقل ، حتى بالنسبة لغزله التقليدي في مطالع القصائد ، فهي لا تنطق عن مدلولها اذن . فما السر في ذلك ؟ أخرج فيها مسلم عن طبيعته؟ لا اظن ذلك فهو « صريع الغواني » ، في الوقت الذي نظمها فيه على الاقل ؛ ام انه أخرج اللغة فيها عن طبيعتها فجاء هذا القصور في الاداء الفني الذي افقد القطعة ، ومن ثم القصيدة التي تنتمي اليها ، الروح التي كان يجب ان تنبعث منها فتثير جذوة الحب الخامد في قلب المحب . اغلب الظن ان الامر كذلك . فاللغة ، كما يبدو ، لم تكن قد تحضرت بعد ، عند مسلم على الاقل . ولعل مسلماً نفسه شعر بهذا ، وشعر أن لغته الحضرية لم تسعفه على اداء ما يريد اداءه ، فاضطر الى ان يقول في وصف حبيبته بانها خمصانة ، بهنانة ، غرثى الوشاح ! ، واضطر ايضاً الى ان يكثر من مثل هذه التجربة الشعرية .

وقد يكون التراوح بين الجزالة والصعوبة من جهة ، والرقة والسهولة من جهة اخرى ، في القصيدة الواحدة عند مسلم ، ان اختلفت فيها الابواب . قال:

١) هلّا بكيتَ ظعائنـــاً وحُمولا تركَ الفـــؤادَ فراقُهُمْ مَخبولا
٢) أمّا الخليطُ فزائلونَ لفُرقةٍ فمتى تراهُمْ راجعـــينَ قُفولا

٣) أتْبَعتُهم عينَ الرقيبِ مُخالِساً لَحظاً كما نظرَ الأسيرُ كَليلا
٤) تاللهِ ما جَهِلَ السُّرورُ ولا الكرى أنَّ الفراقَ مِنَ اللِّقاءِ أُديلا
٥) فاذا زجرتُ القلبَ زادَ وَجيبُهُ واذا حبستُ الدمعَ فاضَ هُمولا
٦) واذا كتمتُ جوى الأسى بَعثَ الهوى نَفَساً يكونُ على الضميرِ دَليلا
٧) واهاً لأيامِ الصِّبا وزمانِهِ لو كان أسعفَ بالمُقامِ قليلا
٨) سَلْ عيشَ دهرٍ قد مَضتْ ايامُهُ هل يستطيعُ الى الرجوعِ سَبيلا
٩) لو عادَ آخِرُهُ كأولِ عهدِهِ فيما مضى لم أشفِ منه غَليلا
١٠) ولرُبَّ يومٍ للصِّبا قصَّرتُهُ بالمُلهياتِ وقد يكونُ طويلا
١١) وسُلافةٍ صهباءَ بنتِ سُلافةٍ صفراءَ لمَّا تُعصَرِ التَّسليلا
١٢) أختانِ واحدةٌ هي ابنةُ أختِها كلتاهُما تَدَعُ الصَّحيحَ عليلا
١٣) لا تَسقِني الماءَ القَراحَ وهاتِها عذراءَ صافيةَ الأديمِ شَمولا
١٤) خرقاءَ يَرعُشُ بعضُها من بعضِها لم تَتَّخِذْ غيرَ المِزاجِ حَليلا
١٥) سُلَّتْ فسلتْ ثم سُلَّ سَليلُها فأتى سليلُ سليلِها مَسلولا
١٦) بَعَثَتْ الى سرِّ الضميرِ فجاءَها سلِساً على هَذَرِ اللسانِ مقولا
١٧) لَطفَ المِزاجُ لها فزَيَّنَ كأسَها بقِلادةٍ جُعِلتْ لها إكليلا
١٨) قتلت وعاجلها المُديرُ فلم تَفِظْ فاذا بهِ قد صيَّرَتهُ قتيلا
١٩) وهَجيرةٍ كلَّفتُ طيَّ مَقيلِها ظُهراً وقد طلبَ الكَنيسُ مَقيلا[1]
٢٠) قوداً نواجيَ كالحَنيِّ ضوامِراً ترَكَتْ عرائكها المَهامِهُ مِيلا[2]
٢١) ودُجُنَّةٍ ضَمَّنتُ هتْكَ سُتورِها وَجْناءَ صامتةَ البُغامِ ذَلولا[3]
٢٢) حتى اذا الفجرُ استضاءَ أَنختُها لِأذوقَ نوماً أو أُصيبَ مَليلا[4]
٢٣) والليلُ قد رفعَ الذيولَ مواشِكاً برحيلِهِ سلطانُهُ لِيزولا
٢٤) حَمَّلتُ ثِقلَ الهمِّ فانبعَثتْ به نفسي وناجيةَ السِّفار ذَمولا[5]
٢٥) حرْفاً إذاونَتِ العِتاقُ تَزيَّدَتْ في سيرها التنعيبَ والتَّبغيلا[6]
٢٦) ترمي المَهامِهَ والقطيعَ بِطَرْفِها شَزْراً كأنَّ بعينِها تَحويلا

١) الكَنيس : الظبي له كِناس ، وهو مربضه في الشجرة .
٢) القود : جمع قوداء وهي الناقة الطويلة — عرائكها : اسنمتها — ميلا : مائلات .
٣) وجناء : شديدة — البغام : صوت الناقة — ذلول : ضامرة .
٤) مليلا : خبزاً مملولاً ، اي مطبوخاً في المَلَّة وهي التنّور .
٥) ناجية السفار : ناقة سريعة — ذَمول : تسير الذميل ، وهو ضرب من السير اللّيِّن .
٦) الحرف : الناقة الضامرة الصلبة — التنعيب : السير السريع — التبغيل السير دون العَنَق .

٢٧) لو أنَّ قوماً يُخلـقون منيَّةً مِن بأسِهِم كانوا « بني جِبْريلا »

٢٨) قومٌ اذا حَمِيَ الهَجيرُ من الوغى جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مَقيــلا

٢٩) اذ لا حِمى إلّا الرماحُ وبينهـا خيلٌ يَـطأْنَ بقاتــلٍ مَقتولا

٣٠) ولقد وقعنَ بأرضِ كابُلَ وَقعةً تَركَتْ إليهـا للغُزاةِ سَبيلا

يلاحظ ان هذه القصيدة تشمل الاقسام التالية :

١) الغزل (من البيت الاول الى العاشر)

٢) وصف الخمرة (من الحادي عشر الى الثامن عشر)

٣) السفر الى الممدوح (من التاسع عشر الى السادس والعشرين)

٤) المديح (من السابع والعشرين حتى الثلاثين، وهو نهاية القصيدة كما وصلت الينا)

ويلاحظ كذلك ان القسمين الاولين ادخل في باب الرقة من القسمين الاخيرين. وتعليل ذلك بيّن يتعلق بطبيعة هذه الاقسام وصلتها بالحياة الحضرية او البدوية.

واود ان اقف قليلاً عند هذه القصيدة فهي حرية بذلك ، اذ نستطيع ان نتبين عن طريقها كيف كان مسلم يمعن في الاغراب والصعوبة حين كان يعرض لموضوع بدوي . وها هو في وصفه للصحراء والابل (بيت ١٩–٢٦) لا يكاد يختلف عن سلفه الراعي في وصفها، بل لعله تأثر به في ذلك . انظر الى هذه الابيات من قصيدة الراعي [١] التي يصف فيها الصحراء والابل :

قُذُفَ الغُدُوِّ إذا غَدوتُ لحاجةٍ دُلُفَ الرَّواحِ اذا أردتُ قُفولا [٢]

قُوداً تُذارِعُ غَولَ كل تنوفَةٍ ذَرعَ المُوَشّحِ مُبرَماً وسَحيلا [٣]

في مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بهِ هاماتُهـا قلقَ الفؤوسِ اذا أردنَ نُصولا

واذا تَعارضَتِ المَفاوزُ عارضتْ رَبِذاً تَبَغَّلَ خَلفها تَبغيـلا [٤]

---

١) مطلع القصيدة :

ما بال دفّكَ بالفِراش مذيلا أقذى بعينك أم اردت رحيلا

وقد قالها لعبد الملك بن مروان (انظر جمهرة اشعار العرب ص ٣٤١)

٢) قُذُف : سريعة ، يقصد نياقاً سريعة – دُلُف : متقاربة الخطو .

٣) قود : جمع قوداء وهي الطويلة الظهر والعنق – تذارعه : تغالبه فى الخطو فتغلبه – الغَول: ما انهبط من الارض – التنوفة : البرّية لا ماء فيها ولا أنيس .
السحيل : الثوب لم يبرم غزله ؛ الحبل الذي فتل فتلا واحداً .

٤) تعارضت : عارض بعضها بعضاً .
الرّبذ : يعني الحادي .
تبغّلَ : أعيي وتبلد في المشي .

زَجِلَ الحُداءِ كأنَّ في حَيزومِهِ قصباً ومُقْنَعَةَ الحنينِ عَجولا [1]
واذا تراحلتِ الضُّحى قذفتْ بهِ فَشَأَونَ غايتَهُ فظلَّ ذَميلا [2]

. . .

جلسوا على أكوارِها فترادفتْ صخبَ الصَّدى جُرُعَ الرِّعانِ رحيلا [3]
ملس الحصى باتتْ توجِّس فوقَهُ لَغَطَ القطا بالجهلتين نزولا [4]

ثم قارن بها ابيات مسلم ، الا تجد اشياء مشتركة بينها ؟ انك لا شك واجد الوزن الواحد ، والقافية الواحدة ، والميل الى الاغراب ، وذكر بعض الكلمات الغريبة التي يصعب افتراض ورود المشاركة فيها على سبيل المصادفة ، كالتبغيل والقود مثلاً .

هـ – ولعه بطلب الصور الشعرية

لقد اولع مسلم بالصور الشعرية بحيث غداً لا يغفلها اذا سنحت مناسبتها ، بل ويلح في طلبها احياناً ولو لم تكن هناك حاجة لوجودها .

ولا ريب في ان هذا الالحاح في طلب الصورة جاء لاشباع رغبة فنية في الشاعر نجمت عن هذه العقلية الجديدة التي اخذت ترى في حياة الحضارة الواناً من الصور والزخارف لم يكن لشعرائنا القدامى عهد بها .

ومن المؤسف ان يطوِّح هذا الالحاح احياناً ببعض صوره فيخرجها عن طبيعة الفن ويضعها في عداد الصنعة المفتعلة فتخرج بين يديه واذا هي كالدمية التي تفتقر الى الحياة . اقرأ هذه الابيات :

كم طعنةٍ لكَ في الاعداءِ مُهلِكةٍ نَجْلاءَ تُعجِلُهُم عن نَفْثِ راقيها
لمّا غدوتَ الى الاعداءِ مُطَّلِعاً غيرَ الجبانِ عليها لا تُباليها
قَسَمْتَ فيها منايا غيرَ مُبقِيَةٍ وقمتَ عندَ نفوسِ الحقِّ تُحييها

تجد في الاول منها صورة رائعة كان من الممكن ان يقنع بها مسلم ، غير ان ولعه بطلب الصور والتوسع فيها حداه الى ان يردف بهذا البيت بيتين آخرين يرسم

---

1) زجل الحداء : رفيع الصوت ، كأنَّ في صدره قصباً أو صوت «عجول» وهي الثكول – مقنعة : رافعة صوتها .
2) شأونَ : سبقن – الذميل : السير الليِّن .
3) الجرع : الرمال المستوية لا تنبت شيئاً .
الرِّعان : جمع رَعْن وهو الجبل الطويل .
4) تَوَجَّس : تسمَّع الى الصوت الخفيّ .

فيهما صورة اخرى هي تفرع عن الاولى او توسع فيها، ولكنها على كل حال صورة مضطربة جامدة . ولعل اثر هذه الصورة الاخيرة يتعدى ذاتها عند القارىء الى الصورة الجميلة التي سبقتها .

ويبدو ان هناك غرضين لتصوير مسلم : الاول التقريب من الواقع ، والثاني الطرافة الفنية .

التقريب من الواقع :

ووسيلته اليه في الغالب التشبيه ، ولا سيما المادي المحسوس منه . اقرأ القطعة التالية من قصيدة قالها في الغزل والخمر :

وَسْنَى ولا كوَسْنَى	تُميتُ مَن تُريدُ
كالبدرِ بعدَ عَشْرٍ	قارَنَهُ السُّعودُ
وثغرُها شَتيتٌ	وريقُها بَرودُ
كأنَّ فيه مِسكاً	خالَطهُ قِنديدُ (١)
وقدُّها ممشوقٌ	مُنَعَّمٌ مَقدودُ
وكشحُها لطيفٌ	مُهَفْهَفٌ خَضيدُ (٢)
كأنَّهُ قضيبٌ	في غَرسِهِ يَميدُ
كأنَّهُ كثيبٌ	لَبَّدَهُ الجَليدُ

ثم دعنا نلاحظ ما فيها من تشابيه : انه يشبه الحبيبة بالوسنى ، وبالبدر بعد عشر وقد قارنه السعود ، ويشبه ريقها بالمسك خالطه القنديد ، وكشحها بالقضيب وهو يميد ، وردفها بالكثيب وقد لبده الجليد . وجل هذه التشابيه ، كما هو ظاهر ، مادي محسوس .

ويلاحظ ان المشبه به في معظم هذه التشابيه ليس مفرداً فحسب ، بل هو مفرد في حالة خاصة ، او قل هو حالة خاصة لذلك المفرد . فالشاعر لا يشبِّه حبيبته بالبدر وانما يشبهها به وقد قارنه السعود بعد عشر ليالٍ من اهلاله ، ولا يشبه ريقها بالمسك بل بالمسك وقد خالطه القنديد ، ولا يشبه كشحها بالقضيب بل به وهو يميد ، ولا يشبه ردفها بالكثيب بل به وقد لبَّده الجليد .

١) القنديد : عسل قصب السكر اذا جمد
٢) الخضيد : الضامر

وهذه البدعة التي يلجأ اليها تحيل تشبيهه في النهاية الى تشبيه تمثيل حيث وجه الشبه صورة منتزعه من متعدد . والواقع ان هـذه ظاهرة بارزة في شعر مسلم ، فمعظم تشابيهه هي من النوع التمثيلي الذي يعتمد على صورة يشترك فيها طرفا التشبيه . ويمكن ان تعزى هذه الظاهرة الى ثلاثة اسباب على الاقل :

(١) ولع مسلم بالصور

(٢) رغبته في تحديد حالة المشبه به امعاناً في دقة التشبيه — ونشدان الدقة ، كما هو معلوم ، ظاهرة بارزة عند شعراء هذا العصر نتيجة للعقلية الجديدة .

(٣) رغبته في التجديد. فلقد شبه العرب القدامى الحبيبة بالبدر ، وريقها بالمسك ، وكشحها بالقضيب ، وردفها بالكثيب ، ووجد مسلم المجدد الباب مفتوحاً امامه في هذا الميدان ، على ما يظهر ، فتوسع في التشبيه ومن ثم في الصور .

ثم ان هناك نقطة حرية بالملاحظة وهي تشبيه ردفها بالكثيب الذي لبده الجليد . فالتشبيه هنا يبدو غريباً لاول وهلة على العربي . فلقد رأى العربي الكثيب في بلاده فشبه به الردف ، ولكن لم يسبق له ان رآه ملبداً بالجليد . فالصورة اذن غير مألوفة بالنسبة اليه ، ولكن مسلماً لجأ اليها ليجدد . ولهذا التشبيه بالذات دلالة كبيرة عندي اذ تتجلى فيه محاولة الشاعر الجمع بين القديم والجديد ، بين كثبان الجزيرة وجليد أرمينيا وجرجان .

واذا كان مسلم هنا يستعين بالجديد لايضاح القديم فأخلق به ان يلجأ الى العكس فيستعين بالقديم لايضاح الجديد . لقد شاء ان يوضح مـدبّ الموج في جنبات السفينة ، وهو شيء طريف جديد بالنسبة لكثير من العرب فشبهه بمدب الصبا بين الرمال الوعاث :

كأنَّ مَدَبَّ الموجِ في جَنَباتِها مَدَبُّ الصَّبا بين الوِعاثِ مِنَ العُفْرِ

وشاء ان يوضح شدو المزمار فشبهه ببكاء النائحات الثاكلات :

وأَسْعَدَها المِزمارُ يَشدو كأنَّهُ حكى نائحاتٍ بِتْنَ يَبكينَ مِن ثُكلِ

واذا كان التشبيه الحسي ظاهرة جاهلية برع فيها أوس بن حجر وابناء مدرسته ، امثال زهير والنابغة [١] ، فالتشبيه الحسي التمثيلي ظاهرة كثرت في العصر العباسي الاول وظهرت بشكل بارز في شعر مسلم . ولا اخالني في حاجة الى

---

١) في الادب الجاهلي ص ٢٨٤ .

ضرب شواهد اكثر مما ذكرت فالديوان مليء بذلك .

الطرافة الفنية :

وهي اهم ما يهدف اليه مسلم في شعره من الناحية الفنية ، ولعلها اهم سبب ادى به الى ان يكثر من نشدان البديع .

ومن وسائله اليها التشبيه الا يهامي الذي يقوم على الوهم والخيال ، والذي هو اثر من آثار العقلية الجديدة التي اخذت « تستمد من التفكير وعمقه اوهاماً لا حد لها »[1] قال :

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذي رَهَجٍ كأنهُ أجَلٌ يَسعى إلى أمَلِ
ينالُ بالرِّفقِ ما يَعيا الرجالُ بهِ كالموتِ مستَعجِلاً يمشي على مَهَلِ

فالتلوين العقلي الجديد هو الذي سوّغ للشاعر ان يصور الاجل يسعى الى ما يأمل ، وينال ما يريد بسرعة ونفاذ . وهنا تعاون التشبيه والاستعارة على خلق الصورة واظهار ما فيها من طرافة وبَدْع .

وقد تعمد الاستعارة وحدها على خلق الصورة عند مسلم . وفي هذه الحالة قد تكون استعارة واحدة في الشطر فتضيق الصورة :

أُجرِرتُ حبلَ خليعٍ في الصِّبا غَزِلِ وشمَّرَتْ هِمَمُ العُذّالِ في العَذَلِ

وقد تكون مجموعة من الاستعارات فتتسع اللوحة ويعظم المشهد ، قال :

فكنتُ نديمَ الكأسِ حتى اذا انقضتْ تعوَّضْتُ عنها ريقَ حوراءَ عيطَلِ[2]
نهانيَ عنها حبُّها أنْ أسوءَها بلمسٍ فلم أفتِكْ ولم أتَبَتَّلِ
أخذتُ لِطَرْفِ العينِ منها نَصيبَهُ وأخلَيتُ من كفِّي مكانَ المُخلخَلِ
سَقَتني بعينَيها الهوى وسقيتُها فدَبَّ دَبيبَ الرّاحِ في كل مَفصِلِ
وان شئتُ أنْ ألتَذَّ نازلتُ جيدَها فعانقتُ دونَ الجيدِ نظمَ القرَنْفُلِ
أُنازِعُها سِرَّ الحديثِ وتارَةً رُضاباً لذيذَ الطعمِ عَذبَ المُقبَّلِ

ويشوقنا ما يشيع في هذه الصورة من حركة وما ينبعث فيها من حياة ، ففيها سلسلة من الافعال التي ينتقل بوساطتها الشاعر من عمل لآخر فيبعث الحياة

---

١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٠٦ .

٢) الحوراء : الشديدة بياض العين والشديدة سواد سوادها – والعيطل: الخالية من الحلي.

والحركة في أرجاء صورته : التعوّض والنهي والاخلاء والمنازلة والعناق . دع عنك دبيب الراح في المفاصل إثر تلك السُّقيا من العينين .

وهناك لون جديد من الاستعارة اكثر مسلم من استخدامه عند رسم صوره ، وهذا اللون هو التشخيص الذي كثيراً ما يعزى لشاعر متأخر هو ابن الرومي . والحق ان مسلماً سبق ابن الرومي الى العناية بهذا الباب ، فجعل من الجماد احياء ومن اسماء المعاني ذوات تحس وتتحرك وتفعل فعل المخلوق الحي: فالخوف يطير، والفرار يتمـطّى ، والقنى تجرع الدم ، والمخافة تحيا ، والرياح ... الرياح تمشي حسرى مولهة حائرة بين الصخور والجلاميد :

وطارَ في إثرِ من طارَ الفِرارُ به خوفٌ يُعارِضُـهُ في كلّ أُخدودِ

. . .

مُظفـَّرونَ تُصيبُ الحربُ انفسَهم اذا الفِرارُ تَمـطّى بالمَحاييدِ [1]

. . .

وَلى وقد جرَعَت منه القنى جُرَعاً حَيّ المخافةِ ميتاً غيرَ مَوءودِ

. . .

تمشي الرياحُ به حَسرى مُوَلَّهَةً حَيرى تَلوذُ باكنافِ الجلاميدِ

. . .

وقد ذهب به حب التشخيص مذهباً جعله يجرّد من الخمرة ابنة ذات نسب، ترضع وتتغذى حيناً وتحتجب عن عيون الناس حيناً آخر . قال في احـــدى قصائده :

وقهوةٍ من بناتِ الكرمِ صافيـــةٍ صَهبا يهوديةٍ أربابُهـــا العَربُ
تُنْمَى الى الشمسِ في إغذائِها ولَها من الرّضاعةِ في حرّ الهجيرِ أبُ

وقال في اخرى :

فقامَ يَسعَى الى دَنٍّ فَسَلَّلها حمراءَ بِكراً لها عَشرٌ مِنَ الحِقَبِ
مَحجوبةً من عُيونِ الناسِ ليسَ لها في غيرِ بيتِ بني ساسانَ من نَسَبِ

وقد يعنى مسلم بتلوين صورته احياناً ، وبعث الرائحة الطيبة منها احياناً أخرى فيقول :

١) المحاييد : جمع محياد وهو الجبان .

حمراءَ إنْ بَرَزَتْ صفراءَ إن مُزِجتْ   كأنَّ فيها شرارَ النارِ تلتهبُ
مُحَمَّرَةٌ كفُّ ساقيها بِحُمرتِها   كأنما هو بالفِرصادِ مُختَضِبُ [١]

ويقول :

يُدعى أباها ويُغذاها فيا عجباً   مِن ابنةٍ صَيَّروها غَذْيَةً لِأبِ
كأنما ضُمِّنَتْ مِسكاً يفوحُ بهِ   او عنبرَ الهندِ او طيباً من السَّخَبِ [٢]

وهناك وسيلة طريفة لابراز الصورة عند مسلم قلما رأيناها عند غيره من الشعراء ، وهي ما يمكن ان ندعوه بالمباينة ، ومن امثلة ذلك قوله :

حَمولاً لِعِبْءِ الدَّهرِ يَنْهَضُ عفوُهُ   بهِ مُستقلاً حينَ لا يُحمَلُ الثِّقلُ

لقد كان بإمكان الشاعر هنا ان يصف ممدوحه بأنه حمول لعبء الدهر ينهض به عفوه وهو مستقل وحسب ، غير ان مثل هذا النهوض بمثل هذا الحمل يكون ادعى للمديح حين يكون في زمن لا يقوى فيه احد غيره على حمل اي ثقل .

وقوله :

واذا سماءُ ذوي السماحةِ لم تَجُدْ   جادتْ سماؤكَ مُسبِلاً هطّالا

وهنا كان يكفي الشاعر ان يقول ان سماء الممدوح جادت « مسبلاً هطالاً » ليقضي للممدوح حقه ، غير ان هذا الجود نفسه تزداد قيمته ويرتفع شأنه ان قرن بحالة لا تجود فيها سماء الآخرين من ذوي السماحة .

وقد لا يكتفي مسلم برسم صورته بل يتعدى ذلك الى رسم الجو الذي يكتنفها ويساعد على تمثلها . ووسيلته الى ذلك الملاءمة التي يجعلها بين معنى الصورة والالفاظ التي يختارها لرسمها ، فهو إن صور الحرب مثلاً اختار لصورته ألفاظاً مجلجلة تسمع من بينها صليل السيوف ووقع الرماح :

ثمَّ استَقَلَّتْ بالحتوفِ رماحُنا   والخيلُ في ليلٍ مُسدَّى مُلْبَسِ [٣]
وبَوارِقُ الاغمادِ تبدو تارةً   حُمراً وتَخفى تارةً في الأرؤسِ
حربٌ يكونُ وَقودَها ابناؤها   لقِحَتْ على عُقرٍ ولمّا تَنفِسِ
منهاربٍ رَكِبَ النَّجاءَ ومُقعَصٍ   جَشِمَتْ منيَّتُهُ على المُتَنفَّسِ

---

١) الفرصاد : صبغ أحمر .
٢) السخب : حب القرنفل
٣) مُسَدَّى : ممدود

غصبته أطراف الأسنة نفسه فثوى فريسة ولغ أو نهس

وان صور حبه اختار لهذا التصوير من الالفاظ ما يتلاءم وطبيعة الحب :

طفوت على بحر الهوى فدعوتكم دعاء غريق ما له متعوم
لتستنقذوني أو تغيثوا برحمة فلم تستجيبوا لي ولم تترحموا
ركبت على اسم الله بحر هواكم فيا رب سلم أنت أنت المسلم

...

توسطت بحر الحب حين ركبته فغرقني آذيه المتلطم
فوالله ما أدري وإني لهائم أأرجع خلفى فيه أم أتقدم

أضف الى هذا انني لا اعلم ان هناك بحراً من بحور الشعر اكثر ملاءمة للضرب والصمود في الحرب من الكامل بتفاعيله الثلاث المتكررة : متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن ، ولا اكثر مناسبة لركوب بحر الهوى في قارب يتهادى من البحر الطويل بحركاته وسكناته : فعولن . مفاعلين . فعولن . مفاعلن .

و ـ المبالغة

المبالغة ظاهرة اجتماعية موجودة عند جميع الامم ، ولكن على درجات . ولعل التعليل النفسي لها هو ان الانسان يرتاح الى ان يحقق في الخيال ما لا يقوى على تحقيقه في الواقع ، فكأنها في واقعها النفسي تعويض (Compensation) لعجز الانسان عن تحقيق ما لا تمكنه ذاته من تحقيقه .

ويخيل اليَّ ان هذه الظاهرة هي اكثر ما تكون عليه قوة عند الأفراد عندما يصابون بالشعور بالضَّعة . وما يقال عن الافراد هنا يمكن ان يقال عن الامم . فلقد كان العرب في الجاهلية قابعين في جزيرتهم ، وكان احتكاكهم بالامم التي هي اعلى منهم حضارة محدوداً ضئيلا ، ولذا كانت حالتهم لا تساعد على تفشي مثل هذا الشعور بينهم ، ومن ثم شيوع المبالغة في ادبهم .

أما في العصر العباسي فقد رأوا ، رغم غلبتهم ، انهم اقل شأناً من حيث نظامهم الاجتماعي وثقافتهم العامة ومجالهم الحضاري من الامم التي غلبوها ، فعمد شعراؤهم الى التعويض عن ذلك عن طريق المبالغة في المفاخرة بانسابهم . وقد يقال ان الشعور بالسيادة على اثر الانتصار فيه التعويض الكافي ، وقد يكون هذا صحيحاً لولا ان الشعراء الموالي من الفرس طعنوا هذه السيادة في الصميم ولجأوا انفسهم الى التبجح بأعراقهم والتغني بحضارتهم في شيء من المبالغة تعويضاً عن هزيمتهم. وعلى ذلك كان الشعر الذي نظم في مجال الشعوبية والرد عليها مليئاً بالمبالغات.[١]

وهناك مجال آخر كثرت فيه المبالغة في ذلك العصر وهو مجال المديح . ويرجع ذلك الى استبداد ذوي السلطة ، ولا سيما الخلفاء منهم ، وشعور الشعراء بالحاجة الى تملقهم والتزلف اليهم عن طريق المبالغة في مديحهم ليمهدوا لهم الجو الذي ترتاح اليه نفوسهم وتجد فيه تعويضاً عن عجزها الانساني ، ومن ثم للظفر بهباتهم ونوال جوائزهم .

وعلى ذلك وجد مسلم في عصر صلحت تربته للمبالغة فاكثر من اللجوء اليها في شعره حتى تميز بها . ومن الواضح ان استخدامه لها لا يعكس شيئاً عن عدم حبه للواقع او حبه له ، فهو لم يستخدمها الا في مجالها الفني على ما نعلم من سيرته.

---

١) انظر Brown's ' A Literary History of Persia' , Vol. I, p. 266-67 فيما يتعلق بالمبالغات الموجودة في النماذج الشعرية التي اوردها لكلا الفريقين .

ولعل اهم بابين اكثر من استخدامها فيهما بابا المديح والغزل . ومن مبالغاته في هذين البابين قوله :

يا أكرمَ الناسِ من عُربٍ ومن عجمٍ بعدَ الخليفةِ يا ضِرغامةَ العَربِ

فُقتَ البريةَ من كهلٍ ومِن حَدَثٍ وفاق آباؤكَ الماضونَ ماضيها

إذا القَرمُ زيدٌ لم يَقِفكَ على النَّدى فمُتْ فالنَّدى من غيرِ زيدٍ محرَّمُ

. . .

ها قد هلكتُ ومتُّ من ألمِ الهوى قوموا فعزّوا معشري وأقاربي

فاذا زجرتُ القلبَ زادَ وجيبُهُ واذا حبستُ الدمعَ زاد هُمولا

اذا ما أدار الكأسَ ثنّى بطرْفِهِ فعاطاهُمُ خمراً وعاطاهُمُ سِحرا

ويلاحظ ان جميع هذه الشواهد هي من باب الاغراق ، اذ ان ما فيها ممكن في العقل دون العادة . غير ان مسلماً قد يشتط في المبالغة احيانا فيخرج من الاغراق الى الغلو حيث لا يكون مدلول المبالغة ممكناً، لا في العقل ولا في العادة. قال في ذينك البابين نفسيهما :

إنَّ الرِّفاقَ أتتكَ تلتمسُ الغنى والبحرُ لو يجدُ السبيلَ أتاكا

. . .

لو كانَ يفقَهُ رَجْعَ القولِ طائرُها غنّى بمدحِكَ فيها بُومُها الهاما

. . .

رَضِيَتْ سيوفُكَ عنكَ يومَ لقيتَهم وأجبتَ داعي الموتِ حينَ دعاكا

. . . . .

شَفَّ الهوى مُهجتي وعذَّبها فليسَ لي مُهجةٌ ولا بَدَنُ

. . .

وإذا كتمتُ جوى الأسى بعثَ الهوى نفَساً يكونُ على الضميرِ دَليلا

. . .

وما أبقتِ الأيامُ مني ولا الصِّبا سوى كبِدٍ حرَّى وقلبٍ مُقتَّلِ

. . . . .

وأود هنا أن أقف قليلاً عند هذه الأبيات : ففي الأبيات الثلاثة الاولى استخدم الشاعر من الوسائل ما يجعل مبالغاته فيها مقبولة رغم الغلو. ففي البيتين، الأول والثاني ، قرن المبالغة بالافتراض بقوله (لو يجد السبيل) في الحالة الاولى، وقوله (لو كان يفقه رجع القول قائلها) في الحالة الثانية ، وفي البيت الثالث خفف من اثر الغلو بأن اردف به (حين دعاكا) فقصر الاجابة على الدعوة ولم يطلق فيجعلها منوطة برغبة الممدوح فحسب .

اما في الابيات الثلاثة الاخيرة فقد غالى دون حرج. ويبدو أن لا ضير عليه في ذلك ، وهو شاعر ، في سنّة ارسطو وقدامة ، على الاقل ، اذ ان الاول منهما يرى ان المغالاة مقبولة « ما دام الشاعر يستطيع ان يبرزها في معرض الاشياء التي يمكن تصورها او يمكن فهمها » ولا يطلب من الشاعر « ما يكون فقط » بل «ما يمكن ان يكون »[1] ، والثاني يحبذ هذا المذهب ويقول في صدد بحثه عن الغلو في الشعر والاقتصار على الحد الاوسط فيه «ان الغلو.. اجود المذهبين».[2]

ووسائل مسلم الى المبالغة كثيرة اهمها :

(أ) **التشبيه** : والتشبيه ، كما هو معلوم ، مبني على المبالغة في اسناد صفة الى المشبَّه هي في العادة أقوى في المشبَّه به منها فيه . والتشبيه المؤكد ، أي الذي حذفت اداته ، ادعى للمبالغة من المرسل[3] ، والامثلة على كلا البابين كثيرة في الديوان . وقد اولع مسلم بالتشبيه المقلوب امعاناً منه في طلب المبالغة، ومن امثلة ذلك قوله :

كالليثِ بل مثلُهُ الليثُ الهَصورُ اذا   غَنَّى الحديدُ غِناءً غيرَ تغريدِ

. . .

بِجَيشٍ كأنَّ الليلَ بعضُ حديدِهِ   تَهادَى الرَّدَى فيه الفوارِسُ والرَّجْلُ

. . .

كأنَّ أعلامَها والآلُ يركَبُها   بُدْنٌ تَوافَى بها نَذْرٌ إلى عيدِ[4]

. . .

---

١) بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ١٥٨ .

٢) نقد الشعر ص ٥٥ .

٣) انظر اسرار البلاغة ص ٢٣١-٣٢ .

٤) الاعلام : الجبال - البُدن : النّياق .

يَخرُجْنَ من ليــلٍ كأنَّ نجومَهُ . أسيافُنا يومَ العجاجِ الأغبَسِ[1]

. . .

(ب) **الاستعارة** : ووجه المبالغة فيها قائم على المساواة بين طرفي التشبيه ، ومن ثم حَذْف احدهما والاستعاضة عنه بالآخر . والشواهد عليها كثيرة ورد كثير منها في معرض حديثنا عن الصور الشعرية عند مسلم .

(ج) **الاستفهام الانكاري** : وهو أمعن في المبالغة من صور النفي العادية ، ولذا فكثيراً ما يلجأ اليه مسلم ، اذ يقول :

سائلْ جديدَ الهوى هل كنتُ أُخْلِقُهُ إذ للصِّبــا مُهجةٌ تمشي بجُثماني

. . .

يا مَن يُجيرُ من الزمانِ وصَرْفِــهِ مَن ذا سِواكَ من الزَّمانِ يُجيـرُ

. . .

ومن الواضح ان كلًا من الاستفهامين (هل كنت اخلقـه) و (من ذا سواك من الزمان يجير) اشد مبالغة في انتفاء الحقيقة من (ما كنت اخلقه) و (ليس من يجير من الزمان سواك) .

(د) **المباينة** : وقد مر معنا اثرها في ابراز الصور ، ولا ريب ان في ذلك مبالغة في ايضاحها واظهارها .

(هـ) **التشخيص** : وقد مر معنا كذلك . ومن الواضح ان اشاعة الحياة في الجماد وتحويل اسماء المعاني الى ذوات ينطوي على مبالغة تقرب الحقائق من الجو الشعري وتكسبها الكثير من مائه وروائه .

(و) **التهكم** : وينطوي على مبالغة في الهجاء ولكنها مبالغة راقية تنم عن عقلية مركبة صقلتها الحضارة . اقرأ البيتين التاليين لتتبين فيهما التهكم المقذع الذي يفوق قوة ومرارة الهجاء الصريح النابي :

أما الهِجاءُ فدَقَّ عِرضُكَ دونــهُ والمَدحُ عنكَ كما علمتَ جليلُ
فاذهبْ فأنتَ طليقُ عِرضِكَ إنَّهُ عِرضٌ عَززتَ بهِ وأنتَ ذليلُ

---

١) الأغبس : الأغبر .

شخصيته الشعرية

قلنا آنفاً ان الخصائص التي ذكرناها لشعر مسلم يمكن ان تشكل ، مجموعةً ، الهيكل العام لشخصيته الشعرية . غير ان هذا الهيكل – على ما يبدو – لا يزال يفتقر الى ما يظهر ملامحه الفارقة ، فكما ان كثيراً من الناس يتشابهون في هياكلهم فلا يميز الواحد منهم عن الآخر سوى ملامحه الخاصة كذلك كثير من الشعراء يتشابهون في خصائصهم الشعرية فلا يفرق بينهم سوى ما يميز كلاً منهم من سمات خاصة تنبعث من هذه الخصائص في الغالب وتعمل على ايضاح شخصية الشاعر وابراز ملامحه الشعرية .

ويخيل إليَّ ان ابرز ما يميز شخصية مسلم الشعرية ما يلي : النحت ومتانة البناء ، والتصنيع والزخرف، [1] ومواءمة الطبع الصنعة . وهذه الميزات مجتمعةً تبرز ملامح مسلم وتساعد على قدّ شخصيته الشعريةقدّاً واضحاً يميزهاعن غيرها من شخصيات الشعراء الآخرين. فشاعرنا حين ينظم يدأب على نحت قصيدته ويحرص على متانة بنائها ، ثم هو فوق ذلك يجهد في توفير شتّى انواع الحلية لها ، وهو في كل هذا يوائم بين طبعه وصنعته فلا ينحت قصيدته « من صخر » صلب كما يفعل ابوتمام ، ولا يأسره بديعه شأن ابي‌تمام وابن الفارض ، رغم انه –مثلهما– يكثر من انواع هذا البديع فيستعمل الاستعارة والتشبيه والجناس والطباق والمشاكلة والترصيع ورد العجز على الصدر ومراعاة النظير وغير ذلك من انواع البديع الدقيقة ، فيميز نفسه بذلك عن كل من سبقه وعاصره من شعراء البديع «الصانعين» كابن هرمة وبشار وابي‌نواس ممن يكاد يقتصر بديعهم على الاستعارة والتشبيه . [2]

ولنأخذ اي قصيدة او مقطوعة من‌قصائد الشاعر ومقطوعاته نجد انها تشمل هذه الميزات متجاورة فيها متلازمة ، فلا تكاد تخلو واحدة منها من النحت والجهد ومتانة التركيب حتى ولو رقّ موضوعها وسلست معانيها ، كما لا تخلو من ضروب البديع المختلفة ترصّع ابياتها وتزين معانيها وتجعلها لا تعبر عن خواطر بقدر ما تعبر عن الوان وصور جميلة في معظم الاحيان . كل ذلك والطبع يوائم الصنعة دون ان يسمح لها بالتمكن منه والتغلب عليه في الغالب . اقرأ هذه

١) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١١٩ .
٢) انظر المرجع السابق ص ١١٦–١١٨ .

المقطوعة من قصيدة يتغزل فيها ويصف الخمرة :

ودارتْ علينا الكأسُ من كفِّ طَفْلَةٍ ... مُبتَّلةٍ عذراءَ كالرَّشإِ الطِّفلِ [1]
وحَنَّ لنا عُودٌ فباحَ بسرِّنا ... كأنَّ عليه ساقَ جاريةٍ عُطْلِ [2]
تُضاحِكهُ طوراً وتُبكيه تارةً ... خَدَلَّجَةٌ هيفاءُ ذاتُ شَوًى عَبْلِ [3]
اذا ما اشتهينا الأُقحوانَ تبَسَّمَتْ ... لنا عن ثنايا لا قِصارٍ ولا ثُعلِ [4]
وأسعدَها المِزمارُ يشدو كأنهُ ... حكى نائحاتٍ بتنَ يبكينَ من ثُكلِ
غدونا على اللذاتِ نجني ثمارَها ... ورُحنا حميدِي العيشِ مُتَّفقِي الشكلِ
أقامتْ لنا الصَّهباءُ صدرَ قناتِها ... ومالتْ علينا بالخديعةِ والختلِ
اذا ما علتْ مِنّا ذُؤابَةَ شاربٍ ... تمشَّتْ بهِ مَشيَ المُقيَّدِ في الوحلِ
فلا نحنُ مُتنا مِيتةَ الدَّهرِ بَغتةً ... ولا هي عادتْ بعدَ عَلٍّ الى نَهلِ [5]

تجد فيها الشاعر كالنحّات الماهر يختار حجارته فيرصفها رصفاً محكماً متيناً ويرصعها بأنواع الزخرف فيشخص الكأس والعود والمزمار والصهباء ، وينسب لها بالتتابع الدوران ، والحنين والبوح ، والشدو ، والحركة . ويشبه الساقية بالرشأ الطفل ، وعود الملاوي بساق الجارية العطل ، وشدو المزمار ببكاء النائحات الثاكلات ، ومشي الثَّمِل بمشي المقيد بالوحل . ويستعير العود للفتاة ، والاقحوان لثنايا القينة ، والمزمار للشادية ، واللذات للشجر المثمر ، والصهباء للفتاة . ويجانس بين طفلة وطفل . ويطابق بين تضاحكه وتبكيه ، وبين اقامة الصدر والميلان . ويراعي النظير ويرصد في عل ونهل .

وهذا يتنقل الشاعر بين الوان البديع المختلفة وهو متمكن من طبعه ، آسر لصنعته ، وحافظ لرواء شعره ومتانته .

---

١) الطَّفلة : الناعمة الرَّخصة .
٢) العطل : التي لا حلي عليها .
٣) الخدلجة : الحسنة الخلق – الشوى : الأطراف – عبل : ضخم .
٤) ثعـل : ذات اعوجاج وتخالف في منابتها .
٥) العَـل : الشرب الثاني فما فوقه – والنَّهل : الشرب الاول . يعني انها لم تعد الى حالها الاولى بعد ان شربناها وصارت غذاءً في اجسامنا .

٥ . الابواب الشعرية التي طرقها

يبدو مما وصل الينا من شعر مسلم ان معظم جهوده الشعرية انصبت في ثلاثة ابواب : المديح ، والغزل ، ووصف الخمر . اما الابواب الاخرى فلم يكن له فيها حظ كبير على ما يظهر ، اذ لم ينظم غير مقطوعات معدودة في الهجاء والرثاء ، وغير بضعة ابيات في العتاب [١] . ولهذا فسنركز بحثنا على الابواب الثلاثة التي اكثر من النظم فيها :

أ – المديح

وتشغل القصائد التي تتصل به القسم الاكبر من الديوان ، ويبدو في بعضها بتر [٢] يجعلنا نرجح سقوط بعض اجزائها . ولعل ما في جميعها من اشادة بكرم الممدوحين ، وما في معظمها من تلميح بطلب العطاء ، يحدد علاقة شاعرنا بممدوحيه على وجهها الحقيقي ، اذ يبدو ان الحافز الأساسي لمديحه هو رغبته في التكسب ، لا حبه للممدوح ، ولا اشتراكه واياه في مذهب خاص من المذاهب الدينية او السياسية التي كانت في زمنه . ودليلنا على ذلك كفّه عن مديح محمد ابن يزيد بن مزيد حين انقطع رجاؤه منه [٣] ، ومديحه ليزيد حيناً ولخصومه البرامكة حيناً آخر . واغلب الظن انه كان يعبر عن مذهبه هذا تجاه جميع ممدوحيه حين قال يخاطب الحسن بن عمران بن عمر الطائي :

وَقَفْتُكَ لم أمدَحْكَ لا لِمَذَمَّةٍ ولكنْ تأنَّيتُ انتِجاعَكَ للحمدِ
وإنيَ لا اقفو الثَّناءَ بغيرِهِ ولا أبتَغيهِ قبلَ أنْ يُبتَغَى عندي

ولا غرابة في ذلك في عصر شاع فيه التكسب بالشعر حتى اصبح مهنة يحترفها معظم الشعراء . فها هو بشار يقول لأحد ممدوحيه من البرامكة :

فإنْ تُعطِني أُفرِغْ عليكَ مدائحي وإنْ تأبَ لم يضربْ عليَّ سَدادُ
ركابي على حَرفٍ وقلبي مُشَيِّعٌ وما لي بأرضِ الباخلينَ بلادُ

---

١) تعرضنا لجل ذلك في مواطن مختلفة مما سلف من الكتاب .

٢) انظر القصيدتين الثانية عشرة والرابعة عشرة من الديوان .

٣) مخطوطة دار الكتب للاغاني (عن الدهان ص ٣٨١) .

وها هو ابونواس يقول لخصيب مصر :

انتَ الخصيبُ وهـذه مصرُ ... فتدَفَّقـا فكلاكُما بَحرُ
وَيَحِقُّ لي إذ صرتُ بينَكُما ... أنْ لا يَحُلَّ بساحتي فقرُ

وينتمي جل ممدوحي مسلم الى فئتين : الاولى الخلفاء ، والثانيـة الوزراء والقواد والوجهاء . ولذا ربما كان من الخير للبحث ان نعرض لمدحه لكل فئة على حدة ، في بادىء الامر :

مدحه للخلفاء :

وصل الينا من مدح مسلم للخلفاء خمس قصائد ، اربع منهـا في الرشيد ، والخامسة في الامين . وهو في مدحه للرشيد يظهر تزمتاً وركانة باستثناء واحدة منها قصيرة [١] يستهلها بذكر الخمر ويحتفل فيها بنجاح حجامة للرشيد ويخص فيها اخت الخليفة بأبيات في المديح اكثر مما يخص الخليفة نفسه . ولعـل الامر الاخير ، بصورة خاصة ، يتيح لنا الافتراض ان شاعرنا قد ازدادت دالته على الرشيد في وقت من اوقات حياته بحيث اباح لنفسه هذه الجرأة التي ابعدته عن التوقر في مخاطبة الخلفاء . وربما كانت صلته الوثيقة بالبرامكة من جهة ، وسيطرة هؤلاء على امور الخليفة [٢] من جهة اخرى ، هي التي جعلته لا يتحسب لما قد ينتج عن مثل هذه الجرأة .

وشبيه بهذه القصيدة القصيدة التي مدح بها الامين [٣] وان كان الحافز على عدم التوقر والتزمت فيها عامل آخر يغلب على الظن ان يكون عدم توقر الخليفة السافر [٤] ورغبة الشاعر في الانحراف عن القديم وتقاليده في اواخر ايامه في بغداد ، تلك الرغبة التي يظهر اثرها في مطلع القصيدة على شكل نَبذٍ لعادة القدماء في بكاء ديار الحبيبة ومغانيها حيث يقول : [٥]

١) القصيدة السابعة والخمسون في الديوان ، وتقع في اربعة عشر بيتاً .
٢) انظر الجهشياري ص ٢١٢ - ٢١٤ .
٣) القصيدة الثلاثون في الديوان (الدهان) .
٤) انظر الجهشياري ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
٥) يذكرنا هذا المطلع بمطلع ابي نواس الذي يقول فيه :

مالي بدار خلت من اهلها شغل ... ولا شجاني لهـا شخص ولا طلل
ولا رسـوم ولا ابكي لمـنزلة ... للاهل عنها وللجيران منتقل ... الخ

(ديوان ابي نواس - ط آصاف - ص ٣٢٢) .

شغلي عن الدار أبكيها وأرثيها   اذا خلت من حبيب لي مغانيها
دع الرَّوامِسَ تسفي كلما دَرَجَتْ   تُرابَها ودعِ الامطارَ تُبليها
إن كان فيها الذي أهوَى أقمتُ بها   وإنْ عَداها فمالي لا أُعَدِّيها
أَحَقُّ مَنزِلَةٍ بالتَّركِ مَنزِلَةٌ   تَعَطَّلَتْ مِن هَوى نفسي نَواديها

أما القصائد الاخرى فيظهر فيها التوقر، في الفاظها ومعانيها، حتى وأوزانها. فمن حيث الالفاظ انها تتراح بين الجزالة والميل الى الاغراب مما يقربها من النزعة الارستقراطية في النظم، ويجعلها اثيرة لدى العلماء الذين كانوا يسيطرون الى حد كبير على موقف الخلفاء من الشعر. ومن حيث المعاني انها لا تعرف ميوعة في الغزل، او قصداً لذكر الخمر، او اندفاعاً في الفخر والحديث عن النفس. ولعل هيبة الملك ورهبة السلطان هي التي تحدّ من كل ذلك. واما من حيث الاوزان فان واحدة من هذه القصائد من البحر الطويل [1] والاخريان من البحر البسيط [2]، وكلا الوزنين من البحور الطويلة التي تتلاءم والرغبة في التوقر.

ومسلم في جميع هذه القصائد، او في ما وصلنا منها على الاقل، يمدح الخليفة بنعوت معظمها تقليدي متوارث كالشجاعة والجود ونفاذ الرأي، وبعضها وليد العصر وظروفه، يتناول اعمال الخليفة في الداخل والخارج. فالرشيد جامع لأهواء الناس اذا خرجوا عن الطاعة او اختلفوا في الميول والمشارب:

إذا اختلفتْ أهواءُ قومٍ جمعتَهم   على العفوِ أو حدِّ الحسامِ المُهَنَّدِ

والأمين مثبت للملك حين تزلّ دعائمه ومخمد لنيران الفتنة حين يشبّ أوارها:

يا مُثبتَ المُلكِ إذْ زَلَّتْ دعائِمُهُ   وثارَ بالفِتنةِ العمياءِ باغيها

. . .

أخمدتَ بالشرقِ نيراناً مُؤَجَّجَةً   قد كانَ عزَّ على الاسلامِ مُخبِيها
حتى بُعِثتَ عليها رحمةً فَخَبَتْ   نيرانُها بكَ فانفتَّتْ أفاعيها

ويحاول مسلم، فوق ذلك، ان يجعل من الخليفة حامي الدين، زيادة على حمايته للدولة، فهو «امام» المسلمين ورافع لواء الاسلام، في وقت كثر فيه الشرك وانتشرت البدع. كما يحاول ان يجعل سلطة الخليفة مستمدة من الله،

١) السابعة في الديوان (الدهان)

٢) الرابعة عشرة والحادية والاربعون في الديوان (الدهان)

فالرشيد «خليفة الله» في الارض و «أمينه» ، يحكم باسمه ويستمد سلطانه منه :

خليفةَ اللهِ إنَّ النَّصرَ مُقتَصِرٌ عليكَ مُذْ أنتَ مَبلُوٌّ ومُختَبَرُ

. . .

اليكَ امينَ اللهِ ثارتْ بِنا القَطا بَناتُ الفَلا في كلِّ مِيثٍ مُسَرَّدِ[1]

. . .

والامين «خليفة الله» كذلك و «أمينه» على ما يسبغ على الناس من اياد ويفيء عليهم من نعم :

خليفةَ اللهِ قد ذلَّتْ بطاعَتِهِ صُعْرُ الخدود برغمٍ من مَراقيها

. . .

كم مِن يدٍ لأمينِ اللهِ لو شُكِرَتْ لَقصَّرَ النَّفْسُ عن أدنى أدانيها

. . .

ولا ريب في ان خلفاء بني العباس كانوا يشجعون هذه الدعوة التي تمكن لهم اسباب السلطان كما كان اسلافهم خلفاء بني امية يشجعون دعوة مشابهة.[2] ولعل شاعرنا متأثر بما كان يقوله بعض الشعراء الامويين عن خلفائهم في هذا الصدد ، او لعله واياهم متأثرون بفكرة الشيعة عن امامهم . والواقع ان من يقرأ قول جرير في عبدالملك بن مروان الاموي :[3]

لولا الخليفةُ والقرآن يقرؤه ما قامَ للناسِ أحكامٌ ولا جُمَعُ
انتَ الأمينُ أمينُ اللهِ لا سَرَفٌ فيما وليتَ ولا هَيَّابةٌ ورعُ
انتَ المباركُ يَهدي الله شيعتَهُ إذا تَفرَّقَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

لا يستطيع الا ان يرى وجهاً للشبه كبيراً بينه وبين ما يقوله مسلم في ممدوحيه من خلفاء بني العباس .

مدحه للوزراء والقواد والوجهاء :

وهنا ، كما في مديحه للخلفاء، تتراوح النسبة في التزمت بتراوح علاقة الشاعر بالممدوح. فاذا ازدادت دالته عليه ساق نفسه على سجيتها فأسهب في ذكر الخمرة،

---

١) الميث : اللين من الارض – مسَّرد : متتابع .

٢) انظر التطور والتجديد في الشعر الاموي ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

٣) ديوان جرير ص ٣٥٥-٥٦ .

ترضن سواحكم الأسر كما فعل في بعض مدحه للرشيد . ولعل افضل مثل لهـذا التراوح نجده في قصيدته الرابعة والثلاثين التي يمدح بها محمد بن منصور بن زياد ، وتحرر في غزله ، وتحلل من غريب اللفظ ، وسمح لشخصيته بالظهور ، والا فانه وقصيدته الثانية والعشرين التي يمدح بها زيـد بن مسلم الحنفي [1] . ففي الاولى تحس بكثير من الركانة والاحتساب ، وفي الثانية تشعر بفضل من انسياب نفس الشاعر وانطلاق روحه . ولولا خشية الاطالة لذكرت القصيدتين لتتبين مدى ما قد تعكسه نفسية الشاعر على شعره في ظرفين متغايرين .

ويشمل مديح مسلم لرجال هذه الفئة صفات مختلفة ، معظمهـا تقليدي ، كالجود ، والشجاعة ، والبطش بالاعداء ، والفضل على الاصفياء ، والعفو عند المقدرة ، ونفاذ الرأي ، وكرم المحتد . وهو يعبر عن هذه الصفات بطرق مختلفة ويصورها بصور منوعة : فبينما يعبر عن الجود عند داود بن يزيد بن حاتم ، مثلاً ، بقوله :

أعـطى فأفنى المُنى أدنى عَـطِـيَّـتِـهِ وأرهقَ الوعدَ نُجحاً غيرَ مَنكودِ

وقوله :

لم يَبعَثِ الدَّهرُ يوماً بعدَ لَيلَتِـهِ إلا انبعثتَ له بالبـأسِ والجودِ

يعبر عنه عند محمد بن منصور بن زياد بقوله :

ولهُ إذا غَنِيَ السؤالُ مَـذاهبٌ في الجودِ تَبحثُ عن سؤالِ المُجتَدي

وقوله ايضاً :

أعطيتَ حتى ملَّ سائلُكَ الغِنى وعلوتَ حتى ما يُقالُ لكَ ازْدَدِ

ولعلني لا استطيع الوقوف طويلاً عند امثال هذه الصور الرائعة لأبين مواطن الجمال الفني فيهـا ، فكل منها يمثل لوحة فنية مدهشة تشترك خطوطها والوانها وظلالها الواضحة في ابراز مواطن الجمال فيها . فإفناء داود لمنى قصّاده بتجاوزه كل ما انتهى اليه املهم في العطاء ، وارهاقه وعوده بإتباعها تواً بأفعاله ، وتجديده للجود كلما تعاقب الجديدان ، ومذاهب محمد في البحث عن ذوي الحاجـة « اذا

[1] يغلب على الظن ان ترمته في الاولى دون الثانية ناجم عن خطورة المركز الذي كان يشغله الاول بالنسبة للثاني ، فبينما كان الاول خليفة الفضل بن جعفر عند الرشيد كان الثـاني من الشخصيات التي لم تجد كتب التاريخ خطراً في اهمالها (انظر اللباب ج ١ ص ٣٢٥) .

في السؤال»، واعطاؤه المتتابع الوفير الذي يجعل سائله كارهاً للغنى راغباً عنه – كل هذه صور جميلة مختلفة لمعنى واحد . وهل كان اختلاف الصور للمعنى الواحد الا المظهر البارز لمذهب البديع الذي مسلم أحد زعمائه ؟!

وقد يضيف مسلم الى صفات ممدوحه ، او الصفات التي يرى ان يسبغها عليه بصورة ادق ، ذكر صلاته بالخليفة ، وخطره بالنسبة للدولة والدين ، واعماله . فهو يقول في يزيد بن مزيد :

لولا يزيدُ لأضحَى المُلكُ مُطَّرَحاً ... أو مائلَ السَّمكِ أو مُسترخِيَ الطِّوَلِ
سَلَّ الخليفةُ سيفاً مِن بني مَطرٍ ... أقامَ قائمُهُ مَن كانَ ذا مَيَلِ
كم صائلٍ في ذَرا تمهيدِ مملكةٍ ... لولا يزيدُ بني شيبانَ لم يَصُلِ
نابُ الإمامِ الذي يَفترُّ عنه إذا ... ما افترَّتِ الحربُ عن انيابِها العُصُلِ

. . .

سَدَّ الثُّغورَ يزيدٌ بعدَما انفرَجَتْ ... بِقائمِ السيفِ لا بالختلِ والحِيَلِ

الى ان يقول :

أثبَتَّ سُوقَ بني الاسلامِ فاطَّأَدَتْ ... «يومَ الخليج» وقد قامتْ على زَلَلِ[1]
لولا دفاعُكَ بأسَ الروم اذ بَكرَتْ ... عن عِترَةِ الدِّينِ لم تأمَنْ مِنَ الثُّكلِ
ويوسُفَ البَرْمَ قد صبَّحتَ عسكرَهُ ... بعسكرٍ يَلفِظُ الأقدارَ ذي زَجَلِ

. . .

وسواء أكان مسلم يمدح خليفة ، ام وزيراً ، ام قائداً ، ام وجيهاً ، فان في معظم مدحه قدراً كبيراً من التشابه في الامور التالية :

أ) نهج القصيدة العام . (ب) الاستطراد . (ج) صفات الممدوحين .

أ) نهج القصيدة العام :

ويكاد لا يختلف ، في معظم الاحيان ، عن النهج الذي ذكره ابن قتيبة للقصيدة العربية [2] ، في خطوطه العريضة ، وان كان هناك بالطبع اختلاف في التفاصيل اقتضته روح العصر . ولايضاح ذلك دعنا نستعرض احدى هذه القصائد ، ولتكن القصيدة الاولى من الديوان التي يمدح بها يزيد بن مزيد ، والتي مطلعها :

---

١) اطأدت : ثبتت – يوم الخليج : يوم التقى فيه بالروم . والخليج اسم لنهر صغير في الاناضول.
٢) الشعر والشعراء ص ٢٠ .

أُجرِرتُ حبلَ خليعٍ في الصِّبا غَزِلٍ وشَمَّرَتْ هِمَمُ العُذّالِ في العَذَلِ

يستهل الشاعر هذه القصيدة بأربعة عشر بيتاً في الغزل ثم ينتقل بعد ذلك الى السفر للمدوح ويتخذ لهذا الانتقال وسيلة بيتاً يبرر فيه مديحه للممدوح الذي « أصفاه مودته » على حد قوله . ولا يطيل وصف السفر الذي لا يتجاوز البيتين حتى ينتقل الى المديح في البيت الثامن عشر فيستهله بقوله :

يا مائلَ الرأسِ إنَّ الليثَ مُفترِسٌ مِيلَ الجماجمِ والاعناقِ فاعتَدِلِ

ثم يستمر به الى نهاية القصيدة دون ان ينسى تضمين البيتين الاخيرين التلميح بالسؤال ، على عادته في جل مدائحه :

يأبى لسانُكَ منعَ الجودِ سائلَهُ فما يُلَجلِجُ بينَ الجودِ والبَخَلِ
صَدَّقتَ ظَنّي وصدَّقتَ الظُّنونَ بهِ وحَطَّ جُودُكَ عَقدَ الرَّحلِ عن جَمَلي

وتسير جل مدح مسلم على هذا النهج ، وان كان يلاحظ انها لا تحافظ اجمالا على نفس النسبة بين الاقسام .

ب) الاستطراد :

ضمن هذا الاطار العام للقصيدة يتنقل مسلم من صفة لاخرى او صورة لثانية ، دون ان يجد حرجاً في الاستطراد والعودة الى هذه الصفات والصور ان شعر بأنه لم يوفها حقها من التوكيد ، او رأى في التكرار والاطالة ما يسعف على وفاء القصد . فحين يمدح يزيد بن مزيد – اثيره وحبيبه في وقت من اوقات حياته – في القصيدة السادسة من الديوان مثلاً ، يبدأ بذكر فضله في اخماد فتنة الوليد بن طريف الخارجي فيقول :

لولا يزيدُ وأيامٌ لهُ سَلَفَتْ عاشَ الوليدُ مع الغاوينَ أعواما
سَلَّ الخليفةُ سيفاً مِن بني مَطرٍ يَمضي فيَختَرِقُ الأجسادَ والهاما
كالدهرِ لا ينثني عمَّنْ يَهمُّ بهِ قد أوسَعَ الناسَ إنعاماً وإرغاما
حَمَى الخِلافةَ والاسلامَ فامتَنَعا كالليثِ يحمي معَ الأشبالِ آجاما

ثم ينتقل ، بعد هذه الصورة التي تجمع بين السطوة والشجاعة والكرم ، الى ذكر آباء الممدوح وما خلفوه من ايام مجيدة :

أكرِمْ بهِ وبآباءٍ له سَلفوا أبقَوا من المجدِ أياماً وأياما

ثم يعود الى الممدوح نفسه فيذكر كرمه للمرة الثانية ، كما يذكر رحابة باعه في المجد ورُواءه وبِشره :

تَرَى العُفاةَ عُكوفاً حولَ حُجرَتِهِ   يَرْجُونَ أروعَ رَحْبَ الباعِ بَسّاما

ثم يرجع الى سطوة الممدوح مرة اخرى ولكن بشكل جديد فممدوحه الآن «منية» في يدي الخليفة « يبعثها على اعاديه » :

مَنِيَّةٌ في يَدَي هارونَ يَبعَثُها   على أعادِيه إنْ سامى وإنْ حاما

ثم يعود الى ذكر آبائه وكرم محتده :

خَيرُ البَرِيَّةِ آباءً اذا ذُكِروا   وأكرمُ النـاسِ اخوالاً واعماماً

ثم يرجع الى ما كان قد استهل به مديحه من ذكر الوليد بن طريف واقدام الممدوح وشجاعته :

أردَى الوليدَ هُمامٌ مِن بني مَطَرٍ   يَزيدُهُ الرَّوعُ يومَ الرَّوعِ إقداما

وهكذا يستمر الشاعر في تكرار نعوته وصوره ، ثم يضيف اليهـا نعوتاً جديدة وصوراً جديدة ، ويكرر ايضاً ، حتى يوفي القصيدة البالغة سبعة وثلاثين بيتاً . وهو يبدو في جميع هذا وكأنه يدور في حلقة مفرغة من صفات الممدوح وأعماله في السلم والحرب .

ولعل هذه الظاهرة ، التي تبدو بشكل بارز في الادب العباسي، هي وليدة عصر ساده الشك وأصيب فيه «التصديق» بمحنة شديدة .

ج) صفات الممدوحين :

تبدو في مدائح مسلم بعض الصفات التي يشدد عليهـا الشاعر ويكاد يشرك فيها جل ممدوحيه . فهو ان مدح احداً يصفه عادة بالكرم ، والفتك بالاعداء ، والعفو عن التائبين ، ونفاذ الرأي ، وكرم الاصل. ويسوق كل ذلك بمبالغة يصل فيها الغاية . وقد يبدو للمرء حين يحذف بعض القرائن الدالة ان مسلماً انما يمدح في معظم مدحه نموذجاً بشرياً يمثل المثل الاعلى للرجـل الكامل في عصره . وعلى سبيل المثال سأسوق لك بضعة ابيات يمدح بها يزيد بن مزيد ، وأخرى يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم ، لترى اوجه الشبه بينها . قال في يزيد :

تَشاغَلَ الناسُ بالدنيا وزُخرُفِها   وأنتَ مِن ذاك بالمعروفِ في شُغُلِ

. . .

يَغشى الوغى وشِهابُ الموتِ في يَدِهِ   يَرمي الفوارسَ والأبطالَ بالشُّعَلِ

. . .

تابوا ولو لم يَتوبوا من ذُنوبِهِمُ   لآبَ جيشُكَ بالأسرى وبالنَّفَلِ

. . .

صافي العِيانِ طَموحُ العينِ هِمَّتُهُ   فَكُّ العُناةِ وأَسرُ الفاتِكِ البَطَلِ

. . .

الزائديُّونَ قومٌ في رماحِهِمُ   خوفُ المُخيفِ وأمنُ الخائفِ الوَجِلِ

. . .

وقال في داود :

أعطى فأَفنى المُنى أدنى عَطِيَّتِهِ   وأرهَقَ الوَعدَ نُجحاً غيرَ مَنكودِ

. . .

يَلقَى المَنيَّةَ في أمثالِ عُدَّتِها   كالسيلِ يَقذِفُ جُلموداً بِجُلمودِ

. . .

إنْ تَعْفُ عنهُم فأهلُ العفوِ أنتَ وإن   تُمضِ العِقابَ فأمرٌ غيرُ مردودِ

. . .

مُوَحَّدُ الرأيِ تَنشَقُّ الظُّنونُ لهُ   عن كُلِّ مُلتَبِسٍ منها ومَعقودِ

. . .

إلى بَني حاتِمٍ أدَّى ركائبَنا   خوضُ الدُّجى وسُرى المَهريَّةِ القُودِ [1].

. . .

ولعل مسلماً ، في هذا التشابه في النعوت التي يطلقها على ممدوحيه ، كان يسهم الى حد ما في بناء نموذج المديح الكلاسيكي على الوجه الذي غدا قدامة بن جعفر [2] يروج له في القرنين الثالث والرابع الهجريين .

١) المهرية : منسوبة الى مَهْرَة وهو حيّ من همدان – القود : جمع قوداء ، وهي الطويلة من الخيل وغيرها .

٢) يقول قدامة في الصفحة التاسعة والخمسين من « نقد الشعر » : « انه لما كانت فضائل الناس من حيث انهم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه اهل الألباب من الاتفاق في ذلك ، انما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة ، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الاربع الخصال مصيباً ، والمادح بغيرها مخطئاً ..» والظاهر ان قدامة كان يقصد بالعدل معناه الارسطوطاليسي الواسع ، ولذا اعتبر الجود أحد أقسامه (ص٩٥ ايضاً).

ب . الغزل

وصل الينا غزل مسلم بشكلين : الاول مطالع لمدائحه ، والثاني قصائد او مقطوعات مستقلة غلب ان اختلط فيها بوصف الخمر .

أما غزله الذي من النوع الاول فهو تقليدي في مجمله يحاول ان يقلد فيه في الغالب شعراء الجاهليه وبني امية . ففي مطلع القصيدة الحادية والثلاثين التي يمدح بها منصور بن يزيد ، مثلاً ، تشعر كأنك امام شاعر جاهلي يبكي على ديار الحبيبة التي درست وغير معالمها هبوب الريح ونزول المطر ، بعد ان كانت مرتعاً لأوانس كالدمى عبثت بهن يد الدهر وعملت على تشتيتهن :

هاجتْ وَساوِسَهُ بِرُومَةَ[1] دُورُ ... دُثُرٌ عَفَونَ كأنهنَّ سُطورُ

أهدى لها الإقفارَ حتى أوحشتْ ... من بعدِ أُنسٍ زائرٌ وَغيورُ

جَرَتِ الرياحُ بها وغَيَّرَ رَسمَها ... هَزِمُ الكُلا داني الرَّبابِ مطيرُ[2]

أبكى نعم أبكاهُ رَبعٌ باللِّوَى ... تَسفي عليهِ من العَجاجِ المُورُ[3]

خَلَتِ الديارُ وكانَ يَعهدُ أهلَها ... وأَجَدَّ بالأحباب عنها مَسيرُ

تَاللهِ ما إنْ كادَ يَقتُلُني الهوى ... لولا رُسومٌ بالعَقيقِ ودورُ

ولقد تكونُ بها أوانسُ كالدُّمى ... بيضُ التَّرائبِ ناعماتٌ حورُ

وليس في ما وصل الينا من سيرة مسلم ما ينبىء بأنه زار رومة او وادي العقيق . وسواء زارهما ام لم يزرهما ، فغزله هنا بعيد الصلة ببيئته الحضرية، ومن ثم فهو بعيد الصلة بنفسه ، يبدو فيه اثر التقليد ، وتضيع فيه العاطفة بين ما اندثر من آثار ديار الحبيبة .

وفي مطلع القصيدة الخامسة التي يمدح بها بني جبريل ، والتي يقول فيها :

هَلَّا بَكيتَ ظعائنا وحُمولا ... تَرَكَ الفؤادَ فراقُهُم مَخبولا

أمّا الخليطُ فزائلونَ لفُرقَةٍ ... فمتى تَراهُم راجعينَ قُفولا

أتبَعتُهُم عَينَ الرقيبِ مُخالِساً ... لحظاً كما نَظَرَ الأسيرُ كَليلا

تَاللهِ ما جَهِلَ السرورُ ولا الكَرى ... أنَّ الفِراقَ مِنَ اللقاءِ أُديلا

---

[1] ارص بالمدينة بين الجرف وزغابة، فيها بئر يدعى بئر رومة (معجم البلدان ج ٤ ص ٣٣٦) .

[2] هَزِم : منبعق بالمطر – الكُلا : جمع كلية وهي رقعة المزادة التي عند أصول عُراها. ويضرب هزم الكلا مثلاً للسحاب – الرباب : سحاب صغير .

[3] المور : التراب تثيره الريح فيمور اي يتحرك .

فاذا زَجرتُ القلبَ زادَ وجيبُهُ   واذا حبستُ الدمعَ فاضَ هُمولا
واذا كتمتُ جوى الأسى بَعثَ الهوى   نَفَساً يكونُ على الضميرِ دَليلا

تحس كأنك تستمع الى شاعر من شعراء بني امية يتحدث عن فراق الظعائن، ووداع الخليط، وما يرافق ذلك من جوى في النفس، واضطراب في القلب، وتبجّس في العين. بل لعلك تحس، كما احس شارح الديوان[1]، انك امام جرير نفسه وهو يسوق اليك قصيدته :

بانَ الخليطُ ولو طووِعتُ ما بانا   وَقطَّعوا من حبالِ الوصلِ أقرانا

ومسلم في غزله التقليدي يلح في التقليد احياناً حتى تكاد تنقطع الصلة بين غزله وبين نفسه فتخبو العاطفة ويسيطر الجمود، ويتحلل احياناً اخرى فتنبعث من أرجاء غزله نفحات من عاطفة المحب الحقيقي وشعور المتيم الوله. ولعل علاقته بالممدوح، ومدى ما بينه وبينه من كلفة او أُلفة هي مما يقرر ذلك الى حد بعيد.

وتبرز من خلال بعض مطالع مسلم قصة توبة فهو يقول في مطلع القصيدة العشرين التي يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم :

لا تدعُ بي الشّوقَ إني غيرُ معمودِ   نهى النُّهى عن هوى الهِيفِ الرعاديدِ

ويقول في مطلع القصيدة الرابعة والثلاثين التي يمدح بها محمد بن منصور بن زياد :

عاصى الشبابَ فراحَ غيرَ مُفنَّدِ   وأقامَ بينَ عَزيمةٍ وتجلُّدِ
مُتَحيراً طلعتْ له شمسُ النُّهى   فمشى على سَنَنِ الطريقِ الأقصَدِ

ومن الواضح ان هذه التوبة التي يتحدث عنها هي ليست تلك التي يتحدث عنها الرواة والتي انتهت بصاحبها الى الكف عن قول الشعر وهو في اخريات حياته في جرجان، ان صحت الرواية. واغلب الظن عندي انها توبة مصطنعة طارئة جاءت اثر تشدد الخليفة معه ومع غيره من مجّان الشعراء. فهو يقول في القصيدة الثانية والاربعين.

أَثرْتُ مَطِيَّ القصفِ في مُستَقَرِّهِ   فلا القصفُ متبوعٌ ولا هي ترحَلُ
وأخليتُ مَيدانَ الصِّبا من بَناتِه   وإني بها لَلمُستهامُ المُوكَّلُ

...

---

[1]) انظر شرح الطبيخي للبيت الثاني من المطلع (الديوان ص ٥٣ - الدهان).

غدا ببناتِ اللهوِ عني أميرُهـا — وأثكلنيهنّ الإمامُ المعدَّلُ

ولعل معاصره ابا نواس كان اصرح منه في عرض الموقف الذي ادّى الى مثل هذه التوبة او اصطناعها حين قال: [1]

أعاذلَ بعتُ الجهلَ حيثُ يُباعُ — وأبرزتُ رأسي ما عليه قِناعُ
نهاني أميرُ المؤمنين عن الصِّبا — وأمرُ أميرِ المؤمنينَ مُطاعُ
ولهوٍ لتأنيبِ الإمامِ تركتُهُ — وفيهِ للاهٍ منظرٌ وسَماعُ
وَرَيّانَ من ماءِ الشبابِ كأنما — يُظمأُ من ضُمْرِ الحشا، ويُجاعُ
قصَرتُ عليهِ النفسَ دونَ مُدامةٍ — هيَ اليومَ حربُ وهي أمسِ شياعُ

وسواء توقف مسلم عن التصابي نتيجة لهذه التوبة او لم يتوقف، فانها لا بد ان قد حدّت من نشاطه في باب الغزل على الاقل، لفترة ما.

اما غزله الذي من النوع الثاني فتتمثل في معظمه حياته اللاهية وعواطفه الحقيقية، الى حد كبير. وقد قلنا معظمه لانه لا يخلو كذلك من اثر التقليد والتأثر، كما سنرى. وقبل ان نعرض لهذا النوع من الغزل فنتحدث عن وجوهه المختلفة، لا بد من ان نعرف شيئاً عن حب مسلم وطبيعة هذا الحب لنستعين بذلك على فهم هذه الوجوه وتبين مدى اصالة العاطفة في كل منهما.

ذكر الاصبهاني [2] رواية عن محمد بن يزيد قال:

«كان السبب في قول مسلم:

تدّعي الشّوقَ إنْ نأتْ — وَتجنّى إذا دنَتْ

انه علق جارية ذات خطر وشرف .. وكانت له جارية يرسلها اليها، ويبثها سره، وتعود اليه باخبارها ورسائلها ... وكان مسلم يحب جاريته هذه محبة شديدة، ولم يكن يهوى تلك انما كان يريد الغزل والمجون والمراسلة وان يشيع له حديث بهواها. وكان يرى ذلك من الملاحة والظرف والادب.»

واذا صحت هذه الرواية كان لمسلم لونان من الحب: حب حقيقي «شديد»، وحب مصطنع زائف يريد فيه الغزل والمجون والمراسلة وحديث الناس، تظرفاً

١) ديوان ابي نواس (الغزالي) ص ١٢ .
٢) مخطوطة دار الكتب المصرية للاغاني ج ١٧ (عن الدهان ص ٣٦٥) .

وملاحة . والحب الاول هو الذي يعنينا امره بصورة خاصة فهو مصدر الالهام في غزل مسلم ، والمعين الذي تستقي منه عواطفه الحقيقية . ولكن السؤال الذي يتبادر الى الذهن الآن هو « من أحب ؟ » .

تتردد في شعره الغزلي الاسماء التالية : سحر ، رضى ، قاتول ، العامرية ، سلمى ، أروى ، زينب ، ليلى . فهل هذه الاسماء ترمز لحبيبات حقيقية كانت له معهن صلات عاطفية ؟ أغلب الظن عندي ان بعضها كان كذلك ، وان ما يحتمل معنى الصفة منها قد يرمز الى نساء حرائر او جوارٍ «ذوات خطر وشرف» احبهن ، او شاء التظرف بحبهن، ولكنه قصد الى اخفاء اسمائهن الحقيقية حرصاً وحذراً . ودليلي على ذلك ما يقوله على لسان سحر التي يتغزل بها في اكثر من موضع واحد في الديوان :

وَصَلناهُ فكلَّمَنا بسحرٍ كذلكَ كلُّ مَلّاقٍ خَلوبِ

ومهما يكن من امر ، فالذي يبدو من هذه الاسماء ، ومما يمكن ان ينم عنه لقبه « صريع الغواني » ، انه لم يقصر حبه على فتاة واحدة ملكت عليه قلبه واستأثرت بعواطفه ، بل كان يتنقل في هذا الحب بين شتّى الغواني، يترسم فيهن مواطن الجمال ويقاسمهن أعشار القلب .

ويؤخذ مما يتكرر كثيراً في ديوانه من معانٍ تتصل بهذا الحب انه كان «ماجناً» «خالعاً عذاره» فيه ، وانه اكثر ما كان يتجه فيه نحو مواطن الشهوة في جسم المرأة . ومن الواضح ان المعاني التي يكثر الشاعر من تكرارها تمثل الى حد بعيد ميوله واهواءه الخاصة ، في الغالب .

ولئن كان يبرز لنا احياناً بعض ابيات في العفة وهو يصف خلواته بالحبيب او طيفه [١] ، فأغلب الظن انه لم يقصدنا بهذه الابيات وانما قصد السلطان او من يتصل بالسلطان . وليس لدينا ما يمكن ان يبرر مثل هذه العفة ونحن نعلم من سيرة الرجل انه كان عشير ابي نواس والحسين الخليع واضرابهما ، وانه خادع صديقه دعبلاً وفتك بجارية احضرها لبيته .

واذا درسنا الآن غزله الذي اودعه قصائد ومقطوعات مستقلة على نور من هذه الحقائق عن حياته وحبه ، وجدنا انه لا ينسجم جميعه معها، ومن ثم فهو لا ينسجم بأسره مع نفس صاحبه . فبينما نرى صاحبه يمجن حيناً فيقول :

١) انظر ص ٦٢ و ٢٢٧ من الديوان (الدهان) حيث يذكر هذه العفة .

فقَطفتُ رمّانَ الصدورِ لِلذةٍ ولمستُ أردافاً كفِعلِ اللاعبِ

نراه يتذمم حيناً آخر ويقول :

ثم افترقْنا ولم نأثَمْ ونحنُ كذا نَهوَى التّلاقي وما مِن شأنِنا الرِّيَبُ

ولا شك في ان وقوع الكثير من مثل هذا التناقض وعدم الانسجام يمكن ان يعزى الى تقليد الشاعر لغيره في معانٍ تتصل بفنه ولا تتصل بحياته. والظاهر ان مسلماً أسرف في التقليد في غزله، وتنوع فيه ، بحيث اصبحت تتلاقى في هذا الغزل معظم المدارس التي سبقته والتي عاصرته . فهو احياناً يطرق اساليب العذريين في اظهار الوله وشدة الوجد فيقول :

واني لأخلو مُذ فقدتُكِ دائباً فأنقشُ تمثالاً لوجهِكِ في التُّربِ[1]

ويقول :

فما حزَنَني أني أموتُ صبابةً ولكنْ على مَن لا يَحِلُّ له قتلي
أُحِبُّ التي صَدَّتْ وقالتْ لِتِربِها : دَعيهِ الثُّريّا منه أقربُ مِن وَصلي
أماتتْ وأُحيتْ مُهجتي فهيَ عندَها مُعلَّقةٌ بينَ المواعيدِ والمَطلِ

بل انه قد يصطنع العفة تشبهاً بهم ويذكر انه لم ينل من حبيبته نائلا ، وانه يتأثر من سبقه من «العشاق مثل عروة بن حزام، وعمرو بن عجلان ، وقيس بن ذريح» – كما يقول شارح الديوان[2] :

وما نِلتُ منها نائلاً غيرَ أنني بِشَجوِ المحبينَ الأُلى سلَفوا قَبلي

واحياناً ينتحي نحو الحضريين فيقفو اثر زعيمهم عمر ، ويصطنع اساليبه في القص والحوار ، وذكر الكتب ، وتصوير شخصية المرأة،ورسم ميولها واهوائها وطرق تفكيرها . ففي القصيدة الخامسة والعشرين[3] يبدأ بذكر الكتب التي

---

١) يذكرني هذا بقول ذي الرمة :

عشية مالي حيلة غير انني بلقط الحصى والخط في الترب مولع
اخط وامحو الخط ثم اعيده بكفي والغربان في الدار وقع

٢) انظر حاشية ص ٣٤ من شرح الديوان للدهان .

٣) الواقع ان اثر عمر البارز فيه يتجاوز هذه القصيدة الى القصيدة الثالثة والعشرين ، والثانية والثلاثين، والتاسعة والعشرين . وتشبه القصيدة الاخيرة قصيدة عمر « ليلة ذي دوران » شبهاً كبيراً ، وان كانت تختلف عنها في اشتمالها على وصف الخمر وفي كونها اكثر منها جرأة . ومن الجدير بالذكر ان عمر ذهب الى الكوفة(الاغاني ١/٦٧، «عمر ابن ابي ربيعة» ٢/٨٦)، وانه كان معروفاً فيها (الاغاني ١/١٤٢) وأثيراً (الاغاني ١/٣٦) حين كانت تتأهب لتلقين مسلم عبقريته الشعرية .

كان يتبادلها مع الحبيبة فيقول :

كِتابُ فتىً أخي كَلَفٍ طَروبِ   إلى خَودٍ مُنَعَّمَةٍ لَعوبِ
صَبَوتُ إليكِ من حُزنٍ وشوقٍ   وقد يَصبو المحبُّ الى الحبيبِ ...

ثم ينتقل الى حديثها مع أترابها ، فيجعلها تستهل الحديث بذكر فتنتها وجمالها : فهي شمس لا تغيب ، برّأها الله من كل عيب ، وجعل فيها من السحر ما لو كلمت معه انساناً مريضاً لما احتاج لطبيب يشفيه :

وقد قالتْ لِبيضٍ آنِساتٍ   يَصِدنَ قلوبَ شبانٍ وشيبِ :
أنا الشمسُ المضيئةُ حينَ تَبدو   ولكنْ لستُ أُعرَفُ بالمَغيبِ
بَراني اللهُ ربي اذ بَراني   مُبَرّأةً سَلِمتُ من العُيوبِ
فلو كَلَّمتُ إنساناً مريضاً   لما احتاجَ المريضُ الى الطبيبِ

وتستمر في وصف خلقها وجسمها وجلدها وريقها في كثير من الدل الى ان يقطع اترابها عليها الحديث بالتوسط لهذا الغريب الكئيب ، الهائم في حبها :

فَقلْنَ لها : صَدَقتِ فهل عَطَفتُمْ   على رَجُلٍ يَهيمُ بِكُمْ كئيبِ
غَريبٍ قد أتاكِ فأَطلِقيهِ   فإن الأجرَ يُطْلَبُ في الغريبِ

ولا تلبث حتى تجيبهن بمنطق المرأة المدلّة التي قد تتخذ من اتفه الامور سبباً للقطيعة ، ومن تهافت الرجل سبباً للهجران .

فقالت : قد بَدَتْ منهُ هَناتٌ   وقد تَبدو الهَناتُ من المُريبِ
وَصَلْناهُ فكَلَّمَنا « بِسِحرٍ »   كذلكَ كلُّ مَلّاقٍ خَلوبِ

وفي معظم الاحيان يتمثل مدرسة بشار في الغزل الحسي الماجن [١] ، فلا يرى في الحب غير دواعي اللذة ، ولا يرى في المرأة غير ما يثير الشهوة ، ولا يعرف من الغزل غير الصور المادية الفاحشة . والواقع ان هذا اللون من غزل مسلم هو الذي يسود الديوان وهو الذي تتمثل فيه حياته اللاهية ، ولذا فسنفرد له بحثاً خاصاً .

غزله الماجن :

المرأة في نظر مسلم ألعوبة للهو ، لا يرى منها الا كونها مجموعة أعضاء ينبه

١) ينتمي الى هذه المدرسة ابونواس وابو هفّان والحسين الخليع واضرابهم . وقد لا يختلف عنهم مسلم الا في كونه يكاد يقصر غزله على النساء دون الغلمان .

كل منها الحس ويثير الشهوة ، فهي صدر وجيد وساق وأرداف . فاذا ما خلا بها ونهاه حبها عن الفتك – على حد قوله – لا يقف مكتوف اليدين ولا «يتبتل»، بل يروح يحمّشها : يمسك مكان المخلخل ويخليه، وينازل الجيد، ويعانق، ويقبّل:

نَهاني عنها حبُّها ان أسوءَها ... بلمسٍ فلم أفتُكْ ولم أتبَتّلِ
أخذتُ لِطَرفِ العَينِ منها نصيبَهُ ... وأخليتُ من كفّي مكانَ المُخَلخلِ
سَقتني بِعَينيها الهوى وسقيتُها ... فدبَّ دبيبَ الرّاحِ في كلِّ مَفصِلِ
وإن شِئتُ ان ألتَذَّ نازلتُ جيدَها ... فعانقتُ دونَ الجيدِ نظمَ القَرَنفُلِ
أُنازعُها سرَّ الحديث وتارةً رُضاباً ... لذيذَ الطعمِ عذبَ المُقَبَّلِ

وان لم ينهه هذا الحب أسفَّ وفتك :

شربتُ ونادَمَني شادِنٌ ... صغيرٌ واني أُحبُّ الصِّغارا
فما زِلتُ أسقيه حتى إذا ... ثَنى طَرْفَهُ نَشوَةً واستَدارا
نهضتُ اليه فقبَّلتُهُ ... وعانقتُهُ وحللتُ الإزارا
وقد زادَني طرباً نحوَهُ ... مُضاجَعَةُ الياسَمينِ العَرارا
أتاني لها شِعرُ ذي قُدرَةٍ ... على الشِّعرِ قد قالَ فِيَّ اقتِدارا
فقُلْ لِرِضى قد رَضينا بكم ... وإنْ كنتُ لستُ أُريدُ الخِيارا

ويلاحظ ان هذا الغزل تنبعث منه رائحة الخمرة وتشيع فيه روح الحضارة ، فالحبيبة فيه مثقفة تراسل بالشعر ، ويطيّب مجالسها عبير الزهور . فهو غزل حضري اذن ولكنه يختلف عن غزل عمر في انه اكثر منه فحشاً وأشد مجوناً .

وأهم الصفات التي يرددها مسلم وهو يصف حبيباته هي: «خود» ، «خريدة» «منعَّمة» ، «لعوب» ، «نجلاء» ، «حوراء» ، «وَسنانة» ، «ذات غُنَّة» ، «بيضاء اللون» ، «حمراء الوجه» ، «فاحمة الشعر» ، «رقيقة الجلد» ، «ناعمة» ، «فعمة مكمن الحجل» ، «مثقلة الأرداف» ، «هضيمة الكشحين» . ويبدو من هذه الصفات التي تمثل المثل الأعلى للجمال عنده ، على ما يظهر ، ان مرتع هواه كان في الغالب بين الجواري وبين جيل جديد من الحسان يجمع بين بياض اللون وفحمة الشعر . كما تبدو من كثرة ترديده للصفتين الأخيرتين ، بالنسبة لباقي الصفات ، نظرته المادية الوضيعة للمرأة ، فهو يقول في موضع :

وأعقِدُ مِئزَري عَقداً ضعيفاً على دِعصٍ رُكامٍ من كثِيبِ[1]

ويقول في موضع آخر :

اذا أطاعتْ عصاها ثِقلُ رادِفِها كالدِّعصِ يَفرَعُهُ غُصنٌ مِنَ البانِ

ويقول في موضع ثالث :

ومَمكورَةٍ رُودِ الشبابِ كأنَّها قضيبٌ على دِعصٍ مِن الرملِ أهْيَلِ[2]

ويقول في موضع رابع :

وَمُخطَفِ الخصرِ في أردافِهِ عَمَمٌ يَميسُ في خامَةٍ رَقّتْ حواشيها[3]

ومن الواضح ان هذا المعنى قديم ردده الشعراء القدامى وعكسوا فيه النظرية الجاهلية في الجمال النسوي . غير انه يبدو انه لاقى هوى عند مسلم فكرره وتفنن فيه .

ويسرف مسلم في اظهار اثر الحب في نفسه في غزله هذا ، فالحب يسلب عقله وقلبه :

سَلَبَ الهوى عقلي وقلبي عَنوَةً لم يُبقِ مني غيرَ جسمٍ شاحِبِ

وهو يوهنه ويشفُّه :

أوهَنَني حُبُّ مَن شغفتُ بهِ حتى بَراني وشَفّني الوَهَنُ

بل انه يهلكه ويميته :

ها قد هَلكتُ ومُتُّ مِن ألَمِ الهوى قوموا فعَزّوا مَعشَري وأقاربي

. . .

وا بأبي مَن يقولُ لي : بِأبي، ومَن فؤادي لديهِ مُرتَهَنُ
يَطلُبُني حُبُّهُ لِيَقتُلَني وليسَ بيني وبينَهُ إحَنُ

اما الحبيب فأكثر ما يقف منه موقفاً سلبياً ، فهو صادّ هاجر في معظم الاحيان :

---

١) الدِّعص : كثيب الرمل المجتمع .

٢) ممكورة : ضامرة البطن – رود الشباب : صغيرة السن ناعمة الخلق .

٣) مخطف الخصر : رقيقه – عمم : امتلاء .

أَشْعَبْتِ قلبي بالهوى وصَدَعتِـهِ بالهَجرِ منكِ فمـا لهُ مِن شاعِبِ
سأموتُ مِن كَمَدٍ وَتبقى حاجَتي فيما لديكِ وما لهـا من طالِبِ

وكذلك طيفه فانه كثيراً ما يجانبه :

عَجَباً لِطَيفِ خيالِكِ المُتَجانِبِ ولقلبِكِ المُستَعتِبِ المتَغاضِب[1]

ولذا فان صاحبنا كثير البكاء كثير الشكوى :

أبكي وقـد ذهبَ الفؤادُ وإنمـا أبكي لِفَقدِكِ لا لِفَقدِ الذّاهِبِ

. . .

أعشَبَ خَدّي مِنَ البُكاءِ وقـد أورَقَ غُصنُ الهوى على كَبِدي

ولعمري ان حباً كهذا يجمع فيه صاحبه بين شدة الوجد ، والحزن ، وتلف النفس ، شديد الشبه بعشق المتصوفة . ويغلب على ظني ان صاحبه متأثر فيه بالحركة الصوفية التي اخذت تتبلور في زمنه ، ومدفوع اليه — الى حد ما — بلقبه الذي أُسبغ عليه وهو في اوائل عنفوانه الشعري .

وكثير من المعاني التي يطرقها مسلم في غزله للتعبير عن هذا الحب طرقها من سبقه ومن عاصره من شعراء الحواضر [2] ولاسيما ما يتعلق منهـا بالطيف والعذّال والرقباء .

اما العاطفة في هذا الغزل فهي فاترة في الغالب . ولعله لا غرابة في ذلك ، فالعاطفة العنيفة الملتهبة لا تحيا الا في ظل الحرمان والجوع الجنسي ، ولا تفره الا في حال الحب المخلص الصادق الذي يستأثر فيه بقلب الشاعر حبيب واحد ، يتحكم به ، ويثير فيه كوامن الجوى ولواعج الوجد .

والقارىء لغزل مسلم يشعر بأنه يستعين على فتور العاطفة بالتوسع في وصفها . واحسب ان محاولة كهذه كثيراً ما تستحث خيال الشاعر وتفتق امامه معانٍ جديدة ، او على الاقل ، جوانب جديدة لمعانٍ قديمة .

ج — وصف الخمرة :

وصف الخمرة قبل عهد مسلم شعراء كثيرون ، منهم الاعشى وابو ذؤيب

---

١) المستعتب : الساخط .

٢) انظر العمدة ج ١ ص ١٥٠ .

الهذلي وامرؤ القيس من الجاهليين ، والاخطل والفرزدق والوليد بن يزيد من الامويين ، ومطيع بن اياس وعبدالله بن ربعي [١] من المخضرمين . ووصفها في عهده جماعة عكفوا على شربها ووقفوا عليها قسطاً كبيراً من حياتهم وتفكيرهم اهمهم بشار وحماد عجرد والحسين بن الضحاك وابونواس . وقد قدر لمسلم ان يتصل بطائفة من هذه الجماعة ويشترك في مجالسها ، يشاطرها الكؤوس ويسهم معها في وصف الخمرة وما يتصل بها . ولقد توسع في ذلك وأجاد بالنسبة لأسلافه ومعاصريه حتى غدا بعض الرواة يقرنونه بأبي نواس سيد هذا الباب في الشعر العربي [٢].

ولا ريب في ان بيئته ساعدته على ذلك فقد شاع في زمنه شرب الخمرة وكثرت حاناتها وانتشرت مجالسها . وكان لاقبال معظم الخلفاء على شربها اثر كبير في تهافت الناس عليها واقبال الشعراء على وصفها والتغني بمحاسنها . كما كان لشيوعها في اوساط الفرس – «وهم اهل عبث وغرام بالشراب» [٣] – اثر كبير على شيوعها في اوساط العرب . زد على ذلك ان وجود فئتين من الناس ، احداهما غالبة والاخرى مغلوبة كان له اثر كبير في اقبال الناس عليها ، فالغالب يقبل عليها عادة ليضاعف سروره بما اكتسب ، والمغلوب يلجأ اليها ليهرب عن عالمه المرير ويتسلى بها عما فقد .

ومهما يكن الامر ، فقد شرب مسلم الخمرة وأحبها حتى كاد يقبل بالجيد منها ثمناً لأهله ووطنه ، فقد قال :

لقد كِدتُ مِن حُبٍّ خمرِ البَليخِ أنْ اجعلَ الشامَ أهلاً ودارا

وعلى ذلك فاننا نراه يخصها بقسط من نتاجه العقلي اورده الديوان إما على شكل قصائد ومقطوعات ضمّنها الغزل في الغالب ، او على شكل مطالع لقصائد في المديح اشتملت على الغزل ايضاً .

ويتوسع مسلم في وصف الخمرة فيصف لونها ويقول :

---

١) المكنى بأبي الهندي (انظر طبقات ابن المعتز ص ١٣٦ ، وتطور الخمريات في الشعر العربي ص ١٦٣) .

٢) روى صاحب الاغاني عن محمد بن يزيد المبرّد انه قال : « كان مسلم شاعراً حسن النمط جيد القول في الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى » . الدهان ص ٣٦٤ (عن مخطوطة دار الكتب المصرية للاغاني) .

٣) تطور الخمريات في الشعر العربي ص ١٢٧ .

وسُلافةٍ صهبـاءَ بِنتِ سُلافـةٍ صفراءَ لمّـا تُعصَرِ التّسليـلا

. . .

كُمَيتٍ رَحيـقٍ اذا صُفّقَتْ أطارتْ على حافتَيهـا الشّرارا [1]

. . .

صَفراءَ من حلَبِ الكرومِ كَسَوتُها بيضاءَ من صَوبِ الغُيومِ البُجَّسِ

ويذكر اختلاف هذا اللون باختلاف حالتها بين المزج وعدمه :

حمراءَ إنْ برزتْ صفراءَ إن مُزِجَتْ كأنَّ فيها شَرارَ النارِ تَلتَهِبُ

ويلاحظ انعكاس هذا اللون على يد المدير :

مُحمَرَّةٌ كفٌّ ساقيهـا بحُمرَتِها كأنّما هو بالفِرصـادِ مُختَضِبُ

. . .

اذا مَسَّها السّاقي أعارتْ بنانَـهُ جلابيبَ كالجاديِّ من لونِها صُفرا [2]

ويصف رائحتها كذلك فيقول :

كأنّما ضُمِّنَتْ مِسكاً يَفوحُ بـهِ أو عَنبرَ الهِندِ أو طيباً مِنَ السَّخَبِ [3]

ويتحدث عن مزجها بالماء ويصف حالتها بعد المزج فيقول :

كأنَّ حَبابَ الماءِ حـينَ يَشُجُّها لآلئُ عِقدٍ في دماليجَ أو حِجلِ [4]

. . .

كأنّها وسِنانُ الماءِ يقتُلُهـا عقيقةٌ ضحكتْ في عارضٍ بَرِدِ

. . .

لَطفَ المِزاجُ لها فَزَيّنَ كأسَها بِقِـلادةٍ جُعِلَتْ لهـا إكليلا

ويشوقه ان يخلق صورة فنية رائعة لعملية المزج هذه فيصف ما ينجم عنها من حباب ابيض كأنه جنيّ النرجس ، ومن تغيُّر في اللون يقربهـا من الشهولة . ويلمح بأثرها على شاربيها قبل القتل وبعده في بدعة لطيفة طريفة يستعير لأثر

١) صفّق الشراب : حوّله ممزوجاً من اناء لآخر ليصفو .

٢) الجاديّ : الزعفران .

٣) السخب : حب القرنفل .

٤) دماليج : اساور تحبس في الاعضاء .

المزج فيها بَسمة تكشف عن اللون الحادث وتنم عن قلة الحدة وذهاب الجهل :

مُزِجَتْ ولاوذها الحَبابُ فحاكَها فكأنَّ حِليتَها جَنيُّ النَّرجِسِ
وكأنَّها والماءُ يطلبُ حلمَها لهَبٌ تلاطِمُهُ الصَّبا في مَقْبَسِ[1]
جَهِلَتْ فداری جهلَها فتبسَّمتْ عن مُشرَبٍ لونَ الشُّهولةِ أعيَسِ[2]

ويصف كذلك اصلها وصنعها وتعتيقها فيقول :

ولَدَيهِمُ كَرْخِيَّةٌ شَمسيةٌ قد خُلِّيَتْ في دَنِّها أحوالا

. . .

لم تُوطَ في حوضٍ ولكنْ خُلِّيَتْ حتى جَرى منها السُّلافُ فَسالا

. . .

فقامَ يَسعى الى دَنٍّ فَسَلَّلَها حمراءَ بِكراً لها عَشرٌ من الحِقَبِ

. . .

لم يَغْذُها بِمَصيفِ القَيظِ بائعُها ولا غَذاها بِحَرِّ الشمسِ واللهَبِ

. . .

مُعتَّقَةً لا تشتكي وَطْءَ عاصرٍ حرَورِيَّةً في جوفِها دمُها يَغلي[3]

ولا يضن على دنّها بوصفه فيقول :

أناخَ عليها أغبرُ اللونِ أجوفٌ فصارتْ له قَلباً وصارَ لها صَدرا

. . .

شَققنا لها في الدَّنِّ عَيناً فأسبلَتْ كما أسبلتْ عينُ الخريدِ بلا كُحلِ[4]

وقد يعاملها معاملة الكائن الحي ، فهي عنده فتاة مخدرة بكر ، لها نسب ، ولها خطّاب يطلبونها من اهلها فيغلون فيها المهر لانها عزيزة عليهم اثيرة فيهم . يقول :

وَبِنتِ مَجوسيٍّ أبوها حليلُها اذا نُسِبَتْ لم تَعدُ نسبتُها «النهرا»

. . .

---

١) الصَّبا : الريح الشرقية – المقبس : الموقد .

٢) تبسَّمت : اي اظهرت لونها كالضَّاحك الذي يدل بتبسمه على سرورة – الاعيس : ما كان لونه بين البياض والحمرة .

٣) حرورية : منسوبة الى حرَوراء وهي موضع بظاهر الكوفة .

٤) امرأة خريد او خريدة : محتشمة حيية .

مَحجوبةٌ من عُيونِ الناسِ ليسَ لها	في غيرِ بَيتِ بني ساسانَ مِن نَسَبِ

. . .

حتى إذا بلغتْ وحانَ خِطابُها	ساومتُ صاحبَها البياعَ فغالى

. . .

بعَثنا لها مِنّا خطيباً لبَضْعِها	فجاءَ بها يَمشي العِرَضْنَةَ في مَهلِ[1]

رَقى ربَّها حتى احتواها مُغالِياً	عقيلَتَهُ دونَ الاقاربِ والأهلِ

ثم انه يصف مجالسها باسهاب فيذكر الكؤوس والساقي او الساقية والندماء وآلات الطرب . ويقول في وصف احد هذه المجالس :

وسادةٍ سُراةٍ	ما فيهِمُ مَسُودُ

. . .

يُسقَونَ صفوَ راحٍ	لَذيذُها مَوجودُ

. . .

وَعِندَنا غَزالٌ	بِطَرْفِهِ يَصيدُ

. . .

فلم يَزَلْ يَسقينا	وعيشُنا رَغيدُ

. . .

في مجلسٍ نَضيرٍ	يَزينُهُ الشُّهودُ

غَطارِفٌ كِرامٌ	بيضُ الوجوهِ صِيدُ

مِن فوقِهِمْ أطيارٌ	صِياحُها تَغريدُ

وَتحتَهُمْ جِنانٌ	نباتُها نَضيدُ

أكواسُهُم مِلاءٌ	طافِحَةٌ رُكودُ

قد قُلِّدَتْ بِآسٍ	فَزانَها التَّقليدُ

مِثلُ بناتِ ماءٍ	أفزَعَها الرُّعودُ

فَمَرَّةً رُكوعٌ	ومرَّةً سُجودُ

وعندَهُم دِفافٌ	وزامِرٌ وَعُودُ

خاضوا ببحرِ قَصفٍ	تَجري له مُدودُ[2]

---

١) العرضنة : مشي في انحراف من التيه .

٢) القصف : اللهو ورجة الأوتار .

حتى انتَشَوا وقامُوا مجلِسُهُم محمـــودُ
مَن قالَ مِثلَ هذا فانـــهُ سعيـــدُ
هذا الُخلودُ عنـدي لو دامَ لي الُخـلودُ

وندماء مسلم هنا « سادة سراة » يطوف عليهم بلذيذ الراح ساقٍ كالغزال ، يصيدهم بطرفه ويسكرهم براحة . وهم ينتشون بكؤوس ملاء طافحة قلدتهـا رسوم الآس ، فوقهم طيور مغردة ، وتحتهم جنان نضيدة ، وبينهم معـازف وقصف ... ولعمري انها صورة حضرية لاهية ينتزعها مسلم من بيئته . غير ان هذه البيئة – كما يبدو – لم تشأ الا ان تتمثل بوجهها الآخر لتكون الصورة كاملة معبرة عن وجهي بغداد والكوفة في عهد مسلم ، فكان هذا الجانب الذي فيـه ذكر الركوع والسجود المنتزع من حياة المدينتين الدينية آنذاك .

ولا يضن علينا مسلم بذكر أثر الخمرة في الجسم والنفس كما يراه او كما يراه خلانه . اما في الجسم فهي تختلط بدم الشارب لتنبعث ناراً متأججة في وجهه :

خَلطنا دماً من كَرمَةٍ بدمائِنا فأَظهَرَ في الألوانِ منّا الدّمَ الدّمُ

...

فأَغضَتْ وللأكواسِ في وجهِ ربِّهـا لَهيبٌ كلونِ الوَردِ أو هو أضرَمُ

وهي تشيع في جسده لتعقل رجليه وتقيده :

أنْهضتُـهُ مِن بعدِ ما أسكَرتُـهُ فمَشى كأنَّ برجلِـهِ عُقـّالا

...

إذا ما علَـتْ منّا ذُؤابةَ شاربٍ تَمَشَّتْ بهِ مَشْيَ المُقَيَّدِ بالوَحلِ

واما في النفس فهي تقتل وتميت ، وقتلها عنده غيبوبة محببة او نوم لطيف يحضر إليه طيف الحبيبة فيجلب الى قلبه السرور والغبطة :

أماتَتْ نفوساً من حيـاةٍ قريبـةٍ وفاتَتْ فلم تُطلَبْ بتَبْلٍ ولاذَحلِ

...

إلى أنْ دعا للسُّكرِ داعٍ فَمُوِّتوا وكان مُديرُ الكأسِ أحسنَهُمْ سُكرا

...

وَيَقظى يَبيتُ القومُ فيها بِسَكرةٍ ... بِصهباءَ صَرعاها من السُّكرِ نُوَّمُ

. . .

حتى إذا الرّاحُ قامتْ عنهُ فترتُها ... رِيعَ الكَرى وأقامتْ حسرةُ الخَلَدِ

وهي ايضاً تستخرج سر الضمير وتشيع في النفس الخيلاء حتى ليخيل الى شاربها انه ملك :

بَعَثَتْ إلى سِرِّ الضَّميرِ فجاءَها ... سَلِساً على هَذَرِ اللسانِ مَقولا

. . .

إذا ما تَحسّاها الحليمُ أخو النُّهى ... أسَرَّ بِها كِبراً وأبدَى بها كِبرا

. . .

ومانِحَهٍ شُرّابَها المُلكَ قَهوةٍ ... مَجوسِيَّةِ الأنسابِ مُسلِمَةِ البَعلِ

وهي فوق ذلك تزيل الغم وتقتل هموم النفس وتشيع السرور وتبعث على الكرم :

تَصُدُّ بنَفْسِ المرءِ عَمّا يَغُمُّهُ ... وتُنطِقُ بالمعروفِ ألسنةَ البُخلِ

. . .

وَصِرفٍ رُصافِيَّةٍ قَهوةٍ ... تُميتُ الهُمومَ وتُبدي السِّرارا

. . .

رَكِبوا المُدامَ فأدبَرَتْ بِهِمُ على ... سُبُلِ السُّرورِ وأقبلَت إقبالا

وهكذا يستمر مسلم في التحدث عن الخمرة وما يتصل بها، من نعوت وأوانٍ ومجالس وأثر ، بمعانٍ كثيراً ما تتكرر عنده . ويلاحظ على خمرياته ظاهرتان بارزتان :

الاولى : ان جلها يقترن بالغزل .

والثانية : ان الكثير من معانيها وارد عند غيره من الشعراء ، ممن سبقوه او عاصروه .

اما الظاهرة الاولى فشبيهة بما نجده في شعر الوليد بن يزيد[1]، وابي الهندي[2]،

---

١) انظر ديوانه نشر المستشرق الايطالي ف. جبريالي .

٢) انظر طبقات ابن المعتز ص ١٣٦ – ١٤٣ .

وبعض شعر ابي نواس [١] . وتعليلها ان لذاذة صاحبنا الكبرى كانت في اجتماع النساء والخمرة ، بل ان شعاره في الحياة كان الجمع بينهما . فهو يقول كما نعلم :

هَلِ العَيشُ الاان تروحَ مع الصِّبا وتَغدو صريعَ الكأسِ والأعين النُّجل [٢]

وعلى الرغم من ان حدّي هذا الشعار كانا عزيزين على مسلم ، فانه يبدو انهما لم يكونا متكافئين في نظره . ولعله كان يرى في الخمرة لذة مسعفة للذة اعظم هي لذة الاجتماع بالنساء :

فكنتُ نديمَ الكأسِ حتى إذا انقضَتْ تَعوَّضْتُ عنها ريقَ حوراءَ عيْطَلِ [٣]

بل لعله كان لا يضيره ان يترك الخمرة لندمائه ويدعي الكف عن شربها ان استطاع التعويض عنها بغادة حسناء ينهل من « خمر طرفها » ويعب من رحيق ريقها :

خُذاها فأمّا أنتَ فاشربْ وهاتِها لِأسْقِيَها هذا مُعتَّقَةً بِكرا
وهاتِ اسقِني من طَرْفِها خمرَ طَرْفِها فإنّي امرؤٌ آليتُ لا أشربُ الخمرا

واما الظاهرة الثانية فربما كان من اسبابها ان موضوع الخمر هو موضوع محدود من السهل استنفاد معانيه ، ولذا كان مجال النقل والتقليد ، ومن ثم التشابه ، فيه واسعاً بين الشعراء . وحتى ابو نواس ، اكثر شعراء الخمر تفنناً وابتكاراً ، لا يخلو شعره من اثر التقليد والنقل في هذا الباب . ويبدو انه اخذ الكثير من معانيه فيه عن ابي الهندي [٤] ، والحسين بن الضحّاك [٥] ، والوليد بن

---

١) انظر خمرياته في ديوانه . ويلاحظ ان اكثر الغزل الذي يضمنه بعضها هو غزل بالمذكر .

٢) يذكرني هذا بشعار ابي الهندي الذي يقول :

انما العيش فتاة غادة وقعودي عاكفاً في بيت حان
أشرب الخمر واعصى من نهى عن طِلابِ الراح والبيض الحسان

(طبقات ابن المعتز ص ١٣٨) .

٣) عيطل : خالية من الحلي .

٤) ذكر ابن المعتز انه «كان جماعة مثل ابي نواس والخليع وابي هفّان وطبقتهم انما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر ابي الهندي ، وبما استنبطوا من معاني شعره » . طبقات الشعراء ص ١٤٢ . وانظر ايضاً الاغاني ج ٢١ ص ١٧٧،١٧٨ .

٥) قال الاصبهاني في سيرة الحسين بن الضحّاك : « وكان ابونواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها . واذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس الى ابي نواس . وله معانٍ في صفتها ابدع فيها وسبق اليها فاستعارها ابونواس » . (الاغاني ج ٦ ص ١٧٠) .

يزيد[1] – ان صحت الروايات .

ولعلنا لا نستطيع تبرئة مسلم في هذا المضمار، وذلك لامرين: الاول: التشابه الذي نراه بين معانيه ومعاني من سبقه من الشعراء ، بصورة خاصة .

والثاني : عدم التآلف الذي نلحظه بين بعض معانيه ذاتها .

اما الامر الاول فان شدته واتساع مداه لا يدعان مجالاً للافتراض بأنه قد يكون وليد الصدفة . ويخيل اليّ انني لا استطيع ان انقل صورة قريبة من الحقيقة لهذا التشابه دون ان اضع بين يدي القارىء جميع خمريات شاعرنا من جهة ، وجميع خمريات الأعشى وأبي ذؤيب الهذلي والاخطل والوليد بن يزيد وأبي الهندي والحسين بن الضحّاك وغيرهم ، من جهة اخرى . ومع ذلك فلا يسعني الا ان انقل بعض الامثلة فلعل ذلك يساعد على اظهار جانب من هذه الصورة ، مهما كان ضئيلاً :

(١) قال الاعشى يصف أثر الخمرة[2] :

مِن قهوةٍ صينتْ ببابلَ حِقبَةً   تَدَعُ الفتى مَلِكاً أغرَّ مُتَوَّجا

وقال المنخّل اليشكري :

واذا شربتُ فانني   ربُّ الشُّوَيهَةِ والبعيرِ

ثم قال مسلم :

ومانِحَةٍ شُرّابَها المُلكَ قَهوةٍ   مَجوسيَّةِ الانسابِ مُسلِمَةِ البَعلِ

(٢) قال ابو ذؤيب الهذلي يشبّه لونها بالدم[3] :

إذا فُضَّتْ خواتِمُها وفُكَّتْ   يُقالُ لها دمُ الوَدجِ الذبيحِ

وقال مسلم :

كأنَّ فَنيقاً بازِلاً شُكَّ نَحرُهُ   إذا ما استَدَرَّتْ كالشُّعاعِ على البَزلِ[4]

---

١) وقال ايضاً في صدد حديثه عن الوليد بن يزيد : « وللوليد في ذكر الخمر وصفتها اشعار كثيرة قد اخذها الشعراء فأدخلوها في اشعارهم ، سلخوا معانيها وابونواس خاصة فانه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضيع منه ، ولولا كراهة التطويل لذكرتها ههنا على انها تنبيء عن نفسها » (الاغاني ج ٦ ص ١١٠) .

٢) تطور الخمريات في الشعر العربي ص ٦١ .

٣) نفسه ص ٤٤ .

٤) الفنيق : الجمل الاحمر – البازل : الذي بزل نابه اي شقّ اللثة – والبَزل : شق الدّن .

(٣) وقال الاخطل يشبهها بالنار [1] :

فصبّوا عُقاراً في الإناءِ كأنّها — اذا لَمَحوها — جُذوةٌ تتأكّلُ

وقال مسلم :

وكأنّها والماءُ يطلبُ حِلمَها لهبٌ تلاطِمُهُ الصّبا في مَقْبَسِ

(٤) وقال ابوالهندي يصف الاباريق [2] :

مُفدَّمةً قزّاً كأنَّ رقابَها رِقابُ بناتِ الماءِ أفزَعَها الرّعدُ

وقال مسلم يصف الكؤوس :

قد قُلِّدَتْ بآسٍ فزانَها التّقليدُ

مِثلُ بناتِ ماءٍ أفزَعَها الرُّعودُ

ويضيق بنا المجال عن ايراد شواهد اكثر ، غير انه تجدر الملاحظة ان مسلماً هنا يضفي على ما يتناول من معانٍ قديمة طريقته الخاصة من نقل المعنى من حالة لأخرى او التوسع في الصورة والميل بها نحو التمثيل والابداع .

أما الامر الثاني الذي يتعلق بعدم التآلف بين بعض معانيه فيجعلنا نرجح استقاءه بعض المتنافر منها ، على الاقل ، من مصادر مختلفة . وكمثل على ذلك اورد البيتين التاليين اللذين قالهما مسلم في معرض ذكره للخمرة التي يفضلها :

١. تُنْمى إلى الشمسِ في إغذائها ولها من الرّضاعَةِ في حرِّ الهَجيرِ أبُ

٢. لم يَغذُها بِمَصيفِ القَيظِ بائِعُها ولا غَذاها بِحَرِّ الشمسِ واللهبِ

ومن الواضح اننا لا نستطيع التوفيق بسهولة بين تفضيله للخمرة التي اختمرت في الشمس في الحالة الاولى ، وللخمرة التي لم تختمر فيها في الحالة الثانية ، الا على اساس افتراض اخذه احد المعنيين عن شاعر آخر ، او كليهما عن شاعرين مختلفين.

على ان التشابه بين مسلم وغيره من الشعراء في موضوع الخمرة لا يقتصر على من سبقه منهم — كما علمنا — بل يتعدى ذلك الى بعض شعراء عصره ، ولا سيما ابي نواس.

---

١) تطور الخمريات في الشعر العربي ص ١٥٩ .

٢) طبقات ابن المعتز ص ١٤٠ .

وتشابه التراث الخمري الذي يغلب ان يكونا قد نهلا منه [١] ، وتماثل الظروف التي عاشا فيها ، واتصالهما ببعضهما في كثير من مجالس الخمرة ، كل ذلك يفسر ما نلحظه من تشابه في معانيهما الخمرية ومعجمها الخمري . وكشاهد على هذا التشابه دعني اورد الامثلة التالية التي يمكن ان تعطي فكرة عنه ، وان كانت ، لقلتها ، لا يمكن ان تبين وجوهه المختلفة ومداه :

يقول ابو نواس [٢] :

تَسقيكَ من عينِها خمراً ومِن يدِها خمراً فما لكَ من سُكرينِ مِن بُدِّ

ويقول مسلم :

وهاتِ اسقِني من طَرْفِها خمرَ طَرفِها فإني امرؤٌ آليتُ لا أشربُ الخمرا

ويقول ابو نواس [٣] :

مِنَ اللواتي خَطبناها على عَجَلٍ لمـا عَجَجنا برَبّاتِ الحوانيتِ

ويقول مسلم :

بعثنا لها مِنّا خطيباً لِبَضعِها فجاءَ بها يَمشي العِرَضْنَةَ في مَهلِ

ويقول ابونواس [٤] :

كريمـةٌ أصغرُ آبائِهـا إن نُسبتْ كسرى وسابورُ

ويقول مسلم :

مَحجوبةٌ من عُيونِ الناسِ ليسَ لها في غيرِ بيتِ بني ساسانَ من نَسَبِ

ورغم ما نراه من تشابه بين الشاعرين في هذا المضمار فان هناك فروقاً اساسية بينهما فيه في الواقع . فمسلم لم يصل الى الحد الذي وصل اليه ابونواس من عشق الخمرة وتقمّص روحها – ان صح لنا هذا التعبير . ولئن كان العيش عند مسلم هو بالجمع بين النساء والخمرة ، فهو عند رفيقه انما يكون بالخمر وحده :

---

١) يقول البهبيتي ان مسلماً وأبا نواس « يأخذان عن الوليد بن يزيد مذهبه في وصف الخمر اخذاً يبلغ حد الاغارة » (تاريخ الشعر العربي ص ٣٧٥) . ومن المعلوم ان اهم ظاهرة في مذهب الوليد هي الجمع بين وصف الخمرة والغزل .

٢) ديوان ابي نواس (الغزالي) ص ٢٧ .

٣) نفسه ص ٣٨ .

٤) نفسه ص ١٤ .

فما الطيشُ إلا أن تَرانِيَ صاحِياً   وما العيشُ إلا ان ألَذَّ فأسكرا[1]

واذا كانت فتاة مسلم «المخدرة» «البكر» يجري بها «بعلها» في عالم الحس ، فان فتاة ابي‌نواس «المخدرة» «البكر» ايضاً قد «انتقل بها صاحبها من الحسية، الى المعنوية، فجعلها وفكرة، شائعة تحس بها الروح ولا تدرك لها كنهاً ... واخذ شعوره بها يقترب من شعور المتصوفين بالآلهة ، فلها آلاء واسماء حسنى ولها صفات تجل عن الشبه والمثل[2]» .

وبينما نرى ان اكثر خمريات ابي‌نواس يسودها الغلمان وترتسم فيها حياة الفجور والفحش ، نرى معظم خمريات مسلم يسودها التغزل بالنساء وتجري في وسط اقل فحشاً ، في الجملة .

ولئن كان عنصر القصص يجتمع بعنصر الوصف في كثير من خمريات ابي نواس فان خمريات مسلم بأسرها تكاد تقتصر على الوصف دون غيره .

وقصائد مسلم في الخمر – باستثناء قصيدتين نوهنا بهما قبلاً – اكثر تقيداً ، في جملتها ، من قصائد ابي نواس واجرى منها في باب الصنعة والبديع .

ومسلم لا يتخذ من خمرياته سوى معرض للهوه وحسب بينما يتخذ منها زميله، عدا ذلك ، معرضاً لآرائه الادبية والاجتماعية والسياسية : ففيها يدعو لاستبدال المطالع التي تقوم على بكاء الديار والتحدث عن الاطلال بذكر الخمرة ومجالسها ، وفيها يعيب حياة الاعراب الجديبة ، وفيها يعتز بقومه الفرس .

ولئن كان مسلم ، في النهاية ، يظلع وراء زميله في هذا الباب ، فانه في الواقع يسير في الطليعة فيه بالنسبة لشعراء العربية الآخرين .

---

١) ديوان ابي نواس (الغزالي) ص ١٠١ .

٢) مقدمة ديوان ابي‌نواس (الغزالي) ص (ص)

خاتمة

عرضنا في هذه الرسالة لسيرة مسلم وشعره ، وأبنا ان ابرز ما في الرجل هو اتخاذه البديع مذهباً وتحويله إياه الى مدرسة . والسؤال الذي يتبادر الى الذهن الآن هو عن الاثر الذي خلفه وراءه في الشعر العباسي والدور الحقيقي الذي قام به في امتداد مدرسته الى ما بعده .

يذكر الرواة ابياتاً من الشعر لبعض الشعراء العباسيين يدعون بانهم اخذوا معانيها عن ابيات لمسلم (١) . وان صح هذا فلا قيمة له ولا خطر في حركة الشعر العامة . ويذكرون كذلك ان ابا تمّام — زعيم مدرسة البديع — كان شديد الولع بشعر مسلم (٢) ، كما يذكرون انه تأثر به في بديعه (٣) . وقد يكون غرضهم من هذا الغض من قيمة ابي تمام احياناً ، او الاشادة بفضل مسلم في امتداد هذا المذهب احياناً اخرى . غير ان الامر ، في الواقع ، اعمق من هذا ، فسواء وجد مسلم ام لم يوجد كان لا بد لهذا المذهب من ان يستمر باستمرار الاسباب التي أدت الى ظهوره ، فهو مظهر ادبي لظاهرة اجتماعية حضارية . وكل ما قام به مسلم في هذا الصدد هو انه جرّأ الناس عليه بالاكثار منه ، ومن ثم ساعد على انتشاره والاسراع في عملية تبلوره عند ابي تمّام .

وعلى اي حال ، فلئن لم يكن لمسلم من فضل سوى انه كان احد اولئك الذين قاموا بحركة في الشعر نشّطت حركة النقد ، ومالت به نحو المنهجية ، وحثّت علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين — بصورة خاصة — على التأليف في السّرَق ، والخصومة حول الشعراء ، والموازنة بينهم ، وطبقاتهم ، وفي معايير الشعر وقواعده (٤) . أقول ، لو لم يكن له من فضل سوى انه كان من اولئك الذين اغنوا تراثنا الادبي ، لكان له فضل عظيم .

---

١) انظر الاغاني ج ١٨ ص٣٢ ، ودي خويه ص ٢٩٨ و٢٩٩ و٣٠٠ ، والدهان ص٤٤٣.

٢) مخطوطة ميونيخ للاغاني (عن دي خويه ص ٢٤٧) .

٣) الموازنة ص ١٧ .

٤) انظر كتاب قواعد الشعر لثعلب ص ١٣ — ١٨ ، ومقدمة محمد عزام لديوان ابي تمام ج ١ ص ١٧ — ٢٠ .

كشاف المصادر والمراجع

أ) العربية :

المصادر والمراجع الاولية :

١) الآمدي ، ابو القاسم الحسن بن بشر – الموازنة بين الطائيين (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) ، مطبعة السعادة. القاهرة (١٩٥٤ م) .

٢) ابن ابي اصيبعة ، ابو العباس احمد – عيون الانباء في طبقات الاطبـــاء ، المطبعة الوهبية . القاهرة (١٨٨٢ م).

٣) ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن محمد :

(ا) اسد الغابة في معرفة الصحابة – جمعية المعارف . القاهرة (١٢٨٠ هـ.)

(ب) الكامل في التاريخ – ادارة الطباعة المنيرية . القـــاهرة (١٣٤٨ – ٥٧ هـ) .

(ج) اللباب في تهذيب الانساب – مكتبة القدسي . القاهرة (١٣٥٧ هـ) .

٤) ابن الاحنف ، العباس – ديوان العبـاس بن الاحنف ، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي . مصر (بدون تاريخ)

٥) ابن برد ، بشّار – ديوان بشار بن برد (نشر محمد الطاهر بن عاشور) لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٠ م) .

٦) ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف – النجوم الزاهرة ، دار الكتب المصرية . القاهرة (١٩٣٠ م) .

٧) ابن جعفر ، ابو الفرج قدامة : (ا) نقد الشعر – مكتبة الخانجي. مصر (١٩٤٩ م)

(ب) نقد النشر – لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٣٧ م) .

٨) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي – نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس . مطبعة السعادة . مصر (١٩٢٨ م) .

٩) ابن حجة ، تقي الدين ابو بكر ابن علي الحموي – خزانة الادب وغـاية الارب ، مصر (١٢٩١ هـ) .

١٠) ابن حزم ، ابو محمد علي بن سعيد الاندلسي – جمهرة انساب العرب، ادارة المعارف . مصر (١٩٤٨ م) .

١١) ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابراهيم – وفيات الاعيان (تحقيق محمد محي الدين) ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة (١٩٤٨ م) .

١٢) ابن رشيق ، ابو علي الحسن بن علي القيرواني – العمدة في صنـاعة الشعر ونقده ، مطبعة امين هندية . مصر (١٩٢٥ م) .

١٣) ابن سعد ، ابو عبدالله محمد بن منيع – كتاب الطبقات الكبير (تحقيق ادوارد سخو) ، ليدن ، بريل (١٣٢١–١٣٣٨ هـ) .

١٤) ابن طباطبا، محمد بن احمد: (ا) عيـار الشعر ، شركة فن الطباعة . مصر (١٩٥٦م) .

(ب) الفخري في الآداب السلطانية – المطبعة الرحمانية . مصر (١٣٣٩هـ)

١٥) ابن عبد ربه، ابو عمر احمد بن محمد – العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة (١٩٤٠ – ٥٣ م) .

١٦) ابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم – الشعر والشعراء (تحقيق احمد محمد شاكر). دار أحياء الكتب العربية. القاهرة (١٣٦٤ – ٦٦هـ).

١٧) ابن المعتز، ابو العباس عبدالله : (ا) طبقات الشعراء (تحقيق عبد الستار فراج) دار المعارف . القاهرة (١٩٥٦ م) .

(ب) كتاب البديع (تحقيق كراتشقوفسكي) لوزاك . لندن (١٩٣٥ م)

١٨) ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم – لسان العرب ، دار صـادر . بيروت (١٩٥٥–٥٦ م) .

١٩) ابن النديم، ابو الفرج محمد بن اسحق – الفهرست (تحقيق غوستاف فلوغل) ليبزغ (١٨٧١–٧٢م).

٢٠) أبو تمّام، حبيب بن أوس : (ا) ديوان أبي تمّام (شرح ابي زكريا يحيى ابن علي التبريزي، ونشر محمد عبده عزّام) – دار المعارف. مصر (١٩٥١م)
(ب) ديوان الحماسة (شرح أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي) – لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة (١٩٥١ م)

٢١) ابو العتاهية، ابو اسحق اسماعيل – الانوار الزاهية في ديوان ابي العتاهية، مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت (١٨٨٦ م).

٢٢) ابو نواس، الحسن بن هانىء (أ) ديوان ابي نواس (نشر اسكندر آصاف)، القاهرة (١٨٩٨ م).
(ب) ديوان ابي نواس (نشر احمد عبد المجيد الغزالي)، مطبعة مصر. مصر (١٩٥٣ م).

٢٣) الاصبهاني، ابو الفرج علي بن الحسين – الاغاني، بولاق. القاهرة (١٢٨٥هـ)، دار الكتب. القاهرة (١٩٢٧ م)

٢٤) الانصاري، ابن منظور – اخبار ابي نواس، مطبعة المعارف. بغداد (١٩٥٢ م).

٢٥) البكري، ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز – سمط اللآلي .. في شرح امالي القالي، لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة (١٩٣٦ م).

٢٦) البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى – فتوح البلدان، ليدن. بريل (١٨٥٦م).

٢٧) البيتي، السيد جعفر بن السيد محمد السقاف – مواسم الادب وآثار العجم والعرب جمالي وخانجي. القاهرة (١٣٢٦ هـ).

٢٨) التنوخي، ابو علي المحسن بن علي – المستجاد من فعلات الاجواد، المجمع العلمي العربي. دمشق (١٩٤٦ م).

٢٩) الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك (ا) لطائف المعـــارف ، بولاق . مصر (١٢٩٦ هـ) .
(ب) احسن ما سمعت ، الطبعة الثانيـــة . مصر (بدون تاريخ) .

٣٠) ثعلب ، ابوالعباس أحمد - قواعد الشعر (شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي) مطبعة البابي الحلبي . مصر (١٩٤٨ م) .

٣١) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (أ) البيان والتبيين (تحقيق هارون) لجنة التأليف والترجمـــة والنشر . القاهرة (١٩٤٨ - ٥٠م) .
(ب) الحيوان (تحقيق هارون) ، عيسى البابي . القاهرة (١٩٣٨ - ٤٥م) .
(ج) المحاسن والاضداد ، مطبعة الساحل الجنوبي . بيروت (بدون تاريخ)

٣٢) الجرجاني ، عبدالقاهر - اسرار البلاغة (تحقيق هـ. ريتر) مطبعة وزارة المعارف . استانبول (١٩٥٤ م)

٣٣) الجرجاني ، علي بن عبدالعزيز - الوساطة بين المتنبي وخصومه. دار احياء الكتب العربية . مصر (١٩٥١ م) .

٣٤) جرير بن عطيه بن الخطفى - ديوان جرير (شرح محمد اسماعيـــل عبدالله الصاوي) مطبعة الصاوي . القاهرة (١٣٥٣ هـ) .

٣٥) الجهشياري ، محمد بن عبدوس - كتاب الوزراء والكتّاب ،مصطفى البابي. القاهرة (١٩٣٨ م).

٣٦) الحصري ، ابواسحق ابراهيم بن علي . زهر الآداب وثمر الالباب (تحقيق زكي مبارك) المطبعة الرحمانية . مصر (١٩٢٩ م) .

٣٧) الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي - تاريخ بغداد او مدينة السلام مكتبة الخانجي . القاهرة (١٩٣١ م) .

٣٨) الخفاجي ، ابن سنان - سر الفصاحـــة . مكتبة الخانجي . القاهرة (١٩٣٢ م) .

٣٩) الدهان ، سامي – شرح ديوان صريع الغواني ، دار المعارف . مصر (١٩٥٧ م) .

٤٠) دي خويه ، ميشيل – ديوان ابي الوليد مسلم بن الوليد الانصاري، ليدن ، بريل (١٨٧٥ م)

٤١) الرومي، ابوعبدالله شهاب الدين ياقوت (ا) معجم الادباء – دار المأمون . مصر (١٩٣٦ م) .
(ب) معجم البلدان ، مطبعة السعادة . مصر (١٩٠٦ م) .

٤٢) الزبيدي ، ابوبكر محمد بن الحسن – طبقات النحويين واللغويين ، مطبعة الخانجي . مصر (١٩٥٤ م) .

٤٣) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن ابن ابي بكر (ا) الاشباه والنظائر في النحو ، مطبعة دار المعارف العثمانية. حيدر آباد الدكن (١٣٥٩ هـ)
(ب) المزهر في علوم اللغة وانواعها، مكتبة صبيح. القاهرة (بدون تاريخ).

٤٤) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك : (ا) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ، مطبعة الموسوعات . القاهرة (١٩٢٦ م).
(ب) الغيث المنسجم في شرح لامية العجم ، المطبعة الوطنية . مصر (١٣٠٥ هـ) .
(ج) نكت الهميان في نكت العميان ، المكتبة التجارية . القاهرة (١٩١١ م) .

٤٥) الصولي ، ابوبكر محمد بن يحيى (ا) اخبار ابي تمام، لجنة التأليف والترجمة

والنشر . القاهرة (١٩٣٧ م) .
(ب) الاوراق ، مطبعة السعادة . مصر (١٩٠٧ م) .

٤٦) الطبري ، ابوجعفر محمد بن جرير – تاريخ الرسل والملوك . ليدن ، بريل (١٨٧٩–١٩٠١ م) .

٤٧) العباسي ، ابو الفتح عبدالرحيم بن عبدالرحمن – معاهد التنصيص ، مصر (١٢٧٤ هـ) .

٤٨) العسكري ، ابوهلال – كتاب الصناعتين ، مطبعة محمد علي صبيح بالازهر ، مصر (بدون تاريخ) .

٤٩) القالي ، ابوعلي اسماعيل بن القاسم – الامالي والنوادر ، دار الكتب المصرية . القاهرة (١٩٢٦ م)

٥٠) القرشي ، ابو زيد محمد بن ابي الخطاب – جمهرة اشعار العرب ، المطبعة الخيرية . مصر (١٣٣٠ هـ) .

٥١) القزويني ، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن – التخليص في علوم البلاغة ، المكتبة التجارية الكبرى . مصر (١٩٣٢ هـ) .

٥٢) القفطي ، جمال الدين ابو الحسن – اخبار العلماء باخبار الحكماء ، مطبعة السعادة . مصر (١٣٢٦ هـ) .

٥٣) المتنبي ، ابوالطيب احمد بن الحسين–ديوان المتنبي «التبيان في شرح الديوان» (شرح ابي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري) مطبعة البابي ، مصر (١٩٣٦ م)

٥٤) المرزباني، ابوعبدالله محمد بن عمران (ا) معجم الشعراء (ومعه المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء ...) مكتبة القدسي. القاهرة ١٣٥٤هـ)
(ب) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء جمعية نشر الكتب المصرية . القاهرة (١٣٤٣ هـ) .

٥٥) المسعودي ، ابوالحسن علي بن الحسين – مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق باربيه دي مينار) ، باريس (١٨٧٢ م).

٥٦) المعري ، ابوالعلاء احمد بن عبدالله : (ا) سقط الزند، مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة(١٩٤٥–٤٨م).
(ب) الفصول والغايات ، مطبعة حجازي . القاهرة (١٩٣٨ م).

٥٧) المهزمي ، ابو هفان عبدالله بن احمد – اخبار ابي نواس ، مكتبة مصر . القاهرة (١٩٥٣ م) .

٥٨) الموسوي ، العباس بن علي الحسيني – نزهة الجليس ، المطبعة الوهبية . القاهرة (١٢٩٣ ﻫ) .

٥٩) النويري ، ابو العباس احمد – نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب المصرية . القاهرة (١٩٢٣ – ٥٥م) .

٦٠) الوطواط ، جمال الدين محمد بن ابراهيم – غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة . بولاق . القاهرة (١٢٨٤ ﻫ) .

المراجع الثانوية

٦١) ابراهيم ، طه محمد – تاريخ النقد الادبي عند العرب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة (١٩٣٧ م) .

٦٢) ابو رحاب ، حسان – الغزل عند العرب، مطبعة مصر . القاهرة(١٩٤٧م)

٦٣) ارسططاليس – كتاب الخطابة (ترجمة ابراهيم سلامة) مكتبة الانجلو المصرية . مصر (١٩٥٠ م) .

٦٤) امير علي ، مولاوي سيد – مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة (١٩٣٨ م) .

٦٥) امين ، احمد – ضحى الاسلام ، لجنة التأليف والترجمة والنشر . مصر (١٩٣٣–٣٦م) .

٦٦) الامين ، محسن (ا) اعيان الشيعة ، دمشق وبيروت (١٩٣٦–٥٧ م) .
(ب) ابونواس، مطبعة الاتقان. دمشق (١٩٤٧ م) .

٦٧) اوليري ، دي لاسي – انتقال علوم الاغريق الى العرب ، ترجمة بيثون والثعالبي . مطبعة الرابطة . بغداد (١٩٥٨م) .

٦٨) بدوي ، عبدالرحمن – من تاريخ الالحاد في الاسلام، مكتبة النهضة المصرية القاهرة (١٩٤٥ م) .

٧٩) البراقي ، حسين بن السيد احمد – تاريخ الكوفة ، المطبعة المرتضوية الحيدرية . النجف (١٣٥٦هـ) .

٧٠) البهبيتي ، نجيب محمد (ا) ابوتمام الطائي ، حياته وحياة شعره ، دار الكتب المصرية . القاهرة (١٩٤٥ م) .
(ب) تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري دار الكتب المصرية . القاهرة (١٩٥٠ م).

٧١) جبريالي ، ف. – ديوان الوليد بن يزيد ، مطبعة ابن زيدون . دمشق (١٩٣٧م) .

٧٢) جبور ، جبرائيل سليمان – عمر ابن ابي ربيعة ، المطبعة الاميركانية . بيروت (ج١/ ١٩٣٥ ، ج٢/ ١٩٣٩ م).

٧٣) الجواري ، احمد عبد الستار – الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري. دار الكشاف . بيروت (١٩٥٦م).

٧٤) حتي ، جرجي ، جبور – تاريخ العرب (مطول) ، دار الكشاف . بيروت (١٩٥٢م)

٧٥) حسين ، طه – في الادب الجاهلي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة (١٩٣٣م) .

٧٦) خلف الله ، محمد احمد – صاحب الاغاني ابو الفرج الاصفهاني الراوية مطبعة نهضة مصر . مصر (١٩٥٣ م).

٧٧) دعبل « اسم مستعار » – ابونواس عالم حر ، مطبعة الهلال . بغداد (١٩٥٠م).

٧٨) الدوري، عبد العزيز – النظم الاسلامية، مطبعة نجيب. بغداد (١٩٥٠م).

٨٩) الرافعي ، مصطفى صادق – تاريخ آداب العرب ، مطبعة الاستقامة . مصر (١٩٤٠ م) .

٨٠) رفاعي ، احمد فريد – عصر المأمون ، دار الكتب المصرية . القاهرة (١٩٢٧ م.)

٨١) الزركلي ، خير الدين – الاعلام ، المطبعة العربية . مصر (١٩٢٧–٢٨م).

٨٢) زيدان ، جرجي – (ا) تاريخ آداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال. مصر (١٩٢٤ – ٣٠ م) .

(ب) تاريخ التمدن الاسلامي – مطبعة الهلال . القاهرة (١٩٣١ – ٣٥م) .

٨٣) سعيد ، جميل – تطور الخمريات في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة (١٩٤٥م) .

٨٤) سلامة ، ابراهيم – بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ، مكتبة الانجلو المصرية . مصر (١٩٥٢ م) .

٨٥) سلطان ، محمد جميل–صريع الغواني، مطبعة الترقي . دمشق (١٩٣٢ م)

٨٦) ضيف ، شوقي (ا) التطور والتجديد في الشعر الاموي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة (١٩٥٢ م) .

(ب) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، مكتبة الاندلس . بيروت (١٩٥٦ م) .

٨٧) الطبّاع ، عبدالله انيس – الحب والغزل بين الجاهلية والاسلام ، دار الكشاف . بيروت (بدون تاريخ) .

٧٨) العقاد ، عباس محمود – ابونواس الحسن بن هانىء ... ، مطبعة الرسالة . مصر (بدون تاريخ) .

٩٩) علوان ، حسن – صريع الغواني ، مسلم بن الوليد . المطبعة النموذجية . مصر (١٩٤٩ م) .

٩٠) عنبر ، احمد محمد — قضية الادب بين اللفظ والمعنى ، دار الكتاب العربي مصر (١٩٥٤ م) .

٩١) غريب ، روز — النقد الجمال واثره في النقد العربي ، دار العلم للملايين . بيروت (١٩٥٢ م) .

٩٢) فاخوري ، حنا « والجر ، خليل » تاريخ الفلسفة العربية ، دار المعارف . بيروت (١٩٥٨ م) .

٩٣) فرّاج ، عبد الستار احمد — نديم الخلفاء ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٥٢ م)

٩٤) قمير ، يوحنا — اصول الفلسفة العربيـة ، المطبعة الكاثوليكية . بيروت (١٩٥٨ م) .

٩٥) الكفراوي ، محمد عبدالعزيز — الشعر العربي بين الجمود والتطور ، مكتبة نهضة مصر . القاهرة (١٩٥٨ م) .

٩٦) لويس ، برنارد — العرب في التاريخ ، دار العلم للملايين . بيروت (١٩٥٤م) .

٩٧) ماسينيون ، ل — خطط الكوفة (ترجمة المصعبي) مطبعة العرفان . صيدا (١٩٣٩ م) .

٩٨) مبارك ، زكي — النثر الفني في القرن الرابع ، دار الكتب المصرية . القاهرة (١٩٣٤ م) .

١٠٩) مندور ، محمد — النقد المنهجي عند العرب ، مكتبة النهضة المصرية . مصر (١٩٤٨م) .

١٠٠) نالينو ، كارلو — تاريخ الآداب العربية من الجاهليـة حتى عصر بني امية دار المعارف . مصر (١٩٥٤ م) .

١٠١) هدارة ، محمد مصطفى — مشكلة السرقات في النقد العربي ، لجنة البيان العربي . القاهرة (١٩٥٠م) .

المخطوطات

١) مخطوطة ميونيخ للسفر الخامس من الاغاني «نقلا عن دي خويه» .

٢) 〃 دار الكتب المصرية للجزء السابع عشر من الاغاني « عن الدهان »

٣) 〃 غوطا للاغاني « عن دي خويه والدهان » .

٤) 〃 ليدن لجمهرة الاسلام ، للشيرزي «عن دي خويه والدهان» .

٥) 〃 ليدن للمحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، للسري الرفاء « عن دي خويه والدهان » .

٦) مخطوطة كيمبردج للموازنة « عن مصور لها في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت (No. Qq 286

(ب) الاجنبية

1. Encyclopaedia of Islam
   Articles on : 1– Gurgan, by W. Barthold.
   2– Al-Kufa, by K. V. Zetterstéen.
   3– Muslim B. Al-Walid, by Ign. Kratschkowsky).

2. Brockelmann, Carl-Geschichte der Arabischen Litteratur 1, Leiden, Brill, 1943, and Supplement No. 1, Leiden, Brill. 1937.

3. Browne, Edward G. – A Literary History of Persia, Cambridge University Press, 1906-1928.

4. De Goeje's Latin preface of Muslim's Diwan. (translated into English by F. L. Kent).

5. Nicholson, Reynold A.– A Literary History of the Arabs, University Press, Cambridge, 1953.

6. O'leary, De Lacy: (a) Arabic Thought and its Place in History. Routledge & Kegan Paul Ltd. , London, 1954.
   (b) How Greek Science passed to the Arabs, Routledge, London, 1948.

7. Zambaur, Eduard de–Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. Hanovre, Lafaire, 1927.

سلسلة العلوم الشرقية

(١) – (٣) مجموعة الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا للدكتور أسد رستم، المجلدات الاول والثاني والخامس سنة ١٩٢٠–١٩٣٣

(٤) – امراء غسان لثيودور نولدكه . ترجمة الاستاذين بندلي جوزي وقسطنطين زريق سنة ١٩٣٣

(٥) مجموعة الاصول العربية ... للدكتور اسد رستم، المجلدان (الثالث والرابع) سنة ١٩٣٤

(٦) اليزيدية قديماً وحديثاً للأمير اسماعيل جول نشره الدكتور قسطنطين زريق سنة ١٩٣٤

(٧) عمر ابن أبي ربيعة للاستاذ جبرائيل جبور. الجزء الاول: عصره سنة ١٩٣٥

(٨) أسباب الحملة المصرية على سوريا كما تظهر في سجلات عابدين الملكة للدكتور اسد رستم سنة ١٩٣٦

(٩) تاريخ ابن الفرات : لناصر الدين ابن عبد الرحيم ابن الفرات المجلد التاسع، الجزء الاول . نشره الدكتور قسطنطين زريق سنة ١٩٣٦

(١٠) تاريخ ابن الفرات: المجلد التاسع، الجزء الثاني. حققه وضبط نصه الدكتور قسطنطين زريق والدكتورة نجلا عز الدين سنة ١٩٣٨

(١١) الاضطرابات في فلسطين سنة ١٨٣٤ كما تظهر في سجلات عابدين الملكية للدكتور اسد رستم سنة ١٩٣٨

(١٢) ديوان ابن الساعاتي. نشره الاستاذ انيس المقدسي. الجزء الاول سنة ١٩٣٨

(١٣) عمر ابن ابي ربيعة: للاستاذ جبرائيل جبور. الجزء الثاني: حياته سنة ١٩٣٩

(١٤) تاريخ ابن الفرات : المجلد الثامن. حققه وضبط نصه الدكتور قسطنطين زريق والدكتورة نجلا عز الدين

(١٥) العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث للاستاذ انيس المقدسي سنة ١٩٣٩

(١٦) ديوان ابن الساعاتي. نشره الاستاذ انيس المقدسي. الجزء الثاني سنة ١٩٣٩

(١٧) تاريخ ابن الفرات: المجلد السابع. حققه وضبط نصه الدكتور قسطنطين زريق — سنة ١٩٤٢

(١٨) الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة. الجزء الاول حققه وضبط نصه الدكتور جبرائيل جبور — سنة ١٩٤٥

(١٩) معجم الالفاظ العامية في اللهجات اللبنانية للدكتور انيس فريحه سنة ١٩٤٧

(٢٠) الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة. الجزء الثاني حققه وضبط نصه الدكتور جبرائيل جبور — سنة ١٩٤٩

(٢١) حياة ابن قتيبة وآثاره – بالانكليزية – للدكتور اسحق موسى الحسيني — سنة ١٩٥٠

(٢٢) – (٢٣) الاتجاهات الادبية الحديثة في العالم العربي للاستاذ انيس المقدسي — سنة ١٩٥١–١٩٥٢

(٢٤) حياة المدن في سورية في ظل المماليك الاول – بالانكليزية – للدكتور نقولا زيادة — سنة ١٩٥٣

(٢٥) – (٢٦) الامثال العامية اللبنانية من رأس المتن للدكتور انيس فريحه — سنة ١٩٥٣

(٢٧) اسماء المدن والقرى اللبنانية للدكتور انيس فريحة — سنة ١٩٥٦

(٢٨) حضارة في سبيل الزوال للدكتور انيس فريحة — سنة ١٩٥٧

(٢٩) الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة. الجزء الثالث. حققه وضبط نصه الدكتور جبرائيل جبور

(٣٠) TATOO COPTIC ART by John Carswell

(٣١) SANUSIYAH by Nicola A. Ziadeh Ph.D. , 1958 (Leiden) (E)

(٣٢) AE-BIRUNI ON TRANSITS, by Edward Kennedy Ph.D. , (E)

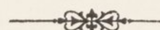
(٣٣) LEBANON IN THE LAST YEARS OF FEUDALISM, 1840-1868 by Malcolm Keer, Ph. D. , 1959

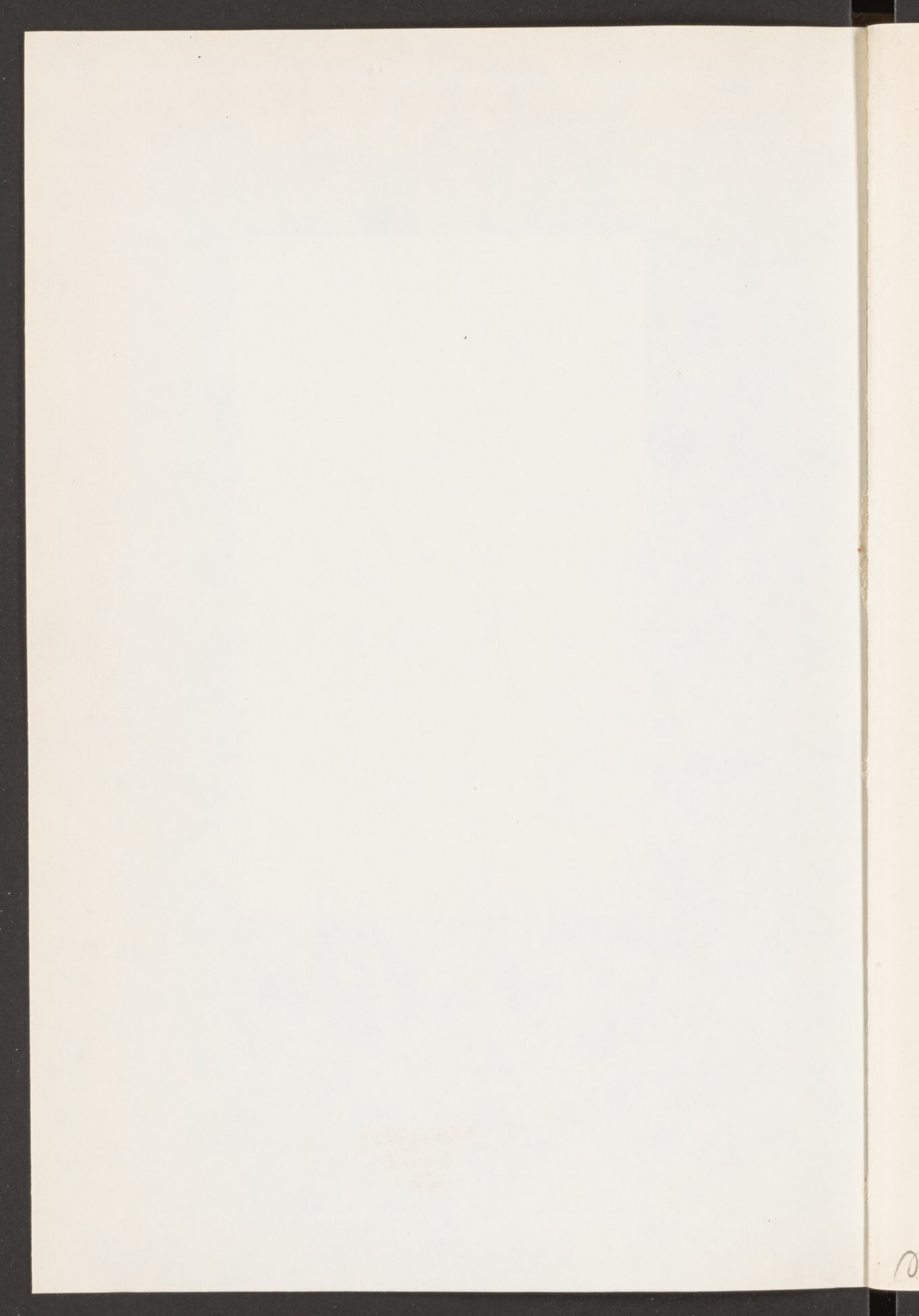
(٣٤) MARONITE HISTORIANS OF MEDIAVAL LEBANON, by Kamal S. Salibi, Ph. D. , 1959

(٣٥) SOURCES AND STUDIES IN THR HISTORY OF THE EXACT SCIENCES 2 – AL-KASHI ON ROOT EXTRACTION by Abdul-Kader Dakhel, Edited by Wasfi A. Hijab and E.S. Kennedy, 1960

(٣٦) مسلم بن الوليد للاستاذ فؤاد ترزي (أ.س.ع) سنة ١٩٦١

(٣٧) ORIGINS OF NATIONALISM IN TUNISIA, by Nicola A. Ziadeh, Ph. D. 1961 .






PERMA-BOUND

MUSLIM IBN EL-WALĪD

BY

FUAD HANNA TARAZI, M. A.

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

PRINTED AT DAR AL-KITAB PRESS, BEIRUT — 1961